فريدا مكفادن

الكاتبة الأكثر مبيعا



إنها
أسوأ
كوابيسك

الأم البديلة

ترجمة
أروى

The surrogate mother

FRIEDA MCFADDEN

الأم البديلة

فريدا مكفادن

ترجمة

أروى

https://t.me/yonedDkST2E0N2U8

إلى ميلاني وليبي

(أو إلى ليبي وميلاني، فلستُ أشك في نشوب نزاعٍ يوماً ما حول دلالة هذا الترتيب)

مقدمة

في غضون الأربع والعشرين ساعة القادمة...
سيتم القبض عليّ بتهمة القتل من الدرجة الأولى.
لا أفهم حتى الآن كيف حدث هذا. لست من الأشخاص الذي ينتهي بهم المطاف خلف القضبان بتهمة القتل. لست كذلك حقًا. لم أحصل في حياتي على مخالفة تجاوز سرعة. بحقّ الجحيم، بل لم يسبق لي أن عبرت الشارع من خارج ممرّ المشاة. فأنا أكثر المواطنين التزامًا بالقانون على الإطلاق.

«لديهم أدلة قوية ضدكِ يا آبي».

محاميّ، روبرت فريش، لا يجمّل الحقائق. لم أعرفه إلا منذ وقت قصير، لكنني أعرف عنه مسبقًا أنه لا يحبذ المجاملات، ولا يقدم وعودًا زائفة. لقد أمضى العشرين دقيقة الماضية وهو يسرد جميع أدلة الشرطة ضدي. وعندما سمعتها تُعرض أمامي بهذه الطريقة... بدت الأمور سيئة.

لو كنتُ طرفًا ثالثًا محايدًا أستمع إلى ما يقوله فريش، لقلتُ في نفسي: تلك المرأة مذنبة بلا شك. يجب سجنها مدى الحياة.

طوال الوقت الذي كنت أستمع فيه إلى فريش، كان قلبي يخفق بشدة في صدري. حتى أنه كان من الصعب عليّ سماعه لفترات طويلة. إلى يميني كان زوجي سام يجلس مترهلًا في مقعده، وعيناه شاردتان.

سام هو من استأجر فريش. قال إنه فرصتي الأفضل، لذا إن لم يتمكن هو من مساعدتي، فهذا يعني أنه لا فرصة لي على الإطلاق.

قلت: «كلها أدلة ظرفية». رغم أنني لست متأكدة من أن ذلك صحيح... ولا حتى متأكدة مما تعنيه الأدلة الظرفية حرفيًا. لكنني أعرف شيئًا واحدًا: لم أفعلها.

أطلق فريش زفرة طويلة، وشبك ذراعيه أمام صدره.

«عليك أن تفهمي شيئًا؛ إذا وصلت هذه القضية إلى المحكمة، فسوف تُداني».

«إذا وصلت إلى المحكمة؟»

قال: «أنصحك بصفقة الإقرار بالذنب، عندما يعتقلونكِ».

تخيلتُ الشرطة وهي تطرق بابي، وتُكبّل معصميّ بالأصفاد المعدنية. وتقرأ عليّ حقوقي: لكِ الحق في التزام الصمت. هل يقولون ذلك حقًا في الحياة الواقعية؟ لا أريد أن أعرف.

صحّحتُ له: «تقصد: إذا قبضوا عليّ».

رمقني فريش بنظرةٍ كما لو أنني فقدتُ صوابي. إنه محامٍ جنائي منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا، ويُعدّ الأفضل في مجاله. يمكنك أن تعرف مدى نجاحه من الأريكة الجلدية المسندة إلى الجدار، أو من المكتب الماهوغاني حيث توجد صورةً له وهو يصافح باراك أوباما.

لدي المال، لكن محاكمة كاملة قد تستنزفنا حتى آخر قطرة.

قال فريش: «القتل من الدرجة الثانية عقوبته تتراوح بين خمس عشرة سنة والسجن المؤبد. أما القتل من الدرجة الأولى، فقد تحصُلين على السجن المؤبد دون إمكانية الإفراج المشروط. وإذا وافقتِ على الإعتراف بالذنب، فقد تُخفض التهمة إلى الدرجة الثانية...

صرخت: «خمس عشرة سنة!»

لا أريد الذهاب إلى السجن خمس عشرة سنة. هذا عمرٌ كامل. لا أحتمل فكرة يومٍ واحد... فكيف بخمس عشرة سنة؟ لا يمكنني استيعاب الأمر.

لا يمكنني أن عقد صفقة تزجّ بي خلف القضبان خمس عشرة سنة. لا يمكن.

ألقيتُ نظرة خاطفة على سام، توقعت أن أرى على وجهه تعبيرًا مماثلًا من السخط. لكن بدلًا من ذلك، مازال وجهه شاردًا، يحدّق في الجدار خلف فريش، حاولت أن ألفت انتباهه، إلا أنه تجاهلني.

هل يعتقد أنني فعلتها؟

هل يعتقد زوجي حقًا أنني قاتلة؟ إنه يعرفني أكثر من أي شخص آخر في العالم، فإذا كان يعتقد أنني مذنبة، فما فرصتي أمام هيئة المحلفين؟

لكنني لست مذنبة. لم أفعلها. لم أقتل أحد...

أليس كذلك؟

الفصل الأول

قبل عام واحد

في تلك اللحظة بالذات، تكاد تكون حياتي مثالية.

قبل عامين من الآن، لم يكن بإمكاني قول ذلك. قبل عامين، كنتُ أفضل أن أقطع معصميّ، على أن أقف أمام قاعة مليئة بالمديرين التنفيذيين لشركة كادِلز، «الاسم الجديد في عالم الحفاضات»، لأقدم لهم حملة إعلانية جديدة تعج بعشرات الصور لأطفال ملائكيين بوجوه مستديرة تحيطها هالات من النور، مع الشعار: «لأن ملاكك الصغير يستحق الأفضل». كنتُ سأقدّم العرض بالطبع، لكن الابتسامة على وجهي لم تكن لتكون صادقة كما هي اليوم. أما الآن، فكل شيء يسير كما أريده تمامًا. حسنًا، ليس تمامًا بالضبط، لكنه قريب جدًا. فلديّ الوظيفة التي لطالما حلمت بها. وأنا متزوجة من رجل رائع. وخلال أسابيع قليلة، سأصبح أمًا للمرة الأولى في حياتي. يمكنكم القول أنني أتمتع بإشراقة خاصة.

قلتُ وأنا أشير إلى الصورة المعروضة على الشاشة: «هذه الحملة الجـديـدة لـديـها الـقدرة عـلى دفـع كـادِلـز إلـى مـصاف هـاجـيز وبامبرز».

حولت نظري إلى جِد كوفيلد، نائب الرئيس التنفيذي للتسويق في كادلز. جِد في الأربعينيات من عمره، بشعر كستنائي كثيف، وعينين داكنتين ثاقبتين، ويرتدي بدلة من هوغو بوس.

ورغـم أنـه يـضع خـاتـمًا ذهـبيًا فـي يـده اليسـرى، إلا أنـه طـوال العامين اللذين عملتُ فيهما معه، كان دائمًا يقف أقرب قليلًا مما ينبغي أثناء حديثنا، لدرجة تمكنني من تحديد ماذا تناول في وجـبته الأخـيرة بـدقـة. حـتى الان ومع اقـتراب مـوعـد ولادتـي، ألاحظ نظراته التي تتفحص جسدي.

قبل ترقيتي إلى منصبي الحالي كمديرة لاستراتيجية المحتوى فـي وكـالـة سـتيوارت لـلإعـلان، تـعلمتُ الـكثير عـن كـيفية إظـهار الـثقة بـالـنفس. الـتواصـل الـبصري هـو الـمفتاح. لـذا أحـرص عـلى التواصل البصري مع جد، اعتدل في جلستي، وأدفع بكتفيّ إلى الخلف. لديّ كل الأسباب لأكون واثقة. أعلم أن حملتي رائعة. لقد بذلت قصارى جهدي للتأكد من ذلك.

سأل كوفيلد: «كيف كان أداء الحملة مع الشريحة النسائية المستهدفة بين سن الخامسة والعشرين والرابعة والثلاثين؟»

سؤال ممتاز. ففي سوق الحفاضات، تُعد النساء في هذا السن هن الفئة المستهدفة بالنسبة لشركة كادلز. قلّما يشتري رجل في الستين حفاضات للأطفال، مهما كانت إعلاناتنا مؤثرة.

تجاوزتُ هذه الفئة العمرية بالطبع، ومع ذلك لديّ علبة حفاضات حديثي الولادة مخبأة في الخزانة، لكن لا داعي لذكر ذلك.

همت دينيس هولت، كبيرة مسؤولي التسويق ورئيستي في العمل، بفتح فمها لتجيب عن السؤال. قبل ثلاث سنوات، ربما كنتُ سأسمح لها بذلك. لكن جزءًا من الثقة بالنفس هو ألا تسمح لرئيسك بالإجابة نيابةً عنك.

وقبل أن تنطق دينيس بكلمة، قلت: «لقد أعجبتهم الحملة، يا جِد». ثم ضغطتُ زرًا في جهاز التحكم، فظهرت شاشة مليئة بالبيانات. «بعد مشاهدة حملتنا، زادت احتمالية اختيارهن لكادلز بنسبة ثلاثة وخمسين في المئة مقارنة بالعلامات التجارية الرائدة الأخرى». لاحظت حاجبيه يرتفعان دهشةً، تابعت: «وبالإضافة إلى الفئة المستهدفة الأساسية، لاقت الحملة صدىً كبير لدى النساء بين الخامسة والثلاثين والرابعة والأربعين.

وكما تعلم، تساهم الأمهات الأكبر سنًا بما لا يقل عن ثلاثين في المئة من سوق شراء الحفاضات».

أومىء كوفيلد برأسه منبهرًا. «صحيح جدًا».

تبادلت معه النظرات مجددًا. «سنكتسح السوق».

ابتسم كوفيلد، لكن دينيس لم تفعل. أعرف دينيس منذ وقت طويل، وأعرف أنها لا تحب أن تُسرق منها الأضواء. هي من وظّفتني منذ سنوات، منذ أكثر من عقد من الزمان. ما زلت أتذكر أول مرة حين دخلت مكتبها متعثرة، أشعر بالرعب من عينيها الزرقاوين الجليديتين وشعرها الأشقر المشدود إلى الخلف في عقدة فرنسية مثالية. كنت أعبث بياقة سترتي بينما أتلعثم في سرد قائمة أسبابي المحضّرة سلفًا عن رغبتي في العمل لدى وكالة ستيوارت للإعلان ، وتحديدًا تحت إدارة دينيس هولت سيئة السمعة.

وظّفتني. ثم علمتني كل ما أعرفه، بما في ذلك كيفية ربط شعري في عقدة فرنسية، والتي على ما أظن تُسمى شينيون. ولم تتوتر علاقتنا إلا بعد أن علمتْ أنني أحاول الإنجاب.

قال كوفيلد: «لقد أحببنها، أليس كذلك؟»

أومأت برأسي: «بالتأكيد».

اتسعت ابتسامته: «وأنا أيضًا أحببتها. إنها رائعة، بل عبقرية».
حافظتُ على هدوئي، لكن من داخلي كنتُ أقفز فرحًا. نائب رئيس شركة كادلز أحب فكرتي. أحبها! بل ووصفها بالعبقرية!
لم أتمالك نفسي من توجيه ابتسامة نصر إلى دينيس، التي لم تكن سوى مصدر للاحباط والسلبية طوال فترة العمل على هذه الحملة. بالأمس فقط، كانت تُلح عليّ لتأجيل هذا الاجتماع، فقد كانت ترى أنه ليس جاهزًا بعد. وحين أصررتُ على المضي قدمًا، اتهمتني بأن عقلي مشغول بطفلي المنتظر.
اختارت دينيس التحرر من مسئوليات الأمومة. عندما بدأتُ العمل كمساعدتها، كانت تكرر عليّ مرارًا أن لا شيء يدمّر المستقبل المهني أسرع من إنجاب أطفال مزعجين. المسار المهني بالنسبة لدينيس يعني كل شيء، وقد حققت فيه نجاحًا باهرًا بالفعل.

في ذلك الوقت، كنت أظن أيضًا أن عملي هو أهم شيء في حياتي. ثم جاء سام وأقنعني بخلاف ذلك. ولكني لستُ نادمة. كل شيء يسير على مايرام.
رفع كوفيلد حاجبيه نحوي: «أخبريني يا آبي، هل ستشترين كادلز لطفلك؟»

قلت: «بالطبع، أريد له الأفضل». كذبتُ. يا إلهي، مستحيل بأي حال أن أضع تلك الحفاضات الرديئة على بشرة طفلي.

أنهينا بعض التفاصيل الإضافية، ثم تصافحنا جميعًا. غمزني كوفيلد وهو يصافحني، فضغطتُ على أصابعه بقوة كما علمتني دينيس منذ سنوات.

بقيت أصابعه الدافئة ممسكة بيدي للحظة أطول مما يلزم. كان كوفيلد أكبر داعميّ منذ بدأت العمل على حملة كادلز، لذلك لن أمانع مصافحة تدوم ثانية أو ثانيتين أكثر مما أرغب. لكن إن كان يظن أنه سيحصل على أكثر من ذلك، فهو واهم تمامًا.

قال لي: «تهانينا»

لا أدري إن كان يقصد العرض التقديمي الناجح أم أمومتي الوشيكة. فاكتفيت بالابتسام وقلت: «شكرًا».

بمجرد خروج كوفيلد ومرافقوه، بقيتُ أنا ودينيس وحدنا في القاعة. كنت سابقًا أشعر بسعادة غامرة كلما سنحت لي فرصة الانفراد بمثلي الأعلى، لكن هذه الأيام، أصبحت أتجنب ذلك بشدة. وبالنظر إلى مدى نجاح العرض، كان من المفترض أن تقول دينيس شيئًا إيجابيًا، أو حتى مديحًا عابرًا، لكن النظرة العابسة على وجهها أخبرتني أنني لن أتلقى اليوم أي ثناء.

«أود التحدث إليكِ، يا أبيغيل»

دينيس هي الشخص الوحيد في العمل الذي يناديني «أبيغيل» بدلًا من «آبي». كنتُ أحب ذلك سابقًا، فالاسم كان يجعلني أبدو كمديرة تنفيذية، لا مجرد فتاة في الملعب بوجه منمش وضفيرتين. (نعم، كان لدي نمش وضفيرتين).

حاولتُ لفترة أن أجعل الجميع ينادونني أبيغيل، لكن الأمر لم يفلح. أما الآن، فأصبح سماع الاسم على شفتيها يثير الغثيان.

سألتها بابتسامة ضيقة: «بخصوص ماذا؟»

تعودت على رسم تلك الابتسامة عند الحديث معها، لكن مع كل يوم تصبح هذه الابتسامة أصعب. وأنا واثقة بأنه سيأتي يوم يصير الابتسام في وجهها مستحيلًا.

تأملت دينيس ملابسي بنظرة فاحصة. سترتي وتنورتي من أرماني. حين اشتريتهما، جاءني سام بكشف بطاقة الائتمان ونظرة فزع على وجهه قال: «أحدهم سرق بطاقتنا، صحيح؟ لم ننفق هذا المبلغ فعلًا، أليس كذلك؟» اضطررتُ لاخباره أننا فعلنا، نعم. لقد أنفقت هذا المبلغ على زي واحد، وكان يستحق كل بنس. يدّعي سام أن بدلته من متجر ملابس الرجال تبدو مطابقة تمامًا لأي بدلة يشتريها من أرماني أو برادا، لكنه مخطئ.

ربما لا يظهر الفرق إذا كنت تراه من بعيد عبر قاعة محاضرات، وهذا كل ما يهمه. لكن عن قرب، يستطيع أي شخص ذو ذوق رفيع أن يميّز بين بدلة باهظة وأخرى مقلّدة. والمدراء التنفيذيون الذين أقدّم لهم العروض يحترمون من يحسن ارتداء ملابسه، وهكذا، فإن ملابسي تغطي كلفتها بنفسها. وهذا درس آخر تعلمته من دينيس.

سألت: «كيف حالك؟»

أجبت بحذر: «بخير». لأن أي رد أكثر إيجابية، سيكون إشارة لدينيس لتُحيل حياتي جحيمًا.

نقرت بإصبعها ذي الطلاء الأحمر الداكن على ذقنها وقالت: «رائع، رائع. ذكّريني، كم هي المدة التي تخططين لأخذها كإجازة عائلية؟ ثمانية أسابيع؟»

تشنجت عضلة في فكي. «اثنا عشر أسبوعًا».

اتسعت عيناها بدهشة مصطنعة: «اثنا عشر؟ كل هذه المدة؟»

رغم أننا أجرينا هذا الحوار نفسه قرابة اثنتي عشرة مرة. تشنجت العضلة مجددًا. أصبتُ بأول نوبة صداع نصفي هذا العام بعد نقاش حاد معها، لن أسمح لها باستفزازي ثانية.

قلت: «مسموح باثنى عشر أسبوعًا كإجازة عائلية»

ضاقت عيناها الزرقاوان الجليديتان قالت: «أعلم، لكن هذا لا يعني أن عليكِ أخذها كاملة، أليس كذلك؟ تبدو مدة طويلة للغاية. سيشعر عملاؤك بخيبة أمل».

قلت محاولة الوصول لحل وسط: «يمكنني إنجاز بعض العمل من المنزل خلال الشهر الأخير. وسيتولى الزملاء بعضًا من العبء. وبالطبع، مساعدتي مونيكا ستكون موجودة للمساعدة».

كررت بنبرة ساخرة مبهمة: «مونيكا ستكون موجودة للمساعدة». ثم رمشت بضع مرات. «حسنًا، ربما ينبغي أن نعطي مونيكا منصبك؟»

لو لكَمتها في وجهها الآن، سأُطرد. عليّ أن أذكّر نفسي بذلك مرارًا وتكرارًا.

قالت: «أنا أمزح» رغم أنها لم تكن تبتسم. «بالطبع يحق لكِ الاثنا عشر أسبوعًا، يا أبيغيل. كنتُ فقط آمل أن تعيدي التفكير في الأمر».

لن أعيد التفكير. أنا أحب عملي، لكنني فكرت مليًا في أولوياتي. ولن أعود إلى العمل على عجل. لا يهمني إن كانت دينيس تكرهني بسبب ذلك. وبصراحة، هي لن تكرهني أقل لو أخذت أربعة أسابيع فقط.

قالت: «على أي حال». ربتت دينيس على الشينيون المثالي في شعرها، فتحركت يدي تلقائيًا إلى كعكتي الفرنسية. شعرتُ بخصلة منفلتة فسارعت إلى دسها خلف أذني. لا بد أن دينيس تستخدم زجاجة كاملة من مثبت الشعر يوميًا، ومع ذلك لا أظن أنها تفعل. شعرها يبدو ناعمًا ومثاليًا.

تابعت: «أعتقد أن شيلي رتّبت نوعًا من... الحفلات من أجلك في غرفة الاستراحة».

أعلم أن صديقتي المقرّبة شيلي، رتبت لي حفل استقبال مولود بعد الاجتماع. كانت لتفضل مفاجأتي، لكن نظرًا لضيق الوقت كان ذلك مستحيلًا. بالطبع هذا تصرف لطيف منها، لكن بعد خمس عشرة دقيقة، سأضطر لتقديم اعتذاري والانصراف. فجدولي بعد الظهر مزدحم للغاية، ولن أعود إلى البيت قبل الثامنة أو التاسعة مساءً.

قالت دينيس: «أخشى أنني لن أستطيع الحضور». وهو أمر لم يفاجئني. فهي لم تُخفِ يومًا استياءها من المناسبات التي تضيّع وقت الجميع، مثل حفلات استقبال المواليد. وأردفت: «لكن من فضلك تأكدي من تنظيف كل القمامة من الغرفة عند الانتهاء».

وددتُ لو أذكّرها بأنني لم أعد مساعدتها، وأنه ليس بإمكانها أن تأمرني بتنظيف القمامة بعد الآن. لكني كظمتُ غيظي وأبقيت فمي مغلقًا، لأنني سعيدة. لقد أبهرتُ فريق كادلز، وأنا على وشك الذهاب إلى حفل استقبال مولود على شرفي. حفل من أجلي أنا.

خلال فترة عملي في ستيوارت للإعلانات، حضرتُ ما يقارب مليوني حفل استقبال مواليد. حسنًا، قد يكون ذلك مبالغة بسيطة. ربما حضرتُ مليونًا فقط. أو ثلاثة أرباع مليون. بالتأكيد ليس أقل من نصف مليون.

لكن الآن، ولأول مرة، الحفل من أجلي أنا. لا من أجل إلسا في الاستقبال، التي أنجبت ما لا يقل عن اثني عشر طفلًا خلال فترة عملها هنا. ولا من أجل شيلي، التي أنجبت طفلين فقط.

هذا الحفل لي.

الشطائر والمقبلات المكدسة في الزاوية، أُحضرت تكريمًا لي.

الهدايا المُرتبة بعناية في ركن الغرفة ستكون لي. وأول قطعة من كعكة الشوكولاتة بالبندق ستُقدَّم لي.

هناك شيء واحد، يجعل هذا الحفل مختلف عن جميع حفلات استقبال المواليد الأخرى التي أُقيمت للنساء في شركتي.

أنا لستُ حاملًا.

الفصل الثاني

دفعت شيلي زجاجة رضّاعة في يدي. هي مملوءة بـ... حسنًا، ليس حليبًا بالطبع. بل سائل بلون كهرماني.
قالت: «تفضّلي زجاجتكِ يا آبي. سنبدأ بعد دقيقة».
رفعتُ الزجاجة نحو الضوء. «ما هذا؟»
قالت شيلي:«عصير تفاح». ثم غمزت بعينها، مما أثار قلقي.
همست لها: «لن أشرب الويسكي في العمل يا شيلي».
أصرّت: «إنه عصير تفاح».
لعبنا هذه اللعبة ما لا يقل عن نصف مليون مرة. يحصل الجميع على زجاجة رضاعة مملوءة بسائل، ونلتهمها عبر الحلمة المطاطية. ومن ينهي أولًا يفوز. إنها مجرد واحدة من عدة ألعاب سخيفة في حفلات استقبال المواليد ابتكرناها وأتقنّاها على مرّ السنين.
عندما بدأتُ العمل في ستيوارت، كنت أظن هذه الألعاب مسلية فعلًا. وفي وقت ما بين اختبار الحمل السلبي الثالث والعاشر، توقفت عن كونها ممتعة. وبحدود الاختبار السلبي العشرين، صارت نوعًا من التعذيب.

حين كنت أرى تلك البطون الكبيرة المنتفخة، كنت أريد الاختباء في كابينة حمّام والبكاء، لا الاحتفال بصنع أطفال فرانكنشتاين من قصاصات المجلات. عادةً ما كنت أبقى نحو خمس دقائق قبل أن أعتذر بسبب ضغط العمل.

وبالفعل قد يكون لديّ أطنان من العمل، لكنه لم يكن السبب الحقيقي لهروبي من الغرفة وكأنها تحترق.

أما اليوم، أنا أستمتع بوقتي. فبعد سنوات من انكسار القلب، أصبحتُ على أعتاب الأمومة. في غضون ثلاثة أسابيع، سأصبح أمًا فخورة لطفل حديث الولادة، أمه البيولوجية البالغة من العمر ستة عشر عامًا، تعيش في توسان، أريزونا. أخبرتُ شيلي إنني لست متأكدة مما إذا كان التبنّي يستحق حفل استقبال مولود، لكنها أصرت أن أحظى بالمعاملة نفسها التي تحظى بها كل النساء ذوات البطون الكبيرة.

انفتح باب قاعة الاجتماعات فجأة، ودخلت مساعدتي مونيكا، وهي تحمل كعكة حفاضات هائلة على نحو هزلي. مزيّنة بشريط أزرق، ودبّ أزرق صغير متشبث بجانبها. ارتجفت ذراعا مونيكا من ثقلها، فأسرعتُ لأمسك بالطرف الآخر قبل أن تسقطها على الأرض.

قالت وهي تلهث بينما نُنزِل الوحش على طاولة الولائم: «كعكة حفاضات من كادلز. إنها... كبيرة بعض الشيء».

ابتسمتُ في سري وأنا أتخيل جِد كوفيلد يأمر سكرتيرته بإرسال هذه الكعكة العملاقة. هل من الفظيع أني تمنيت سرًّا أن تكون الحفاضات داخل الكعكة من علامة أخرى غير كادلز؟

أدرتُ عينيّ نحو مونيكا: «في المرة القادمة سأطلب حفاضة كب كيك». غطّت فمها بيدها وهي تضحك.

مونيكا هي مساعدتي طوال الأشهر الستة الماضية، بعد أن سقطت مساعدتي السابقة جيرتي وأصيبت بكسر في وركها، دُفعت بلطفٍ خبيث إلى تقاعد مبكر . كان وجود مونيكا مذهلًا. ليس أنني لم أحب جيرتي، التي كانت تصنع بسكويت رقائق الشوكولاتة لا يُقاوم، لكنها كانت بطيئة في كل شيء. لدرجة أن مراقبتها وهي تعبر الغرفة تكاد تكون مؤلمة. ولم تكن تعرف كيف ترسل مستندات إلى الطابعة من حاسوبها. حتى الفاكس بالنسبة لها كان معضلة. أظن أن جهاز الفاكس لم يكن قد اختُرع حين بدأت العمل في ستيوارت. ولست متأكدة إن كانت الهواتف قد اختُرعت وقتها أيضًا. لكن على الأرجح كانوا قد اكتشفوا النار والعجلة.

لذا نعم، مونيكا نسمة هواء منعشة بمعنى الكلمة. في أوائل العشرينيات من عمرها، خريجة حديثة تحمل شهادة في الفن والرياضيات، وذكية كالموس. تستوعب كل شيء بسرعة فائقة. وجودها كمساعدة رفع كفاءتي بما لا يقل عن... ثمانيةٍ وستين في المئة.

عرفتُ فورًا أثناء المقابلة أنها ستكون مساعدتي الجديدة. ذكرتني إطلالتها بنفسي كثيرًا، بدءاً من شعرها الأسود الفاحم المربوط بشكل غير متقن على شكل كعكة خلف رأسها، وصولًا إلى بذلتها غير المتناسقة، وابتسامتها المفرطة في الحماس. ثم بدلًا من أن تثني على حملة كادلز كما فعل باقي المرشحين، أسهبت في الحديث عن حملة كنتُ قد نفذتُها قبل سنوات لشركة زبادي. كانت حملة أقل شهرة، لكنني كنت فخورة بها بشكل خاص. وهذا يدل على أنها قامت ببحث جيد. وحين سألتها عمّا تود تحقيقه من هذا المنصب، أجابت: أريد أن أتعلم كل ما تعرفينه. وظّفتها في الحال.

بعد أن عدّلت مونيكا كعكة الحفاضات على الطاولة، عبست وهي تنظر إلى كومة من قبعات فريق اليانكيز الموضوعة على الجانب. ضحكتُ على نظرة الحيرة المرتسمة على وجهها.

قلت: «تريد شيلي أن نرتديها، لكنها لم تجد من يقبل. ستسعد كثيرا لو وضعتِ واحدة».

ابتسمت مونيكا: «اوه، لا. نشأتُ مشجعة للريد سوكس، وكنت أحضر كل مبارياتهم وأنا طفلة. لا يمكنني ارتداء قبعة يانكيز. لن يسمحوا لي بدخول البيت!»

قلت لها: «حسنًا، أنا من مشجعي اليانكيز، ومع ذلك لا أريد ارتداء القبعة».

هرعت شيلي في تلك اللحظة ووضعت زجاجة رضّاعة في يديّ مونيكا مُحذرة: «بعد عشر دقائق سيبدأ السباق».

توهجت وجنتا مونيكا والتفتت نحوي. «أوه، لا يزال عليّ كتابة محضر اجتماع هذا الصباح ونسخ...»

وضعتُ يدي على كتفها: «لا، ليس عليكِ. لقد عملتِ بجد شديد، وكادلز أحبوا عرضنا اليوم. يحق لكِ أخذ استراحة من أجل حفل استقبال المولود».

«حسنًا، على الأقل دعيني أنظف...»

رمقتها بحدّة. «لا. أريدكِ أن تسترخي. امرحي قليلًا. أنتِ تستحقين ذلك مثل أي شخص».

غمزت شيلي لمونيكا: «أنتِ محظوظة يا مونيكا. آبي لطيفة أكثر من اللازم مع فريقها. لو كنتِ مساعدتي، لكنتُ جعلتكِ تلتقطين الأكواب البلاستيكية من الأرض الآن».

ألقيتُ نظرة سريعة على الغرفة، و... يا للهول، هناك الكثير من الأكواب البلاستيكية على الأرض. موظفو ستيوارت فوضويون بالفعل. كانت دينيس محقّة عندما أشارت إلى مشكلة القمامة. لكن لدينا فريق تنظيف هنا، ومونيكا مساعدتي الشخصية وليست عاملة نظافة.

«أظنني أستطيع...» ألقت مونيكا نظرة خاطفة على الغرفة بعينيها البنيتين الداكنتين. أحيانًا، حين أنظر إلى عينيها، أشعر وكأنني أنظر إلى مرآة. شعرها الأسود الفاحم يشبه شعري، وإن كان مستويًا كالعصا، بينما يتساقط شعري في تموّجات عشوائية حول وجهي. على أي حال، نحن متشابهتان إلى حدّ ما، رغم أنها تصغرني بأكثر من عقد. أحيانًا تُسعدني ملاحظات الناس عن شبهنا، لكن ليس حين يناديها جاك من قسم الإبداع بـ آبي النسخة الثانية.

تابعت مونيكا: «سأبقى لبضع دقائق فقط. ثم عليّ العودة إلى العمل!»

بصراحة، إذا لم ينجح الأمر مع هذا الطفل، فقد أتبنّى مونيكا شخصيًا.

قالت مونيكا: «إنه لطفٌ كبير من كادلز أن يرسلوا كل تلك الحفاضات، لقد سمعتُ أنها مكلفة للغاية».

قهقهت شيلي: «آه، آبي لا تقلق بشأن ذلك، عائلتها ثرية جدًا. جدّها دخل مبكرًا في استثمار شركة ضخمة منذ أن كانت في بداياتها.»

تنهدتُ بضيق. أكره حين تذكر شيلي أموال عائلتي فالأمر مُحرِج ومبتذل. قلتُ محذرة: «شيلي...»

تابعت شيلي متجاهلة إياي: «آبي لا تريدني أن أخبركِ باسم الشركة، لكن سأعطيكِ تلميحًا. قد يكون لديكِ منتج من هذه الشركة في حقيبتك الآن.»

«شيلي...»

«تلميح آخر: ليست برتقالة...»

«شيلي!»

ضحكت شيلي: «لا تقلقي يا آبي، لن أفشي سرّك.» ثم ابتسمت لمونيكا: «على أي حال، لديها صندوق ائتماني ضخم، لذا فالقلق بشأن تكلفة الحفاضات هو آخر همها، صدقيني.»

لم تكن مخطئة تمامًا. لديّ بالفعل صندوق ائتماني صغير ساعدني في أوقات صعبة. لكنه ليس مالًا لا ينفد. أنا ميسورة الحال، لكنني لست ثرية. ومع ذلك، تكلفة الحفاضات ليست شيئًا ينبغي أن أقلق بشأنه.

ابتعدت مونيكا لتأخذ شطيرة، بينما بقيت شيلي بجانبي. على وجهها تعبير يصعب قراءته. أعرف شيلي منذ عشر سنوات، منذ أن كنا كلتانا مساعدتين مغمورتين، ومع ذلك ما زلت أعجز أحيانًا عن معرفة ما يدور في رأسها. سألتني: «هل تشعرين بالتوتر يا آبي؟»

حدقتُ فيها. «عمّ تتحدثين؟ لقد أتقنتُ عرض كادلز.»

«ليس هذا ما أعنيه. هل أنتِ متوترة بشأن الـ طـ فـ ل؟»

هززتُ رأسي. «لا. سنكون بخير.»

«وماذا عن سام؟ كيف حاله؟»

لم أتمالك ابتسامتي. «إنه متحمس جدًا، بشكل مثير للإعجاب. قضى يوم أمس كله يركّب مهد الصغير.»

«صحيح، نسيت، إنه سام مثالي.»

«ليس مثاليًا...»

«بل هو كذلك.»

أخذت شيلي جرعة من زجاجة الرضّاعة. ما الذي تضعه في تلك الزجاجات؟ ثم تابعت: «أليس هو من يُخرج القمامة، وينظف، ويغسل الملابس... ومن المفترض أنه يغيّر لفافة ورق الحمّام أكثر من مرة في الألفية. بل إنه يطبخ أيضًا...»

قاطعتها: «ليس لدرجة الطبخ».

فخلال الأشهر الماضية، كان سام مدفوعًا بحماس اقتراب الطفل، فقرر أنه سيتعلم الطبخ. كانت النتائج... متضاربة. لا، هذا لطف مني إن قلتُ ذلك. الحقيقة إنه فاشل تمامًا. كنت أظن أنه بمجرد اتباع وصفة طهي سيصل إلى حد مقبول من الكفاءة، لكن لا.

«حسنًا، وماذا لو لم يجيد الطبخ؟ الأهم أنه ما زال مغرمًا بك رغم مضي دهر على زواجكما. والأجمل من ذلك، أنه ما زال شديد الوسامة. لم يفقد شعرة واحدة من رأسه، بينما ريك صار أصلع تقريبًا.»

كدتُ أضحك من تعبير صديقتي المقربة: «ريك ليس أصلع.»

«لا، قلتُ أصلع تقريبًا. الصلع الحقيقي أفضل! لكنه بدلًا من ذلك يتشبث بتلك الخصلات الأخيرة بشكل يُرثى له.» ثم قالت من بين أسنانها: «أقسم أنني سأحلق له رأسه وهو نائم ذات يوم»

«كنت سأرى سام وسيمًا بنفس القدر حتى لو صار أصلع.»
«رجاءً توقفي يا آبي، أرجوكِ... أكاد أتقيأ.»
«حسنًا، آسفة.»

دائماً ما تتظاهر شيلي بالغيرة مني، لكن الحقيقة أن زوجها ريك رجل طيب حقًا. وعلى حد علمي فهو أب رائع كذلك. لكن نعم، عليّ الإعتراف أن سام أكثر وسامة وأقل صلعًا. غير أن ذلك ليس ميزة كما يبدو. يعجبني أن يكون زوجي جذابًا، لكنه ليس رائعًا حين يكون هذا الزوج الجذاب أستاذ رياضيات يعمل مع طالبات جامعيات صغيرات. لا أقصد أن سام سيخونني أو شيء من هذا القبيل، لكن...حسنًا، هو لن يفعل. ومع ذلك أحيانًا أتمنى لو كان يعمل في جامعة للذكور فقط.

شعرتُ بكتفيّ يسترخيان بينما أنا وشيلي نثرثر. ربما يمكنني البقاء أكثر من خمس عشرة دقيقة. لم أفعل شيئًا خلال الأشهر الثلاثة الماضية سوى العمل الشاق على حملة كادلز، ومن حقي على الأقل عشرون دقيقة للاستمتاع بحفل يقام على شرفي. فكم مرة سأحظى بحفل استقبال مولود؟ رفعتُ زجاجة الرضّاعة وارتشفتُ جرعة طويلة و... يا للعجب! إنه عصير تفاح بالفعل. حسنًا، يبدو أنني لن أستمتع بهذه الحفلة كثيرًا.

كنتُ على وشك الاقتراح على شيلي أن نخرج لتناول مشروب بعد العمل، حين انفتح باب قاعة الاجتماعات وظهر وجه زوجي المألوف عند الباب. غمر صدري شعور دافئ من الفرح، كما يحدث دائمًا حين أرى سام على غير توقع. لا أصدق أن شيلي دعته!

إنها الأفضل حقًا.

نادت شيلي حين لمحته عند الباب: «ها هو الأب! سام! تعال خذ زجاجة!»

ارتفعت زاوية فمه بابتسامة مائلة. كلما ظهر فجأة، أشعر بوخزة حين ألاحظ كم هو وسيم. رجل مثله كان من السهل أن يكون وغدًا، لكنه في الحقيقة خجول نوعًا ما، وغالبًا ما يبدو محرجًا من تأثيره على الجنس الآخر. كما هو الحال عندما يناديه طلابه بالبروفيسور الوسيم. يرتدي النظارات لأن العدسات اللاصقة بلا جدوى في نظره، لم يشترِ في حياته زجاجة جل للشعر، ولا دخل متجر أرماني قط. ومع ذلك كله، ينجح دائمًا في لفت الأنظار.

قلت بابتسامة عريضة لدرجة أن فكي آلمني: «مرحبا. لا أصدق أنك لحقتَ بنا. ألم تكن لديك محاضرة بعد الظهر؟»

حكّ ذقنه الخشنة، لأنه يحلق يومًا بعد يوم، رغم أنه يحتاج للحلاقة يوميًا. ويبدو... جذابًا بشكل لا يصدق في أيام عدم الحلاقة. قال: «آه، نعم. اسمعي، آبي...»

رفع عينيه البنيتين ليلتقي بنظراتي. لزوجي عينان طيبتان جدًا. يقولون إن العينين نافذة القلب، وإن كان ذلك صحيحًا، فإن سام يملك أطيب قلب عرفته في حياتي. لديه الكثير من الصفات الجميلة، لكن عينَيه الوديعتين هما ما جعلاني أقع في حبه.

وبمجرد أن نظرت في عينيه، أدركت أن أمرًا فظيعًا قد حدث.

سألته، رغم أنني أراهن بكل ما أملك أنه ليس كذلك: «هل كل شيء على ما يرام؟»

ألقى نظرة خاطفة حول الغرفة، بينما توردت أذناه.

قال: «آبي، هل يمكننا التحدث؟ بالخارج؟»

ساد الصمت الغرفة فجأة. هناك أمر سيئ للغاية. لا أعرف ماذا سيقول لي، ولا أريد أن أعرف. أتمنى أن يعود الزمن بي للوراء، لخمس دقائق مضت. حين كنتُ أقضي وقتًا رائعًا إلى حد ما، في حفل استقبال مولودي الأول... وربما الوحيد. قبل أن يظهر زوجي، وينهار كل شيء.

الفصل الثالث

أمسك سام بيدي فور انضمامي له عند الباب. أحاط كفه الدافئ الكبير بكفي، وشدّني عبر الممر، متجاوزين نبتة خضراء كبيرة ومبرّد المياه.

«سام، ما الأمر؟»

«لنتحدث في مكتبك».

سحبتُ يدي من يده وأمسكتُ بمرفقه، وجذبته إلى الركن بجانب آلة النسخ. «لا، لنتحدث هنا».

تنقلت عيناه في المكان: «حسنًا، لكن... ربما ينبغي أن نحضر لكِ كرسيًا...». يريدني أن أجلس. يا إلهي. أكاد أتقيأ.

قلتُ بنفاذ صبر: «هل ستخبرني ما الذي يحدث بحق الجحيم؟»

ثبّت سام عينيه البنيتين على وجهي. تشكلت تجعيدة عميقة بين حاجبيه: «جانيل تراجعت».

«ماذا؟»

مرر يده في شعره البني الفاتح، كانت أصابعه ترتجف: «تلقيتُ الاتصال للتو من ستيف. قال إن جانيل غيّرت رأيها. تريد الاحتفاظ بالطفل».

شعرتُ بساقاي كأنهما من عجين. كان سام محقًا، كان يجدر بنا الذهاب إلى مكتبي. أو كان عليّ أن أُصرّ على احضار كرسي.

سألته: «لماذا؟»

زفر بضيق: «قال شيء عن أن أمها ستساعدها أو... لا أدري. الخلاصة أنها ستحتفظ به».

تلعثمت:«هل... هل يحق لها فعل ذلك؟ عقدنا يقول...»

أغمض سام عينيه لحظة، وحين فتحهما من جديد، لاحظتُ لأول مرة أنهما محتقنتان. قال: «يحق لها التراجع. لا يمكننا مقاضاتها من أجل طفلها. لن نربح القضية».

بدأ مجال رؤيتي بالانكماش. وكأنني في نفق مظلم. العالم كله يختفي، ولا أرى سوى وجه سام أمامي. تكونت غصة في حلقي، وعرفتُ أنني على وشك الانفجار بالبكاء.

«آبي؟» بدا صوته بعيدًا. «هل... هل أنتِ بخير؟»

همستُ: «لا. لستُ بخير».

ارتميتُ بين ذراعيه، وعلى الرغم من أن بعض الناس ما زالوا في مقصوراتهم وربما يروننا، أطلقتُ العنان لدموعي تنهمر. ربما كانت أطلقتُ ليست الكلمة الدقيقة. كنتُ عاجزة عن كبحها.

على الأقل سام بجانبي. حين وصله الخبر، كان وحده تمامًا. لا أستطيع تخيّل ما مرّ به. لقد أراد هذا الطفل بقدر ما أردتُه أنا. رأيت في عينيه كم هو محطم.

«سأقود إلى البيت، حسنًا؟ السيارة معي».

البيت. حيث غرفة الحضانة المجهّزة بالكامل لاستقبال طفل لن يأتي. كيف يمكننا العودة إلى هناك؟ لن أحتمل. وهناك أيضًا... حفلة استقبال المولود. لكن فكرة العودة إلى الغرفة التي تضم كعكة الحفاضات العملاقة تشبه طعنة في الصدر.

قلت: «يجب أن أخبرهم».

«سأتحدث أنا معهم، انتظري هنا».

سام زوج رائع حقًا.

عدم الإنجاب خطئي وحدي. هو سليم. حيواناته المنوية مثالية... ممتازة بكل المقاييس. أما أنا، فالمعيبة.

تمتمتُ: «ليس عليك فعل ذلك...»

أعاد بحزم أكبر: «سأتحدث أنا معهم. لكن لا تغادري من دوني. وعد؟» أومأت بصمت. لن أجادله.

قال: «سيكون كل شيء على ما يرام».

إلا أنني لست متأكدة مَن يحاول إقناعه؟ أنا أم نفسه؟

لم نتبادل أنا وسام كلمة واحدة في طريق العودة إلى البيت. حتى سيارة سام أصبحت تذكرة كئيبة بما فقدناه. منذ أن عرفته، كان يقود هوندا سيفيك موديل 1997. كانت قديمة حين اشتراها مستعملة، ووصل الأمر إلى حد أنه كان يتمتم بدعاء في كل مرة يدير فيها المفتاح. توسلتُ إليه أن يستبدلها بشيء أكثر أمانًا، مؤكدة أن لدينا المال لشراء أي سيارة يريدها، لكنه تمسّك بتلك السيارة كأنها طفله الأول.

حين تأكدنا أننا سنحصل على طفل بالفعل، ومن دون أن أطلب، تخلّص من السيفيك القديمة واشترى تويوتا هايلاندر جديدة تمامًا. سيارة دفع رباعي كبيرة وآمنة، وفي المقعد الخلفي مقعد أطفال مُثبت. مقعد ربما لن نستخدمه أبدًا. بمجرد أن وقعت عيناي عليه شعرت برغبة في الانفجار بالبكاء.

كان ينبغي أن أعود إلى البيت بالمترو.

عندما وصلنا، كانت عيناي متورمتين ووجنتايّ تلمعان بالدموع. تركني سام عند المدخل ليصفّ السيارة. فهو لم يسمح لي بدفع الرسوم الباهظة لموقف السيارات أسفل المبنى، كان يقضي نصف وقته يبحث في الحي عن موقف شاغر، وقد يجرّ نفسه من السرير في السادسة صباحًا في يوم إجازته لينقل السيارة

تفاديًا لمخالفة. كنت أنوي الإصرار على دفع ثمن الموقف بعد مجيء الطفل، لكن لم يعد هناك لزوم لذلك.

اجتاحني شعور بالاستياء من عناد سام بشأن موقف السيارات بينما كنت أصعد إلى شقتنا وحدي. لم أرغب أن أواجه الباب المفتوح لغرفة كان من المفترض أن تكون للطفل وحدي. لمحت عيناي خشب السرير البني الفاتح وطلاء الجدار الأصفر قبل أن أُغلق الباب بعنف حاد.

اهتز هاتفي داخل حقيبتي. لم أرغب في الحديث مع أحد، لكنني أفترضتُ أنها شيلي تحاول مواساتي. أخرجتُ الهاتف، فظهرت رسالة على الشاشة. لم تكن سوى رئيستي المفضلة، دينيس:

«يؤسفني ما حدث لكِ. أفترض أن بإمكاني إلغاء إجازتكِ العائلية البالغة اثني عشر أسبوعًا؟ كما أرجو إبلاغي في أقرب وقت ممكن إن كنتِ ستحتاجين إلى يوم إجازة شخصي غدًا».

بحق الله، ألا يمكن لهذه المرأة أن تتركني أحزن ساعة واحدة؟ كانت دينيس المرأة التي احترمها أكثر من أي شخص في هذا الكون، أما الآن فأنا أكرهها. لا، أكره ليست كلمة قوية بما يكفي لما أشعر به تجاهها. وحتى أمقت أو أشمئز، لا تؤديان الغرض أيضًا.

يجب أن يخترع أحدهم كلمة جديدة لوصف ما أشعر به الآن تجاه دينيس هولت.
ومع ذلك، لا شيء من هذا خطأها. قبل ساعة واحدة فقط، لم تكن أكثر من مصدر إزعاج في حياتي. لذا ربما عليّ أن أؤجل الرد على رسالتها الآن، لأنني لا أستطيع تحمّل مخاطرة توبيخ رئيستي. عملي هو كل ما تبقّى لي.
نظرتُ إلى ساعتي. كم يستغرق سام ليصفّ سيارة لعينة؟
بدأ الهاتف الأرضي بجانب الأريكة بالرنين. لا أعرف حتى لماذا نملك هذا الشيء اللعين، فجميع المكالمات المهمة نتلقاها على هواتفنا المحمولة. ولا أحد يتصل على هذا الخط سوى المسوّقون الهاتفيون. ومع ذلك، لا أمانع الصراخ في وجه أحدهم الآن. فقد يُشعرني ذلك بتحسن.
عبرتُ غرفة المعيشة لأجيب الهاتف، لكن قبل أن أصل، تعثرتُ بشيء وأصدمت ركبتي بطاولة القهوة. طاولتنا من الرخام الثقيل، واللعنة، هذا مؤلم. فركتُ ركبتي التي بدأت تحمرّ، وبحثتُ عن الشيء الذي تعثرت به. لقد كان سرير الرضيع الهزاز. ذاك الذي وصل هذا الصباح. بالطبع لابد أنه هو.

انتزعت السماعة من مكانها، مستعدة للصراخ في وجه الصوت الذي سيأتيني عبر الخط. شركة الاتصالات؟ أم شركة تأمين السيارات؟ لا يهم، سأصرخ في وجه أيّ كان.

لكن الصوت على الطرف الآخر لم يكن صوت مسوّق هاتفي. إنه صوت أنثوي شاب، متردد قليلًا. «مرحبًا؟»

قلت بنفاذ صبر: «نعم. ما الأمر؟». بدأت ركبتي تخفق بالألم. كان ينبغي أن أحضر كيس ثلج من المجمّد حتى لا تتورم، هذا إن كنت قادرة على المشي أصلًا.

«هل هذا... منزل الدكتور سام أدلر؟»

قطبت جبيني: «نعم...»

قالت الفتاة: «أوه، رائع» ثم أطلقت ضحكة خفيفة. «اسمي إبريل، وأنا في صف التفاضل والتكامل عند الدكتور أدلر، ولديّ بعض الأسئلة حول امتحان يوم الجمعة. هل هو... متاح؟»

لم أتفاجأ. فقبل بضع سنوات، جعلنا رقمنا غير مُدرج لهذا السبب تحديدًا. كانت الفتيات من صفوف سام يتعقبن رقم هاتف أستاذهن الوسيم ويتصلن به، على أمل... حسنًا، لا أعرف تمامًا ما الذي كنّ يأملن به. إنه يرتدي خاتم زواج، لذا أفترض أنهن كنّ يأملن بعلاقة عابرة. لكن إن كان هذا ما أردنه، فلماذا يتصلن به

في المنزل؟ فتيات الجامعة ساذجات.
وإذا كانت المكالمات التي يتلقاها هنا مؤشرًا، فلا أريد أن أتخيل ما يحدث حين يكون في الحرم الجامعي. لحسن الحظ، أنا أثق بزوجي.
قلت ببرود: «لا، هو غير متاح»
ضحكت مجددًا: «آه، يا للخسارة.. حسنًا، يمكنني أن ألتقيه في مكان ما لنتحدث أكثر. مثلًا، مساء السبت...»
هل تمزح هذه الفتاة؟ هذه ليست أول مرة أتلقى فيها اتصال من طالبة مغرمة، وعادة كنا أنا وسام نضحك على ذلك. لكن الآن، لا أشعر برغبة في الضحك.
همستُ في الهاتف: «اسمعي يا إبريل، أنا زوجة الدكتور أدلر، وأُرجو منكِ ألّا تتصلي به في منزله مرة أخرى».
اختفت نبرتها المرحة. «اوه، آسفة، لم أكن أعلم...»
دار المفتاح في قفل الباب الأمامي. أخيرًا تمكّن سام من صفّ السيارة اللعينة. تابعت قبل أن يدخل ويوقفني: «و أيضًا، لا تزعجي الدكتور أدلر مرة أخرى أبدًا. إذا سمعتُ أنك تواصلتِ معه، سواء هنا أو في الحرم الجامعي فسأحرص على إبلاغ العميد عنكِ بتهمة التحرش. هل فهمتِ؟»

دخل سام الشقة في منتصف الجملة. لا أعلم كم سمع من ثورتي الصغيرة، لكن عينيه البنيتين اتسعتا من الدهشة. أعتقد أنه سمع ما يكفي.

قالت الفتاة بصوت خافت. «حسنًا. آسفة».

قلت: «جيد» ثم أُغلقت السماعة بعنف.

هذه أفضل ميزة في الهاتف الأرضي. يمكنك إغلاقه بقوة. لا تحظى بمتعة الإغلاق الغاضب حين تكون على هاتف محمول. ماذا ستفعل؟ تضغط زر إنهاء المكالمة بغضب شديد؟

مرر سام يده في شعره، لكنه توقف في منتصف فروة رأسه كعادته، فوقف شعره منتصبًا. «آه... من كانت؟»

«إحدى طالباتك».

سقط فكه. «تحدثتِ بهذه الطريقة مع طالبة لي؟»

«أجل».

حدّقتُ فيه متحدّية، بانتظار أن يوبخني أكثر. لا أريد أن أتشاجر معه الآن، لكنني سأفعل إن لزم الأمر. سيكون ذلك سهلًا جدًا.

لكنه لم يبتلع الطُعم. بدلًا من ذلك، عبر الغرفة وجلس بجانبي على الأريكة. مدّ يده إلى يدي، وبلمسة واحدة، تلاشى غضبي كله. ولم يتبق سوى الحزن. والفراغ.

لا أصدق أننا لن نحصل على طفلنا. أردته بشدة. أكثر مما تستطيع الكلمات وصفه.

من المفارقات أن سام هو من اقترح في البداية فكرة إنجاب طفل، بينما كنت أنا المترددة. ليس أنني لم أكن أريد أطفالًا، كنت أريد بالطبع، لكن ليس قبل أن أبلغ الرابعة والثلاثين على الأقل، حين يكون مساري المهني قد استقر. كانت دينيس قد أسهبت طويلًا في التحذير من تأثير الأمومة على مستقبلي في ستيوارت، وقد ترك ذلك أثرًا عميقًا في نفسي. أردت الانتظار حتى الخامسة والثلاثين، قلت لسام حين تزوجنا ربما الرابعة والثلاثين، بحسب سير الأمور.

لكن سام كان يرى الأمر على نحو مختلف. كان والده في الأربعين حين وُلد، ثم توفي فجأة بنوبة قلبية وهو في المرحلة الثانوية. لم يشهد والده تخرجه من المدرسة الثانوية أو الجامعة، ولم يشهد تخرجه أستاذًا جامعيًا، ولم يكن حاضرًا في زفافه. رغم أن سام يتمتع بلياقة أفضل بكثير مما كان عليه والده، كان مرعوبًا من أن يكون «أبًا مسنًا» ويفوّت أجزاء كبيرة من حياة أطفاله. كان يخبرني بأسى أنه يخشى أن يموت وأطفاله ما زالوا في المدرسة.

وهكذا، بعد زواجنا مباشرة، بدأ يلح بلطف نحو رغبته في الإنجاب. كنت في السابعة والعشرين آنذاك، وكان الأمر غير قابل للمناقشة بالنسبة لي. لكن حين بلغ سام الثلاثين، صارت توسلاته أكثر إلحاحًا. وما إن قررت شيلّي وريك البدء في المحاولة، حتى استسلمتُ أخيراً.

حين توقفتُ عن تناول حبوب منع الحمل لأول مرة، كنت أشعر بمزيجًا من التوتر والحماس. كنت أمازح سام قائلة أنني آمل ألا يحدث الحمل خلال شهر أو شهرين. ومع ذلك، فوجئت حين جاءت نتيجة أول اختبار حمل سلبية. بصفتي امرأة سليمة في التاسعة والعشرين، كنت أفترض دائمًا أنني سأحمل فور نسيان حبة واحدةفقط. اعتبرت الأمر بمثابة مهلة إضافية، شهر آخر أقضيه دون القلق بشأن مسؤولية الأمومة وشيكة. ضحكنا أنا وسام على الأمر، وقلنا إننا بهذه الطريقة سنستمتع بوقتنا أكثر في بالمحاولة.
بعد مرور ستة أشهر، لم نعد نضحك.

أجرى سام فحصًا لنطفه. كانت مثالية تمامًا، وبحكم أعمارنا الصغيرة نسبيًا، شجعتني طبيبتي على الاستمرار بالمحاولة ستة أشهر أخرى قبل أن يتملكنا القلق. اقضت تلك الأشهر الستة، وأنجبت شيلي طفلها الأول، وما زال اختبار الحمل لديّ سلبيًا. آن الأوان للبحث في الأسباب بعمق أكثر.

ومن هنا بدأت الأمور تزداد سوءاً.

أخبرتني طبيبتي، أنني ربما أصبتُ بعدوى ما، خلّفت تندبات عميقة في رحمي، وخاصة في قناتي فالوب. قالت أن الحمل الطبيعي سيكون مستحيلًا. توجهنا مباشرة إلى التلقيح الاصطناعي، رغم تحذيراتهم لي من أن فرص النجاح ضئيلة نظرًا لكون رحمي غير مضياف.

كان سام يعطيني حقن الهرمونات في المنزل لتحفيز إنتاج البويضات، لكن حين سُحبت بويضاتي، وُصفت هي الأخرى بـ«رديئة الجودة».

شعرتُ بالفشل التام كامرأة. رحمي تالف، بويضاتي رديئة، وكل محاولات التلقيح الاصطناعي كلفتنا أموالًا وباءت بالفشل. انتابني الشعور بالذنب لأن زوجي طبيعي، ولن يستطيع انجاب الطفل الذي يتمناه بسببي، رغم قسمه مرارًا أنه لا يلومني.

وفي الوقت نفسه، كانت رئيستي دينيس تفتقر تمامًا للتعاطف مع حاجتي للذهاب إلى مواعيد طبيب الخصوبة. أو مع اضطراري لتأجيل اجتماعٍ ما حين أجهضتُ حملي الوحيد الناجح بعد ثلاثة أسابيع قصيرة.

لفترة من الزمن، تملكني هوس محموم بفكرة الإنجاب، فانغمستُ فيها بنفس الإصرار اللذي جعلني ناجحة في عملي. صرتُ نباتية لبعض الوقت، وشربت ما يُسمى بـ «شاي الخصوبة» الذي كان طعمه أشبه بالغبار المتراكم على طاولة القهوة. طرقتُ أبواب كل المنتديات والمجموعات المخصصة لمن يعانون من العقم، حتى أصبحتُ خبيرة بلغة المنتديات ورموزها الخاصة: فهناك رمز «رحلة المحاولات» أي أنني أحاول منذ ثلاث سنوات دون جدوى. أما «الزائرة غير المرغوبة» فكانت النزيف الشهري المخيف. الإعلان الصامت عن فشلٍ جديد.

ثم تأتي «أيام الانتظار»، تلك التي تلي عملية زرع الجنين في الرحم، وهي بمثابة عدٍّ تنازلي مرير حتى يحين الموعد المرتقب لـ«مواجهة الاختبار» والتبول فوق تلك العصا البلاستيكية اللعينة لمعرفة النتيجة.

وفي كل مرة كانت امرأة تعلن حملها على المنتدى، كنا نهنئها جميعًا، لكنني كنت أشعر بغصة في قلبي وكأن الدور لن يأتي عليّ أبدًا.

لو كان الأمر بيدي، لربما استمريتُ في محاولات الأنابيب حتى نفلس، لكن سام طرح فكرة التبنّي. كان يقول أنه سيكون طفلنا في نهاية الأمر. في البداية قاومتُ الفكرة، فقد سمعتُ قصص مروعة من نساء أخريات عن حالات تبني انتهت بنهايات مأسوية، لكن سام ألحَّ عليّ مجددًا حتى وافقت. وكان محقًا في ذلك، كنا نتوق لأن نصبح والدين، ولم يعد أمامنا خيارٌ آخر.

حين انغمسنا في عملية التبنّي، بدأتُ أشعر بتفاؤل حذر. كنتُ أريد طفلًا منذ ما بدا وكأنه دهر، وكان اقتراب تحقّق هذا الحلم أشبه بالمعجزة. لكن لا شيء في عالم التبنّي يحدث بسهولة. بعد اختيار الوكالة بعناية، خضعنا لما يُسمّى «الدراسة المنزلية» وهي عمليًا التفتيش الجسدي الكامل في عملية التبنّي.

زارتنا الأخصائية الاجتماعية مرارًا، تطلب كل وثيقة قانونية صدرت بحقّنا في حياتنا كلها. لم أفهم كيف لا يكتفون بالنظر إليّ وإلى سام ليعرفوا أننا سنكون والدين جيدين، لكن يبدو أن لديهم معايير أخرى.

بعد نيلنا الموافقة، بدأنا البحث عن الطفل المناسب. كان سام منفتحًا على فكرة طفل أكبر سنًا، لكنني كنتُ متمسكة برغبتي في الحصول على طفل حديث الولادة. فخلال كل تلك السنوات التي قضيتها في محاولة الحمل، كنت أحلم برضيع ضئيل، ولم أستطع التخلي عن ذلك الحلم. كنت أحيانًا أشعر بالذنب، لأنني أعلم أن هناك أطفالًا أكبر، في أمس الحاجة لمأوى، فاتفقنا أن تكون تجربتنا الثانية في التبنّي، وربما الثالثة لطفل أكبر. لكنني أردت أن تجربة شعور احتضان مولود جديد ولو مرة واحدة فقط. وقد كلّفنا ذلك عامًا كاملًا من الرفض من نساء حوامل عدة... إلى أن جاءت جانيل وحققت لنا حلمنا. حسنًا... كادت تحققه.

والآن، بعد أن امتلكنا كل شيء لفترة وجيزة جدًا، لم يعد لدينا أي شيء على الإطلاق.

همست لزوجي: «وماذا الآن؟»

اسند سام رأسه إلى ظهر الأريكة، محدقًا في السقف، وعيناه شاردتان. أحيانًا أغرق في بؤسي إلى حد أنني أنسى أن الأمر يعني له بقدر ما يعني لي. بل ربما أكثر. لقد أراد طفلًا حتى قبل أن أريده أنا. هذا يفتك به، أراه واضحًا في عينيه.

قال أخيرًا: «أظن أننا يجب أن نفكّر في تبنّي طفل أكبر سنًا»
حبستُ أنفاسي: «سام...»
قال بتوتر: «أعرف أنك كنتِ تأملين بمولود حديث. أعرف. لكن يا آبي، هناك الكثير من الأطفال الصغار بحاجة إلى منزل.»
نظرتُ إلى المهد الصغير الذي كاد أن يحطم ركبتي. مزيّن بشريط أصفر وزهور وردية صغيرة. بالأمس فقط، حين كنا لا نزال نؤمن أننا سنصبح والدين، وضعتُ داخله طقمًا صغيرًا. قطعة زرقاء بالكاد بحجم كفي، مع جوارب صفراء ضئيلة. تذكرت كيف وضعتُ أحد تلك الجوارب في راحة يدي، مذهولة من صِغَرها. كيف يمكن لإنسان أن يمتلك قدمًا صغيرة إلى هذا الحد؟ قبّلتُ الجورب برفق، وأنا أعلم أنه قريبًا سيدفىء قدم ابني الرضيع.
أعلم أن الأمر قد يبدو سخيفًا، لكن قلبي كان معقودًا على فكرة المولود الجديد. لا أشعر أنني مستعدة للتخلي عن حلم احتضان رضيع بين ذراعيّ، عن إدخال قدم صغيرة في ذلك الجورب الصغير.
قلت:«لقد اشترينا كل شيء خاصًا بالمولود. الملابس... السرير... سرير الرضيع... مقعد السيارة.»

أدار رأسه لينظر إليّ: «وماذا في ذلك؟ يمكننا شراء أشياء جديدة. إنها مجرد أشياء، يا آبي.»

نعم. مجرد أشياء. وليست الأشياء ما يجعلني مترددة.

«الجميع يريد المواليد الجدد، لكن الأطفال في دور الأيتام... إنهم بحاجة ماسّة إلى آباء. أريد أن نفعل ذلك، يا آبي. سئمت الانتظار. أريد فقط أن نكون والدين لطفل يحتاج إلينا.»

هو محق، بالطبع. عليّ أن أتخلى عن أوهامي الغبية منذ أيام محاولة الحمل. ولا يجب أن يفوتني أيضًا، أن لو أراد سام أن ينجب أطفالًا، فإمكانه أن يتركني من أجل فتاة مثل إبريل. فنُطفه طبيعية. أنا المشكلة. لكنه لن يفعل ذلك أبدًا.

قلت: «حسنًا، فلنفعل ذلك».

الفصل الرابع

كان أسوأ ما في الذهاب إلى العمل صباح اليوم التالي هو رؤية الآخرين. لو كان بإمكاني أن أُنقل خفيةً بسحر ما إلى مكتبي دون أن أضطر للكلام مع أحد، لكنتُ أسعد بكثير.

المسافة من محطة المترو إلى مبنى المكتب لا تتجاوز دقيقتين، مررتُ خلالهما بما يقارب خمسة آلاف امرأة، يدفعن عربات أطفال. لا أفهم ما الذي يفعله كل هؤلاء في الخارج في هذا الوقت المبكر. أحاول أن أتحاشى النظر إليهم بصعوبة. أحد الأطفال لا يمكن أن يتجاوز عمرها أكثر من شهر أو شهرين، وما زالت تحمل تلك الملامح الجنينية، بعينين صغيرتين مغمضتين ويدين ضئيلتين منقبضتين في قبضتين حمراوين. قبعتها سقطت عن رأسها، وأشعر برغبة في مدّ يدي وإعادتها مكانها. لو كانت طفلتي، لما سمحتُ لقبعتها أن تسقط، ولا لرأسها الصغير أن يبرد ولو للحظة. لم أكن لأُهمِل واجباتي تجاه القبعة.

لماذا ينتزع الكون طفلي مني؟

حين دخلتُ المكتب، ساد الصمت المكان كأنه موتٌ مفاجئ. لو كانت هناك موسيقى، لتوقفت بصرخة حادة. كل العيون عليّ وأنا أحاول الركض إلى مكتبي. كان الموقف كافيًا لجعلي أتمنى لو أنني أخذت ذلك اليوم إجازة شخصية.

أوشكتُ أن أصل إلى برّ الأمان حين كدت أصطدم بـ شيلي. كانت تقف مع امرأتين أخريين من المكتب.

حضرتُ حفلات استقبال مواليد لهن الثلاث خلال السنوات الخمس الماضية، ولم تنتهِ أيٌّ منها بمأساة مفاجئة.

سألتني شيلي: «هل أنتِ بخير يا آبي؟»

أجبتُ بابتسامة متكلفة: «بخير. أنا بخير. حقًا.»

وكنت أعني ذلك. حسنًا، أنا بخير إلى حد ما. اتصلتُ أنا وسام بالأخصائية الاجتماعية في الوكالة ليلة أمس وأخبرناهم أننا نريد توسيع خياراتنا للتبنّي. رأى سام أنه لا جدوى من الجلوس والشفقة على أنفسنا. سنكون بحال أفضل إن بدأنا إجراءات البحث عن طفل آخر. بينما كان يقول ذلك، بدا الأمر سخيفًا... لكنه اتضح أنه كان محقًا. لا يعني هذا إنني أصبحت بخير، لكن

ألم الطعنة في قلبي صار أقرب إلى وجعٍ مكتوم.

ومع ذلك، عانقتني شيلي، وفعلت المرأتان الأخريان الشيء نفسه، رغم أنني بالكاد أعرف أياً منهما.
قالت شيلي مشجعة: «ستحصلين على طفلك يومًا ما»
تجنبتُ النظر في عينيها. لستُ في مزاج خطابات التشجيع المتعالية. «نعم.»
قالت امرأة اسمها جان: «بصراحة، عليكِ أن تعتبرِي نفسك محظوظة. الأطفال ليسوا سوى عملٍ متواصل. أعني، الآن يمكنكِ الخروج للعشاء متى شئتِ دون أن تفكري حتى في جليسة أطفال».
وأضافت الأخرى، سيدني: «ولا تنامين أبدًا حين يكون لديك طفل. تمشين سنة كاملة وأنتِ تشعرين أنك زومبي. بل اجعليها خمس سنوات!»
ضحكت جان: «اجعليها ثماني عشرة!»
غمزتني سيدني؛ «يمكنك أن تأخذي أطفالي إن أردتِ يا آبي.»
نظرتُ إلى شيلي، التي أدركت مدى استيائي من هذه التعليقات. مَن يدري كم كانت ستستمر هذه النسوة الطيّبات في احتجازي

هناك، يعددن لي كم أنا محظوظة لأن أمر التبنّي قد أُلغي في اللحظة الأخيرة. لولا أن دينيس هولت ظهرت بنفسها.

كانا كعبا حذائيها من كريستيان لوبوتان يطرقان الأرض بقوة مع كل خطوة تخطوها. تقدمت دينيس نحونا مباشرة، بلا أدنى أثر للتعاطف في عينيها الزرقاوين. تسائلتُ إن كانت سعيدة لأن التبنّي فشل معي. لكن، بطريقة ما، أنا ممتنة لنظرتها الحجرية. على الأقل هناك شخص واحد يعاملني كالمعتاد.

قالت بحدة وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها:«أبيغيل. لقد أبلغتُكِ أنه يمكنك أن تأخذي اليوم إجازة شخصية. لكن إن كنتِ ستأتين إلى العمل، فبرجاء، ألا تعطلي طاقم الموظفين بأكمله.»

قالت جان: «آبي منزعجة! كنا نحاول رفع معنوياتها.»

قلت: «في الحقيقة، لا داعي، أنا بخير تمامًا. آسفة يا دينيس. سأذهب إلى... مكتبي.»

بفضل دينيس، تمكنتُ من الهرب دون المزيد من نظرات التعاطف أو العناق. تسللتُ إلى مكتبي وأغلقتُ الباب خلفي بعنف. أخيرًا... ملاذي الآمن.

إلا أن ركنًا كاملًا من مكتبي كان مغطى بهدايا حفلة استقبال المولود.

على الأقل كان لديهم من الحس ما يكفي لعدم إحضار كعكة الحفاضات.
لكن لماذا يظنون أنني أريد رؤية هذه الكومة الهائلة من الهدايا، كل واحدة ملفوفة بدرجة مختلفة من الورديّات الباهتة؟ لست بحاجة لفتحها كي أعرف أنها مليئة بملابس صغيرة ومرايل وهزازات. لطفل لن يأتي.
ألتقطتُ الهدية التي في أعلى الكومة. ملفوفة بورق أزرق عليه دمى دببة ومضارب بيسبول وكرات سلة، تتخللها عبارة: «إنه ولد». لمحتُ البطاقة فوجدتُ أنها من مساعدتي السابقة جيرتي، التي لم تستطع حضور الحفلة أمس لأنها كانت تجري العملية الثانية في وركها المكسور. أنا متأكدة أن الصندوق يحتوي شيئًا صغيرًا ولطيفًا سيكسر قلبي. آنذاك، ظننتُ أنه من اللطيف منها إرسال هدية. أما الآن فأنا أتمنى لو أنها لم تكلف نفسها العناء. أتمنى لو أن أحدًا منهم لم يفعل.
والآن عليّ أن أفكر كيف سأبيع حفاضات. رائع.
استرخيتُ في مقعدي الجلدي المريح. كنتُ في غاية السعادة يوم حصلت على مكتبي الخاص. وكان هذا الكرسي الفاخر كالحلوى التي تزين الكعكة. أما الآن؟ فلا يهم. كنت سأتخلى كل

شيء لو أن جانيل غيّرت رأيها مرة أخرى.

حاولتُ تنحية هذه الأفكار جانبًا وأنا أتفقد الرسائل على هاتفي. اتصلت أمي على خط المكتب ليلة أمس، بعدما حوّلتُ مكالمتها على هاتفي المحمول إلى البريد الصوتي. هي تتصل دائمًا مساء الأربعاء. بين موعد نادي القراءة وليلة الرقص. لكنني لم أكن لأتحمل الحديث معها. أمي ليست من النوع المُواسي، ولم تؤيد التبنّي يومًا.

كانت ترى أنه إن لم أستطع أنا وسام الإنجاب، فالأفضل أن نعيش بلا أطفال. فطفل شخص آخر يعني مشكلات شخص آخر. لم أرد أن أسمع منها كيف أنني هكذا أفضل حالًا.

انتهيتُ من فرز معظم الرسائل، وشعرتُ أنني أقتربتُ من الاستقرار النفسي، حين تسللت مونيكا إلى المكتب بحذر حاملة كوب قهوة لي. وعلى وجهها تلك التجعيدة العميقة ذاتها بين الحاجبين، مثل الجميع. لا بد أنهم يظنون أنني على بعد خمس دقائق من الإنهيار العصبي.

سألتني وهي تضع الكوب على مكتبي بعناية: «كيف حالك؟»

«أنا بخير. لكن... هل يمكنك إخراج كل هذه الهدايا من

مكتبي؟»

تلتفت بسرعة نحو كومة الهدايا. «أوه. آسفة! لم أكن أعرف ماذا أفعل بها. لم يرغب أحد في استرداد هديته، فـ...»

«لا بأس. أنا فقط... لا أريد النظر إليها.»

«بالطبع. سأخرجها من هنا فورًا.»

مددتُ يدي نحو الكوب، معتقدة أن قليلًا من القهوة سيفيدني. لكنني لاحظتُ أنه الكوب الذي اشترته لي شيلي الأسبوع الماضي كهدية مبكرة. الكوب الذي كتب عليه: «وقود الماما». واشتدّ الألم من جديد، من خفقة إلى طعنة.

لاحظت مونيكا تحديقي في الكوب، فاتسعت عيناها ووضعت يدها على فمها. «يا إلهي، أنا آسفة جدًا!»

قلتُ بصوت مخنوق: «لا بأس»

انتزعت الكوب من فوق مكتبي، وتوردت وجنتاها: «لا أصدق أنني فعلت ذلك. لم ألاحظ أصلًا. أنا غبية.»

عضّت شفتها بقوة حتى خشيتُ أن تجرحها. ليس خطأها، لقد التقطت واحدًا من أكوابي العديدة دون أن تدقق. كان ينبغي أن أكسر هذا الكوب بالأمس.

رغم أن مزاجي انحدر في الستين ثانية الأخيرة إلى عتمة أثقل.
قلت: «لا بأس. أنا بخير. لكن... تخلّصي من الكوب، رجاءً.»
عقدت مونيكا حاجبيها. «بالطبع. وإن احتجتِ للعودة إلى المنزل، فأنا متأكدة أن الجميع سيتفهم.»
«لا، أفضل أن أبقى هنا.»
قالت مبتسمة: «حسنًا، لقد أرسلت لكِ جدولك لليوم عبر البريد إن كنتِ قادرة، فهناك الكثير مما يجب فعله.»
هي لا تبالغ. بعد أن أعطتنا كادلز الضوء الأخضر للحملة الجديدة، فلابد أن لديّ عملٌ هائل. لا فرصة لاستراحة غداء حتى. ربما سأطلب من مونيكا أن تحضر لنا سلطتين من تشوبت للمرة الثالثة هذا الأسبوع، وسنأكل معًا في مكتبي.
عادةً، أحب الأيام المزدحمة. أحب أن أكون منتجة وأُبهر عملائي. لكن اليوم، يصعب عليّ استحضار أي حماس.
همستُ لنفسي«ليس وكأن لديّ شيئًا آخر في حياتي»
خفضت مونيكا عينيها.قالت: «آبي، أنا آسفة جدًا بشأن... حسنًا، ما حدث.»
أومأت. «هذه هي الحياة.»
تململت مساعدتي بتوتر. كانت تنقل ثقلها على كعبيها الأسودين،

وعيناها الداكنتان تتنقلان في الغرفة. يا لله... إنها تذكرني كثيرًا بنفسي في عمرها. كنتُ صغيرة ومتحمسة لإرضاء الآخرين. كنتُ أتعثّر في أخطائي محاولة إسعاد دينيس، ثم ألوم نفسي إن أحضرت لها قهوة في كوب يحمل عبارة غير لائقة. (وكأن هناك عبارة يمكن أن تزعج امرأة مثل دينيس هولت).

جزء مني يشعر براحة حقيقية لأنني تجاوزت تلك المرحلة من حياتي...وجزءٌ آخر يغار بشدة من مونيكا الشابة، الخفيفة، الخالية من الهموم، لدرجة أنني أرغب في البصق.

قالت: «من الرائع فعلًا أنكِ تحاولين التبنّي. هناك عدد هائل من الأطفال الذين يحتاجون إلى بيوت. أنا واثقة أنكِ ستجدين الطفل المناسب لكِ. فما الداعي لإنجاب المزيد من الأطفال بينما يمكنك احتضان طفل يحتاج إليكِ، أليس كذلك؟»

ترددتُ قليلًا، متسائلة إن كان أحدهم قد شارك هذه النميمة مع مونيكا، أم يجب أن أخبرها بنفسي. آه، ولمَ لا. «الحقيقة أن سام وأنا حاولنا أن ننجب طفلًا خاص بنا... لكننا لم نستطع».

شهقت بصوت خافت: «أوه، لم أكن أعلم. هل جرّبتما التلقيح الاصطناعي؟ هذا ما فعلته ابنة عمي».

أومأتُ، فلست راغبة في إعادة سرد القصة المؤلمة بأكملها.

«لم... ينجح الأمر».

«هذا فظيع...»

هززتُ كتفيّ وكأن الأمر لا يعنيني. كأنني لم أبكِ عند كل اختبار حمل سلبي.

تساءلت: «أليس هناك نساء يمكنهن حمل الحمل حتى نهايته من أجلكما؟ سمعتُ عن أخت تحمل الحمل لأختها؟ ألا يمكنك فعل ذلك؟»

أهز رأسي. «ليس لدي أخوات مستعدات لهذه المهمة».

«لكن... ماذا عن شخص آخر؟»

الحمل البديل. كان فكرة راودتني لفترة قصيرة. لكن سام هو من اعترض عليها.

قلت موضحة: «إنه طلبٌ كبير من شخص ما... أعني أننا سنستخدم بويضتها ورحمها، أي أننا سنطلب منها أن تحمل طفلها هي ثم تتخلى عنه في النهاية». تنحنحت. «نحن متحمسان للتبنّي الآن. لقد تجاوزنا تلك الفكرة».

لا، لن أحظى بمولود جديد أبدًا. لكن سام محق؛ هذا ليس مهمًا. فنحن نريد أن نصبح والدين. وأعلم أنني سأحب أي طفل سيدخل بيتنا.

قلتُ وأنا ألتفت لحاسوبي: «على أي حال، دعيني أستعد لاجتماع العاشرة. لا أريد أن أكون غير جاهزة. هل لديكِ نسخ مصوّرة من النموذج الأولي الذي أرسلته لكِ؟»

«نعم، خمس عشرة نسخة».

«وجهاز العرض جاهز؟»

«نعم، والعرض التقديمي محمّل بالفعل».

سمحتُ لنفسي بأول ابتسامة صادقة اليوم. مونيكا مذهلة. بصراحة، أظن أنها ربما تكون أفضل قليلًا مما كنت عليه في عمرها. إنها ملكة الكفاءة.

أقسم أن لا شيء يفلت منها. أنا محظوظة جدًا بوجودها. ومحظوظة بوجود سام. وبهذه الوظيفة. هناك الكثير من الأشياء الجيدة في حياتي. وقريبًا، سيكون لدينا طفل أيضًا.

«أنتِ الأفضل يا مونيكا».

«آه، سأحضر لكِ كوب قهوة جديد!»

أكاد أقول لها لا تهتمي، سأشرب القهوة من ذلك الكوب اللعين المكتوب عليه «وقود الماما». لكن لا. أريد كوبًا جديدًا. لا أريد أن أرى شيئًا يذكرني بكل ما فقدته بالأمس. كل الأحضان، وصوت التجشؤ الصغير، والليالي الساهرة بلا نوم، والتسنين،

والكلمات الأولى، والخطوات الأولى، والحضانة...
لا أحتمل التفكير في هذا أكثر من ذلك.
حين عادت مونيكا بكوب أبيض جديد يتصاعد منه البخار، كان يرتسم على وجهها تعبير غريب. وضعت الكوب على مكتبي واعتدلت في وقفتها، لكنها لم تنصرف. ظلت... واقفة مكانها.
رفعتُ حاجبيّ وأنا أرتشف بحذر من القهوة الساخنة. أعدّتها تمامًا كما أحبها، سوداء ومرة.
سألتها: «نعم؟»
عضّت على شفتها وقالت: : «أنا سأفعلها».
«تفعلين ماذا؟»
«سأكون الأم البديلة».
شرقتُ بالقهوة. وكان المشهد دراميًا للغاية. تناثر رذاذ القهوة من فمي، ليلطخ الأوراق البيضاء أمامي. أحمد الله أنني لم أكن آكل شريحة لحم، وإلا لاضطرت مونيكا إلى إنقاذي بمناورة هايمليك لإنقاذي من الإختناق. وأنا متأكدة أنها كانت ستفعلها بإتقان.
تمكنتُ أخيرًا من قول: «م... ماذا قلتِ؟»
توهجت وجنتاها الشاحبتان وقالت: «آسفة، أنا فقط... كنت أفكر و... أظن أننا يمكن أن نساعد بعضنا البعض».

قلت وأنا أمسح بارتباك آثار القهوة من على سطح مكتبي: «مونيكا، هذا... عرض كريم منكِ، لكنه من الغير مناسب إطلاقًا أن تفعلي شيئًا كهذا من أجلي. أقصد، نحن زميلتان عمل».

ضمت قبضتيها بقوة ، وفي هذه اللحظة بدت تشبهني كثيرًا حين كنت في عمرها، وكأنني أنظر في آلة زمن.

قالت: «اسمعي، كنت أرغب منذ فترة في العودة للدراسة والحصول على درجة ماجستير في التصميم الجرافيكي، لأن طموحي الحقيقي هو أن أصبح مديرة إبداعية. لقد كان هذا حلمي دومًا».

رفعتُ حاجبًا. «وماذا عن كتابة الإعلانات؟»

«أحبها، لكن التصميم الغرافيكي هو شغفي».

لسبب ما، هذا لا يفاجئني. لقد رسمت مونيكا اسكتشات لبعض إعلاناتنا، ومن الواضح أن لديها موهبة فنية. «ولِمَ لا تدرسين الماجستير في دروس مسائية؟»

هزت رأسها «إنه مكلف، وأنا غارقة أصلًا في ديون الجامعة. وأنتِ تعرفين طبيعة جدول العمل هنا. لن يكون لديّ وقت لكليهما».

لديها حجة قوية.

تابعت وعيناها تتلألآن: «ألا ترين يا آبي هذا هو الحل المثالي! يمكنني أن أمنحكِ الطفل الذي تريدينه، وأنتِ يمكنك مساعدتي في الحصول على درجتي العليا، وهو مبلغ زهيد لشخص مثلك لديه صندوق ائتماني وكل ذلك. إنها صفقة رابحة للطرفين».

نظريًا، كل ما تقوله مونيكا منطقي. لكن واقعيًا، الأمر جنوني.

«مونيكا، أنتِ لا تدركين عواقب ما تقولين. فكّري جيدًا فيما تعرضينه. هذا الطفل سيكون طفلك بكل ما تحمل الكلمة من معنى. هل أنتِ مستعدة حقًا للتخلي عن طفلكِ؟»

قالت بشرود «لست مستعدة لأن أكون أمًا. هناك الكثير مما أريد فعله في حياتي قبل أن أُقيَّد بطفل. أما أنتِ، فستكونين أمًا رائعة يا آبي. أي طفل سيكون محظوظًا بكونك أمه».

فركتُ عيني قائلة: «يا إلهي. أعلم أن نيتك طيبة، لكن... إنها فكرة سيئة. نحن زميلتا عمل و...»

قاطعتني: «سأستقيل».

سقط فمي دهشة. «ماذا؟»

«بمجرد أن يبدأ الحمل بالظهور. سأغادر حتى لا يصبح الأمر محرجًا. إذا استطعتِ تغطية إيجار سكني، طبعًا».

«لكنني ظننتُ أنكِ تريدين أن تصبحي مديرة إبداعية...»

«صحيح. لكن ليس بالضرورة أن يكون هنا. مع درجة الماجستير وخطاب توصية قوي منكِ، أنا متأكدة أنني سأجد وظيفة جيدة في وكالة أخرى».

كلا. هذا جنون. لن أفكر في هذا. أنا وسام سنتبنّى. مهما بدا هذا مغريًا، إلا أنه فكرة مروعة.

أضافت: «ونحن متشابهتان في الملامح. لذا سيشبهكِ الطفل تمامًا».

«لا يهمني ذلك».

«أحقًا لا يهمكِ؟»

تحركت في مقعدي، الذي أصدر صريرًا عاليًا تحت وزني وقلت؛ «أشعر فقط أنكِ لا تفكرين في الأمر مليًا. أنتِ تعرضين هذا لأنكِ تشعرين بالشفقة تجاهي».

أجابت بحزم: «كلا، أعرضه لأنني أحب حلّ المشكلات. وقد وجدت طريقة لنحقق كلتانا أحلامنا».

هي محقّة. سيكون هذا هو الطريق الوحيد للحصول على المولود الجديد الذي حلمتُ به. الحلم الذي ظننتُ أنه ضاع إلى الأبد. هل أفكر في هذا حقًا؟ يا إلهي، لا أصدق أنني أفكر فيه

بجدية.

قلت بحذر: «سنحتاج إلى عقد يضعه محامٍ. وسأحتاج إلى الاطلاع على تاريخكِ الطبي كاملًا. هل- سيكون ذلك- مقبولًا لكِ؟»

أشرق وجهها: «بالطبع. يمكنكِ الاطلاع على أي شيء تحتاجينه».

حركتُ القهوة السوداء في كوبي: «أحتاج إلى التحدث مع سام أولًا».

ابتسمت مونيكا كاشفة عن أسنان بيضاء مصطفة بانتظام. أتساءل إن كانت قد خضعت لتقويم أسنان. هل من غير اللائق أن أسألها؟

نعم. بالتأكيد هو كذلك.

الفصل الخامس

«لا. قطعًا لا. مستحيل. هل فقدتِ عقلكِ؟»

لم يبدُ سام متحمسًا على الإطلاق لفكرة أن تكون مونيكا أمًا بديلة لنا.

طرحتُ الأمر بأفضل طريقة ممكنة. طبختُ له عشاءه المفضل، دجاجًا مقليًا في المقلاة مع السبانخ بالكريمة. بدا مصدومًا من الطعام، نظرًا لحالتي المزرية ليلة أمس. لكنني أدركتُ أنه يعزو الأمر إلى حماسي المفاجئ تجاه آفاق التبنّي المستقبلية، ولم أصحّح له ظنه. ثم انتظرتُ حتى انتهى من طبقه وصار يستمتع بالشبع، ثم طرحتُ عرض مونيكا.

«لن تفكر في الأمر حتى؟»

دفع سام نظارته إلى أعلى أنفه. «لو سألتِني إن كنتُ أرغب في القفز من فوق جسر وقلتُ لا، فهل ستسألينني إن كنتُ بحاجة للتفكير؟»

«توقف عن المبالغة الدرامية.»

«مبالغة درامية؟ أنا الوحيد العاقل هنا.»

رغم تحفظاتي الأولية، إلا أنني بدأتُ أميل لفكرة مونيكا خلال الساعات العشر الماضية. وكلما فكرتُ فيها أكثر، أدركتُ أنها ربما تكون جواب دعواتنا.

«لقد قابلتَ مونيكا، إنها رائعة فعلًا. لا أستطيع تخيّل شخص أفضل للتبرع بالبويضات.»

حدّق بي بعينين ضيقتين. «أيّ واحدة كانت مونيكا؟ الشقراء ذات النمش؟»

«لا، شعرها داكن وعيناها داكنتان. هي... آه، في الحقيقة تشبهني قليلًا.»

هزّ رأسه: «لا أدري. لا أذكر إن كنتُ قابلتها. لا يهم. الفكرة سيئة.»

«أعطني سببًا وجيهًا واحدًا.»

«سبب واحد!» انفجر سام، واحمرت أذناه. وبرغم كل شيء، لا أستطيع منع نفسي من التفكير في أن سام يبدو مثيرًا حين يغضب. لا عجب أن طالباته يتصلن بالمنزل دائمًا.

«سأعطيكِ خمسة أسباب وجيهة.»

«حسنًا. أعطني خمسة.»

رفع إصبعًا ولحسن الحظ ليس الأوسط. «الأول، ألن يكون العمل مع المرأة التي تحمل طفلكِ أمرًا بالغ الحرج؟»

«قالت إنها ستستقيل عندما يبدأ الحمل بالظهور.»

تجاهلني وتابع. «الثاني، دفع تكاليف الدراسات العليا ليس بالأمر الرخيص.»

«أرخص من التبنّي. ونحن نستطيع تحمّل التكلفة.»

«أنتِ تستطيعين تحمّلها.»

«نحن نستطيع.»

قلّب عينيه، ولم يعلق. «الثالث، ماذا لو غيّرت رأيها؟»

«لن يكون هذا عقد تبنٍّ تقليديًا. أعني، سنستخدم نُطفك، لذا سيكون لكَ حق قانوني في الطفل.»

زحف الاحمرار من أذنيه إلى عنقه. «نعم، وهذا سبب آخر. لستُ مرتاحًا لفكرة استخدام نُطفي.»

«ليس وكأنك ستضطر لممارسة الجنس معها...»

«أوه، حقًا؟»

«انظر. أليس هذا ما أردته؟ أن يكون لنا طفلًا بيولوجيًا؟»

خفض عينيه. «كنتُ أريد طفلًا بيولوجيًا معكِ يا آبي. هذا... هذا الأمر غريب. لا أريد فعل ذلك.»

«حسنًا. لكن لا يمكنكَ إنجاب طفل بيولوجي مني». عقدتُ ذراعيّ أمام صدري وأكملت: «لأنني معيبة.»
«توقفي. أنتِ لستِ معيبة.»
كافحت دموعي: «بل أنا كذلك. لذا إن كنتَ تريد طفلًا بيولوجيًا، فهذه هي الطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك.»
مرر سام يده في شعره. «يا إلهي. هذه فكرة سيئة. كنا سنتبنّى. فلنلتزم بالخطة.»
انهمرت الدموع وسالت على وجنتيّ. «لا يمكنني تحمّل المزيد من خيبات الأمل يا سام. مونيكا... فتاة رائعة. لن تخيّب أملنا، أنا متأكدة.»
ظل يهزّ رأسه معترضًا. «آبي...»
«يمكن أن يكون لدينا طفل خلال عام. مع الوكالة، لن يكون الأمر أسرع من ذلك أبدًا.»
كانت هذه الجملة الأولى التي هزّت قناعات سام . إنه يفكر مجددًا في كونه «أبًا مسنًا». رغم أنه كان في الثلاثين حين بدأنا، إلا أنه الآن على بُعد سنوات قليلة من الأربعين. سيكون أبًا مسنًا، شئنا أم أبينا. السؤال هو: كم سيكون عمره حينها؟

تنهد: «لا أدري يا آبي» ثم بدأ يجمع أطباق العشاء من الطاولة ليضعها في غسالة الصحون. يفعل ذلك كل ليلة دون أن أطلب.

قال: «ما زلتُ أعتقد أنها فكرة سيئة.»

توسلتُ إليه: «هل يمكن أن تقابل مونيكا على الأقل؟ استمع إليها؟»

تردد. وفي تلك اللحظة، عرفتُ أنني قد نِلتُ مرادي..

الفصل السادس

كانت مونيكا تبدو وكأنها في مقابلة عمل. ترتدي سترة بدلة رمادية مع تنورة مطابقة، وقميص أبيض ناصع إلى حد اللمعان. وضعت مساحيق تجميل، لكنها كانت موزعة بإتقان جعل وجهها يبدو طبيعيًا تمامًا. شعرها الداكن مسحوب إلى الخلف في كعكة مشدودة. أصابعها متشابكة فوق طاولة المطعم بقوة جعلتها تبدو شاحبة.

أما سام، فكان يبدو وكأنه هو من يُجري مقابلة العمل. كان يرتدي هو الآخر قميصًا أبيض مكويًا بعناية وربطة عنق خضراء. تنزلق نظارته إلى أسفل أنفه بينما يحدّق في مفكرة قانونية صفراء أمامه، كما لو أنه ينوي تدوين الملاحظات خلال العشاء. هكذا إذن، وداعًا لمحاولة جعل مونيكا تشعر بالإرتياح.

كان المشهد ليبدو مضحكًا لولا أن حياتي بأكملها متوقفة على هذه المقابلة.. هذا هو سام باختصار، يأخذ كل شيء بجدية مفرطة. قد يكون الأمر لطيفًا... إلا حين يكون مزعجًا، كما هو الآن. جعلني هذا الموقف أستعيد ذكرى لقائنا الأول.

كنتُ حينها لا أزال المساعدة الشخصية لدينيس في ستيوارت للإعلانات، وكنا نُعدّ حملة للجامعة التي كان سام يدرس فيها للحصول على الدراسات العليا في قسم الرياضيات. كانت مهمتي أن ألتقي طلاب الدراسات العليا في الأقسام المختلفة وأجمع أبرز النقاط التي يمكننا استخدامها في المواد الدعائية.

كانت المهمة ممتعة في أغلبها. فقد أراني طالب الفنون لوحات مذهلة رسمها زملاؤه. وعرض لي طالب الكيمياء تجربة في المختبر. وأخذني طالب الأدب الإنجليزي في جولة في الحرم الجامعي، ثم عرض عليّ تدخين سيجارة حشيش في مكتبه.

أما سام، فقد حضر اجتماعنا في مكتبه مرتديًا قميصًا رسميًا وربطة عنق. ثم أمضى نصف الساعة التالية يعلّمني الرياضيات. شيئًا عن حلول المتسلسلات للمعادلات التفاضلية، ومن يدري ما هذا بحق السماء؟ كنت سأغفو تمامًا لولا أنه كان جذابًا إلى حدٍ لا يُحتمل في قميصه وربطة عنقه. ما زلت أتذكره وهو يشير إلى سطر من الرموز اليونانية على السبورة البيضاء ويقول بحزم: «هذا يجب أن يوضع في كتيبكم الدعائي».

قلتُ متظاهرة بتدوين الملاحظة: «نعم، بالتأكيد».

ثم انتهزت أول لحظة لم يعد الانصراف فيها وقاحة، وقفتُ ومددتُ يدي نحوه قائلة: «شكرًا جزيلًا، سيد أدلر. كان هذا... مفيدًا حقًا».

وعندما تصافحنا، لاحظتُ أن المصافحة طالَت أكثر مما توقعت. التقت عيناه البنيتان الطيبتان بعينيّ، وارتسمت ابتسامة خجولة على شفتيه وهو يقول: «إذًا، آه... هل... قد لا تمانعين في... ربما تناول العشاء معًا؟»

ترددتُ قليلًا. فقد سبق أن رفضتُ طالب الأدب الإنجليزي، الذي صار متماديًا في لمساته بعد أن دخّن تلك السيجارة. فضلًا عن أنه كان يملك لحية كثيفة وتفوح منه رائحة عرق كريهة. أما سام فكانت رائحته طيبة. ولا أزال حتى الآن أحب رائحة العطر الذي يضعه يوميًا دون استثناء.

أضاف قائلًا: «أحتاج أن أكمل لكِ شرح المعادلات التفاضلية».

قلتُ: «اتفقنا. سأذهب لتناول العشاء معك، لكن بشرط أن تعدني بألا تتحدث عن المعادلات التفاضلية مجددًا بقية الليلة. ولا أي نوع آخر من المعادلات».

توقعتُ نصف توقع أن يضع يده على صدره بهلع ويقول: «لكن عمّ سنَتحدث إذًا؟» لكنه ابتسم بدلًا من ذلك وقال: «اتفقنا».

تبين لاحقًا أن لدينا الكثير لنتحدث عنه تلك الليلة. حتى أننا لم نغادر المطعم إلا بعد منتصف الليل بوقت طويل. بل إنني كنت في منتصف جملة حين انحنى سام وقبّلني للمرة الأولى.

وها نحن ذا، بعد مرور أكثر من عشر سنوات، نُجري مقابلة مع امرأة لكي تحمل طفلنا في رحمها تسعة أشهر. لم أكن لأتوقع هذا أبدًا.

كان سام صريحًا جدًا في أنه غير متحمس لهذا الأمر. لكنه وافق على لقاء مونيكا ومناقشة الفكرة. إذا اقتنع بالشروط، ف... حسنًا، لم يقدّم أي وعود. فأحيانًا يكون عنيد جدًا.

اخترنا مطعمًا إيطاليًا لم نزره من قبل، لأنني لم أكن أريد أن يسمع طاقم أحد مطاعمنا المعتادة حديثنا، بينما نطلب من امرأة أن تؤجّر رحمها لنا. كان المطعم صغير ومظلم، فأخذ سام يضيق عينيه محاولًا قراءة ملاحظاته على ضوء الشمعة فوق طاولتنا.

قلت لكسر الجليد: «أعلم أن الأمر محرج قليلًا، لكن أظن أنه سيكون من الرائع أن نتعرف إلى بعضنا أكثر».

قال وهو ينقر بالقلم على الدفتر: «آه، نعم، بالتأكيد. مونيكا، هل تعيشين في مانهاتن؟»

أومأت بحماس: «نعم. أعيش في وسط المدينة مع رفيقة سكن»

«وما اسم رفيقة السكن؟»

«تشيلسي ويليامز».

دوّن الاسم، ثم جعلها تملي عليه رقم هاتف رفيقتها، فدونّه أيضًا. كدتُ أنتزع القلم من يده.

همستُ له: «سام، أنت تتصرف بفظاظة».

قالت مونيكا بسرعة: «لا، لا بأس، أفهم أن هذا قرار مهم جدًا بالنسبة لكما. أي شيء تريدان معرفته، فأنا كتاب مفتوح».

عبثت بالزر العلوي لقميصها الأبيض. قميصها مُزرّر حتى العنق. لاحظتُ أن هذا أسلوبها دائمًا. مونيكا ليست فتاة غير جذابة، لكنها تبدو متحفظة جدًا في إظهار أنوثتها في العمل. غالبًا ما ترتدي سراويل أو تنانير تحت الركبة. افترضت أن لديها صدرًا هناك في مكان ما، لكن لا يمكن ملاحظته، وهذا شيء أحترمته فيها. فكثير من الفتيات مستعدات لإظهار القليل من مفاتنهن للحصول على ما يردن، لكن مونيكا لم تكن كذلك. لديها نزاهة.

اقترب النادل لأخذ طلبات المشروبات. طلبتُ كأسًا من النبيذ الأحمر، لأنني بحق السماء بحاجة إليه. إكتفى سام بالماء، ثم التفت النادل إلى مونيكا يسألها: «وأنتِ يا آنسة؟»

ألقت نظرة على القائمة بينما كنت أحاول إرسال رسالة ذهنية لها: لا تطلبي كحولًا. إياك!

قالت: «الماء يكفيني أيضًا، شكرًا».

أومأ سام رأسه بموافقة صامتة. ليس لأنه لا يشرب، لكن الليلة يجب أن تكون مونيكا قديسة.

سألها سام بعد أن غادر النادل: «هل تمانعين إن سألتُ بعض الأسئلة عن عائلتك؟»

«بالطبع لا. كما قلتُ، أنا كتاب مفتوح. أريد حقًا أن ينجح هذا الأمر».

وضع قلمه على الطاولة وحدّق فيها بتمعن: «لماذا؟»

رمشت عدة مرات متسائلة: «ماذا تقصد؟»

قال: «أفهم أنكِ تحترمين آبي وتريدين لها أن تُنجب طفلًا. لكن إن سمحتِ لي، تبدين متلهفة جدًا لتحقيق هذا الأمر، لماذا؟»

ركلتُ ساق زوجي تحت الطاولة. «سام...»

قال بدون أن يحيد بنظره عن وجه مونيكا: «أظن أنه سؤال وجيه. أليس كذلك يا مونيكا؟»

ألقت بنظرة سريعًا نحوي، ثم أومأت. «نعم، إنه سؤال وجيه».

وصل النادل في هذه اللحظة ليضع المشروبات. ماء لسام ومونيكا، نبيذ لي. ارتشفت جرعة كبيرة.

«دكتور أدلر، آبي أخبرتني أنكَ أستاذ رياضيات».

تردد قليلًا، ثم أومأ.

«لذا أفترض أنكَ تحب الرياضيات كثيرًا».

«نعم».

شهقت ساخرة. فهذا أقل ما يقال عنه.

«فلنفترض أنكَ أنهيتَ الجامعة ولم يُسمح لكَ باستكمال الدراسة لتعلّم الرياضيات»، ثم أخذت رشفة من الماء. «وكانت تكلفة مواصلة الدراسة أعلى مما يمكنك ادخاره خلال مدة معقولة. ماذا كنتَ ستفعل؟»

«كنتُ سآخذ قرضًا».

«وماذا لو كانت أقساط القرض أعلى من قيمة إيجارك؟»

صمت سام لحظة ثم أجاب: «هناك دائمًا حل».

إلتقت عيناها بعينيه. «بالضبط! هناك دائمًا حل».

عبس في وجهها. ثم إلتقط الماصة من كوب الماء وبدأ يحرّك مكعبات الثلج. بعد دقيقة من الصمت، عاود الإمساك بالقلم. ثم سألها:«متى كانت آخر مرة خضعتِ فيها لفحص طبي شامل؟»

ابتسمتُ في سرّي. ربما لا تدرك مونيكا ذلك، لكنها نجحت في اقناعه.

وهكذا اقتربنا خطوة أخرى من طفلنا.

الفصل السابع

قالت شيلي: «من واحد إلى عشرة، كم تبلغ درجة كرهك لدينيس؟»

أجبت: «اثنا عشر».

«أذكّركِ أن المقياس من واحد إلى عشرة فقط».

«مئة».

«أشعر أنكِ لا تأخذين معايير هذا السؤال على محمل الجد».

أشرتُ للنادل بأننا جاهزتان للطلب. لا يمكننا أن نمكث طويلًا في المطعم اليوم، لأن دينيس رأتنا نغادر. وسألت بحدّة واضحة إلى أين نحن ذاهبتان. وحين أجابت شيلي «لتناول الغداء»، بدت عليها الدهشة. لا أدري إن كنتُ قد استخدمت كلمة «دهشة» من قبل، لكن التعبير الذي ارتسم على وجه دينيس حين أبلغناها أننا سنغادر المبنى لتناول الغداء كان التجسيد الأمثل لمعنى الكلمة.

اقترب النادل من طاولتنا حاملًا كأس نبيذ مملوءًا بسائل أحمر داكن، ووضعه أمامي. كتمت رغبتي في التعبير عن استيائي، فسوء الخدمة أمر لا أطيقه.

قلت للنادل: «لم أطلب ذلك».

قال وهو يومئ برأسه نحو البار. «أعلم، ذلك السيد هناك طلب مني أن أحضر لكِ كأس بينو نوار».

نظرتُ نحو البار، حيث رفع رجل أشقر شعره كأسه وغمز لنا. على وجهه ابتسامة واثقة، ويرتدي بدلة عمل رمادية. من ماركة بروكس براذرز أنا شبه متأكدة.

ضحكت شيلي: «يبدو أن لديكِ معجبًا آخر يا آبي».

دفعتُ الكأس بعيدًا عني: «ربما هي لكِ».

أصرّ النادل ذو الوجه الطفولي: «لا. لقد قال إنها للسيدة ذات الشعر الأسود بالفستان الأبيض. كما قال إنه يأمل أن تنضمي إليه بعد الغداء».

ضحكت شيلي أكثر: «أخبرتُك إن لديكِ معجبًا».

توهجت وجنتاي وأنا أدفع الكأس بعيدًا: «ولديّ زوج أيضًا. من فضلك خذ الشراب».

أضافت شيلي للنادل، الذي كنت متأكدة أنه غير مهتم: «وزوجها وسيم جدًا»،

على قدر ما كان الموقف محرجًا، لا يمكنني إنكار أنه عزّز ثقتي بنفسي. أحيانًا أشعر أن سام يزداد وسامةً مع تقدّم العمر، بينما تتلاشى ملامحي أنا. فلم أعد أتلقى الإعجاب كما كنت من قبل.

كان من الجيد أن أعرف أن غريبًا وسيمًا في مطعم مكسيكي رآني من بعيد ووجدني مرغوبة.

نظرتُ إلى ساعتي، وأنا ألعن نفسي لأني لم أطلب من النادل أن يأخذ طلبنا أثناء وجوده هنا.

رفعت شيلي حاجبيها نحوي: «متى الاجتماع الذي يجب أن تعودي له؟»

«الواحدة والنصف. لكن لا بأس. مونيكا تتولى تجهيز كل شيء».

هزّت شيلي رأسها بإعجاب. «جميل. إنها شديدة الكفاءة».

«في الحقيقة، هي رائعة. أنا معجبة بها حقًا».

«وأنا كذلك».

قلت بينما أراقب وجه صديقتي المقرّبة: «معجبة بها إلى درجة... أنني طلبت منها أن تكون أمًّا بديلة لي ولسام حتى نتمكن من انجاب طفل».

ضحكت شيلي. فقد حسبتني أمزح. إذ سبق وأخبرتها بعد فشل محاولة التبنّي، أننا سنسعى لتبني طفل أكبر سنًا. لذا بدا قولي هذا كدعابة. وبصراحة، حتى وأنا أنطق الكلمات، بدت هزلية.

فمن ذا الذي يطلب من مساعدته أن تحمل جنينًا في رحمها؟

ونحن الذين تسلمنا في الشهر الماضي فحسب مذكرة تمنعنا حتى من تكليف مساعدينا بغسل ثيابنا!

تنحنحتُ وقلت: «أنا لا أمزح».

ضحكت بسخرية: «أجل، طبعًا».

لم أعلق.

ثم انفتح فم شيلي دهشةً: «انتظري. هل أنتِ جادّة؟»

«نعم. أنا جادة».

حدقت بي، وهزّت رأسها: «أنا... لا أفهم...»

أوجزت لها سريعًا كل ما حدث حتى الآن: عرض مونيكا. بنود العقد الذي سنوقعه. وموافقة سام المترددة على التفكير بالأمر.

تمتمت شيلي: «لا أصدق أن سام يسايرك في هذا. كنت أظنه أعقل من ذلك».

«إذًا لا تعتقدين أن لديّ أي عقل؟»

«بالتأكيد لا!»

اشتعل وجهي غضبًا. شيلي لا تفهم. حين بدأنا هنا كمساعدتين، كنّا عازبتين وسعيدتين بذلك. ثم التقيتُ سام، وهي التقت ريك، وتغيّر كل شيء.

بعد أن أقنعني سام بمحاولة إنجاب طفل، بدأت شيلي المحاولة أيضًا. كنا نمزح حول تقارب الأعمار ليتمكنوا من اللعب معًا. وحين حملت شيلي قبلي، مزحنا بأن ابنتها ستكون الأخت الكبرى لطفلي. ثم حملت مرة أخرى، وأُبلغتُ أنا بأن بويضاتي معطوبة.

وبرغم أن شيلي ما زالت صديقتي المقرّبة، فإنها تتجنب بحذر الحديث عن أطفالها أمامي. قد نتحدث عن العمل، عن أزواجنا، أو عن آخر الأفلام. لكن ليس عن الأطفال. ليس حتى ظهر وعد التبنّي الذي فشل. كانت شيلي تعرف كم أرغب في هذا بشدة. وتعرف كم يعني لي.

قلت أخيرًا: «أنتِ لا تفهمين»

تنهدت بينما ترتشف الدايت كولا: «أعرف أنكِ تريدين هذا يا آبي. أفهم. لكن... ألا ترين حقًا لماذا هذه فكرة سيئة؟»

«لا».

«ستستخدمين نُطف سام، صحيح؟»

«آه... نعم».

قالت: «إذًا. هذه المساعدة الجميلة التي تصغركِ بأكثر من عشر سنوات ستحمل طفل زوجك. ألا يزعجك ذلك؟»

قلت بثقة: «سيكون طفلنا. طفل سام وطفلي».
رمقتني بحدة: «إلا إذا غيّرت مونيكا رأيها وقررت أنها تريده، وعندها سيضطر سام إلى دفع نفقة هذا الطفل. أو ما هو أسوأ».
هززت رأسي بقوة وقلت: «لا. لن نوقّع العقد إذا كان يُسمح لها بتغيير رأيها».
«وهل يمكن فعل ذلك قانونيًا؟»
«بالتأكيد. لمَ لا؟»
واصلت شيلي هزّ رأسها. أعلم أنها لا توافق، لكنني كنت أتمنى دعمها رغم ذلك. لديها طفلاها. والآن حان دوري.
قلت: «توقفي عن النظر إليّ بهذه الطريقة. إنها ليست فكرة سيئة»
طوت ذراعيها على صدرها: «اسمعيني يا آبي. سأحاول شرح الأمر لكِ بأفضل طريقة ممكنة. أنا متأكدة أنكِ لاحظتِ أن سام يمتلك بعض الصفات الجسدية التي تجدها النساء... مثيرة».
نعم، لا شك في ذلك. حين حاول قسم الرياضيات قبل سنوات جذب مزيد من الطالبات، وضع صورة سام في الكتيّب، وذكر أنه أحد أساتذتهم. حينها، وجد سام الأمر محيّرًا، لكنه وافق. والغريب أن الأمر نجح. وتضاعفت طلبات التحاق الطالبات

بفضله. كانت بالفعل فكرة عبقرية.

سام ليس مجرد رجل وسيم فحسب. فقد قرأتُ بعض التقييمات التي يكتبها طلابه، ومن الواضح أنهم يجدون طريقته في تدريس المادة جذابة بقدر جاذبية ملامحه. فهو يتحمس لتدريس حساب التفاضل للمستجدين كما يتحمس لدروس الدراسات العليا. كتبت إحدى الطالبات: لم يسبق أن كان لديّ أستاذ متحمّس لتدريسي الرياضيات مثل الدكتور أدلر.

وربما—أو ربما لا—ذكرت مؤخرته. وإنصافًا للحق، زوجي يملك مؤخرة مثيرة بالفعل.

قلت: «أعلم».

«وألا تعتقدين أن مونيكا لاحظت ذلك؟»

انتفضت قائلة: «إنها ليست من هذا النوع».

«حقًا؟ إنها أنثى، أليس كذلك؟ إن لم تكن مثلية، فقد لاحظت. ثقي بي».

«وماذا في ذلك؟»

رمقتني شيلي بنظرة ذات مغزى: «وماذا في ذلك؟ ماذا لو قررت أنها تريده؟»

«شيلي...»

رفعت إصبعها في وجهي: «اسمعيني حتى النهاية، لنفترض أن نواياها طيبة عند دخولها هذا الأمر...»

«هي كذلك».

قلبت عينيها. «حسنًا، سنفترض ذلك. لكن حتى لو كان ذلك صحيحًا، فكّري كيف ستشعر بعد بضعة أشهر من الحمل. الهرمونات في أوجها، كائن ينمو في رحمها، تزداد وزنًا، وتعرف أن سام هو والد هذا الطفل. بينهما رابط دم. وبالطبع، سترى كم هو رجل رائع، يغسل الصحون، ويهتم بالغسيل، ويُقبّل ببراعة...»

لا أستطيع مجادلة أي من ذلك. سام فعلًا يغسل الصحون ويهتم بالغسيل. و... يُقبّل ببراعة بالفعل.

قلت بعناد: «أنا أثق بسام. وأثق بمونيكا».

«سام، حسنًا. ربما لن يخون. لكن... إلى أي مدى تعرفين مونيكا؟»

أصررت: «أعرفها جيدًا، إنها مساعدتي منذ ما يقارب ستة أشهر».

«تمام. إذن تعرفينها منذ ستة أشهر. وهذا ليس وقتًا طويلًا على الإطلاق».

«أنا أثق بها». كان من الصعب عليّ شرح ذلك الشعور الجيد الذي انتابني أول مرة جلست فيها قبالة مونيكا. كيف رأيتُ الكثير فيها من نفسي، وكيف رغبتُ في احتوائها وإرشادها. أنا أثق بمونيكا بقدر ثقتي بنفسي.

حدّقت فيّ شيلي من فوق حافة كوبها بشرود، ثم قالت: «تعلمين، لقد رأيتها تقف خارج باب مكتبك وتتنصّت».

خفق قلبي بشدة. «ماذا؟»

«رأيتها. تقف خارج باب مكتبك حين يكون مغلقًا، وأظنها تحاول سماع محادثاتك».

فجأة شعرت بجفاف حلقي. مونيكا جديرة بالثقة. أعرف ذلك. لا أحتاج سماع هذا الهراء من صديقتي المفترضة. «ربما كانت فقط تتأكد إن كنتُ مشغولة قبل أن تطرق الباب».

«لكن أليس هذا هو الهدف من الطرق؟ لمعرفة إن كان الشخص مشغولًا؟»

حدقت بها بغضب. «إذن... ماذا؟ هل تقولين إن مونيكا تتجسس عليّ؟ أهذا ما تعتقدينه؟»

توهجت وجنتا شيلي. قالت: «لا. انظري، كل ما أقوله يا آبي هو كوني حذِرة. لا يمكنكِ الوثوق بأحد ثقة مطلقة. خصوصًا حين يتعلّق الأمر بشيء كهذا».

تمتمت: «أجل».

هي محقّة. ولهذا نويت التحقق من جميع مراجع مونيكا قبل الإقدام على هذا الأمر. أنا لا أرتكب أي خطأ. ولا يهمني ما تقوله شيلي. أنا أعرف مونيكا، ويمكنني الوثوق بها.

كل شيء سيسير على ما يرام.

الفصل الثامن

«نعم، هذه جين جونسون. من المتحدث؟»

قبضتُ على هاتفي المحمول بإحكام شديد حتى بدأت أصابعي تشعر بالوخز، قلت: «مرحبا، اسمي أبيغيل أدلر. ابنتكِ مونيكا...» لم أعرف حتى كيف أُكمل الجملة. هل أقول ابنتكِ مونيكا وافقت على أن يلقّحها زوجي ثم تسلّمني الطفل؟ عندما تُقال بهذه الطريقة، يبدو الأمر غريبًا فعلًا. لكن لحسن الحظ، كانت السيدة جين جونسون تعرف عمّا أتحدث.

«السيدة أدلر! نعم، مونيكا أخبرتني بكل شيء...».

ساد صمت محرج ثم علا صفير خافت في الخلفية.

قالت:«عذرًا على ذلك». صوتها ناعم ودافىء، يذكّرني بنجمات السينما من زمن آخر.

تابعت: «كنت قد وضعت إبريق الشاي على النار قبل دقائق. سأطفئ الفرن حالًا. أعتذر، سيدة أدلر».

قلت مصححة لها: «آبي».

سمعتُ حفيف حركة في الطرف الآخر، ثم صوت ماء مغلي يُسكب في كوب.

قالت: «آبي. إذًا أنتِ تعملين مع مونيكا في نيويورك، أليس كذلك؟»

«نعم. وأنتِ في... إنديانابولِس؟»

«نعم. وُلدتُ ونشأتُ هنا».

«لا بد أن الأمر كان صعبًا حين انتقلت مونيكا بعيدًا».

شهقت بخفة: «أوه، حسنًا... يفعل الأبناء دومًا ما يحلو لهم، وستعرفين ذلك يومًا ما».

حاولت أن أحلّل نبرة صوتها، لأتبين إن كانت تلك ملاحظة لاذعة. لا أظنها كذلك.

قلت بصوت هامس: «أريدكِ أن تعلمي، أن ما تفعله مونيكا من أجلي... يعني لي الكثير».

صمتت لحظة ثم قالت: «حسنًا، تلك هي مونيكا، أنها دائمًا تريد مساعدة الآخرين».

«حقًا؟»

زفرت ثم قالت: «أجل. حتى أنها تبالغ في ذلك أحيانًا. كلما شكا لها أحد مشاكله تشعر أنها مضطرة لإيجاد حلّ لها».

شعرت بوخزة في صدري. فبينما مونيكا تمنحني الشيء الذي أريده أكثر من أي شيء في العالم، كنت أنا أفتش خلفها.

لكن هذا شرط سام الصارم. فقد أصرّ أنه لن يُقدم على هذا الأمر ما لم نحصل على كل المعلومات. هو الآن يراجع سجلاتها الطبية بينما أجري أنا هذه المكالمات. كان يريد توظيف محقق خاص، لكنني رفضت.

قلت حريصة على ألا أبدو وكأننا نستغلها: «سنعوضها عن ذلك، سنرسلها إلى الدراسات العليا في فنون التصميم الجرافيكي».

«ربما. لكن عليكِ أن تعرفي أنها كانت ستفعل ذلك حتى لو لم تدفعي لها بنسًا واحدًا».

وافقتها. «نعم، أظن ذلك أيضًا».

تنهدت السيدة جونسون: «على أي حال، ما المعلومات التي تحتاجين معرفتها عن مونيكتي؟»

نظرت إلى القائمة التي دوّنها سام بخط يده الذي لا يكاد يقرأ.

قلت: «أعتقد أنني أتساءل إن... كانت هناك أمراض خطيرة منتشرة في العائلة».

قالت بعد تفكير: «أمي تعاني من السكري، لكنها ما زالت على قيد الحياة. والد مونيكا بصحة جيدة، حسنًا، لديه قليل من ارتفاع ضغط الدم. لكن مونيكا نفسها كانت دائمًا بصحة حصان».

انتقلت إلى السؤال التالي وشعرت بالضيق: «هل هناك ... أي تاريخ لاضطرابات نفسية؟»

كررت السيدة جونسون ورائي: «اضطرابات نفسية؟ تقصدين الجنون؟ لا، بالطبع لا! أي نوع من العائلات تظنين أننا؟»

«أنا، لم...»

قالت: «اسمعي، مونيكتي فتاة صالحة. متفوّقة دائمًا في المدرسة، طيبة مع الجميع. وسأكون صريحة معكِ يا سيدة أدلر، لقد أخبرتُ مونيكا ألا تفعل هذا. قلنا إننا سنجد طريقة أخرى لجمع المال لتواصل الدراسة. لكنها أرادت ذلك. والآن يبدو الأمر كما يقولون... ما هو التعبير؟ كأنك تُضييعين الفرصة».

طويت ملاحظات سام وأزحتها عبر مكتبي: «أنتِ محقة يا سيدة جونسون. أعتذر لضياع وقتك».

شكرتها مجددًا، لكن بينما أضع الهاتف، شعرت بشيء يلح على عقلي. وخزة غير مريحة. لكن هذا غير منطقي. كانت السيدة جونسون لطيفة للغاية، خصوصًا بالنظر إلى ما نقترحه على ابنتها. لم تقل أي شيء يثير القلق. فما هذا الإحساس المزعج بأنني أغفل شيئًا ما؟

كانت طفلة تجلس في مقعد مرتفع على الطاولة المجاورة لي. طفلة صغيرة شديدة الجمال، ذات خصلات شقراء مجعدة. أمامها حفنة من حبوب الشيريوز متناثرة على الصينية، تلتقطها بخرق وتحشوها في فمها. راقبتها، محاوِلةً تجاهل الألم المتصاعد في صدري. كدتُ أن أصبح أمًّا. كنت قريبة جدًا.

قالت الطفلة بينما تنظر لي: «تشيووا!»

ابتسمت لها. لماذا الأطفال لطيفون إلى هذا الحد؟ دينيس لا ترى الأطفال لطيفين. يمكنها أن تنظر إلى طفلة كهذه، تهز كتفيها، ثم تعود فورًا إلى مراسلة هاتفها.

«تشيووا!» قالت الطفلة مرة أخرى، وهذه المرة تمدّ إليّ حبّة شيريو بيد ممتلئة صغيرة تقطر لعابًا. إنها تشاركني طعامها. يا لها من طفلة كريمة طيبة. أمّها محظوظة جدًا. محظوظة. ولا تدرك ذلك. تجلس منشغلة بالحديث مع صديقتها، لا تنظر حتى إلى طفلها الثمين. هذا ليس عدلًا.

يا إلهي. أظنني بحاجة إلى الانتقال من مكاني.

«آبي؟»

رفعتُ عينيّ. كانت الفتاة الواقفة أمامي تشعّ بهالة «الفتاة اللطيفة». لها وجه مستدير جميل، وشعر أشقر مرفوع في ذيل حصان عالٍ خلف رأسها. ترتدي بلوزة سوداء قصيرة الأكمام، تُظهر أنها جزء من زيّ عملها كنادلة. مظهرها نظيف وبسيط، من النوع الذي قد تستأجره لرعاية أطفالك.

سألتها: «تشيلسي؟»

هزت رأسها.

تشيلسي ويليامز هي زميلة سكن مونيكا. عاشتا معًا لعدة سنوات، وهي آخر شخص من المقرر أن أتحدث إليه، قبل أن أعود إلى زوجي لأؤكد له أن مونيكا «نظيفة تمامًا». لكن من الابتسامة اللطيفة الخالية من الملامح على وجه تشيلسي، عرفت أن هذا اللقاء سيمضي تمامًا كما توقعت.

«تفضلي بالجلوس»

انزلقت إلى الكرسي المقابل. «لستُ متأخرة، أليس كذلك؟»

هززت رأسي. «أنا المبكرة».

ضحكت تشيلسي: «مثل مونيكا. هي دائمًا مبكرة».

أعرف هذا مسبقًا عن مساعدتي. أقدّر الانضباط في الموظف، وهذه طريقة أخرى نجحت بها مونيكا في إبهاري.

سألتها: «منذ متى تعيشين مع مونيكا؟»

فتحت قائمة الطعام أمامها: «تعرفت عليها في الجامعة، سكننا معًا لمدة سنتين آنذاك، ونقيم معًا في المدينة منذ عام. هي على الأرجح أعز صديقاتي».

«إذًا أنتِ تعرفينها جيدًا؟»

هزت رأسها بحماس. «تمامًا. ماذا تحبين أن تعرفي عنها؟»

لا أملك ملاحظات من سام هذه المرة. في الحقيقة، هناك سؤال واحد فقط يهمني: هل من المحتمل أن تغيّر رأيها وتقاتل للاحتفاظ بالطفل؟

لكن لا يمكنني طرح ذلك صراحة.

سألتها: «هل هي مسؤولة؟»

ضحكت تشيلسي: «طبعًا. بصراحة، لولاها لكنا طُردنا من الشقة منذ زمن بسبب نسيان الإيجار».

سألت بتردد. «هل لديها حبيب؟»

رفعت حاجبيها وقالت: «ليس حاليًا. هل تظنين أن حبيبًا سيتقبّل شيئًا كهذا؟»

«غالبًا لا».

«إذًا...»

نظرتُ إلى فنجان قهوتي. طلبت قهوة سادة من دون كريمة ولا سكر. حين كنت في الجامعة، كنت أضيف ربع كوب من الكريمة، لكن عندما رأيت دينيس تشربها سوداء كل يوم، غيّرت عاداتي. الآن لا أشربها إلا هكذا. وصرت مثل دينيس، أفقد احترامي لأي شخص يسكب الكريمة في قهوته.

سألتها: «هل تعتني مونيكا بنفسها جيدًا؟»

تقطب تشيلسي حاجبيها. «ماذا تقصدين؟ تستحم يوميًا وكل هذا».

«أقصد... هل تتعاطى المخدرات أو تشرب كثيرًا أو...؟»

ضحكت. «مونيكا؟ مستحيل. إنها محافظة جدًا. السائقة المعيّنة دائمًا، وكل هذا الهراء».

كان ينبغي أن أتوقع ذلك. فكل من تحدثتُ إليهم بلا استثناء أكدوا أن مونيكا جونسون نقية تمامًا. ينقصها هالة واحدة فقط لتصبح قديسة.

قالت تشيلسي وهي تمسح رغوة بيضاء عن شفتيها: «اسمعي، أريد فقط أن أخبرك إنني أرى أن الاتفاق الذي بينكما رائعًا فعلًا».

رفعتُ حاجبيّ. «حقًا؟»

هزت رأسها بحماس وقالت: «نعم، فقط لأنكِ كبيرة في السن لإنجاب أطفالكِ، لا يعني أنكِ لن تكوني أمًّا رائعة، أليس كذلك؟»

كبيرة في السن؟ أنا في السادسة والثلاثين! لا يزال أمامي وقت طويل قبل انقطاع الطمث. لولا مبايضي المعطوبة، لما واجهتُ أي صعوبة في الإنجاب في هذا العمر. لكن تشيلسي في الثالثة والعشرين فقط. لا أريد أن أعرف كم تعتقد أن عمري الحقيقي. لن أسألها حتى. لماذا أزيد هذا اللقاء كآبة؟

قلت: «شكرًا لكِ».

ابتسمت لي ابتسامة واسعة. «إذًا، هل ستمضون في الأمر؟»

«نعم، أظن ذلك».

الفصل التاسع

عندما عُدت إلى المنزل بعد العمل، استقبلني سام بالعشاء.

خرج من المطبخ ووجهه متورد من حرارة الموقد، كان قميصه ملطّخ بالنبيذ الأحمر، وعلى نحوٍ غامض تناثرت نقاط من الدقيق الأبيض في شعره. لذلك لم يكن لدي أدنى فكرة عمّا أعدّه. بسكويت بالنبيذ الأحمر، ربما؟

رمقتُ المطبخ بنظرة سريعة وكتمت تأففًا من الفوضى في الداخل. لكنني على الأقل كنت أعلم أنه سينظّف كل شيء بنفسه. فدائمًا ما يمكنني الاعتماد عليه في إصلاح كوارثه المطبخية من دون تذكير.

سألته: «هل أستطيع المساعدة في شيء؟»

«مستحيل، لقد عملتِ بجد طوال اليوم. أريدك أن تسترخي وتتناولي وجبة لذيذة. هل تريدين بعض النبيذ؟»

نظرت إلى بقع النبيذ على قميصه وقلت مازحة: «هل أعصره من ملابسك؟»

«ها ها، مضحك جدًا.»

لكنه صنع لي كأسًا من النبيذ الأحمر، وقد كان ذلك لطيف حقًا بعد يوم من العمل الشاق. لحسن الحظ أنه لا يتذمر أبدًا من ساعات عملي، دائمًا يقول إنه يرى الأمر رائعًا أن تكون زوجته شخصية نافذة في مجال الإعلانات. وقد سمعته من قبل يتباهى بي، لذا أظن أنه يعني فعلًا ما يقول.

بعد دقائق، جاء من المطبخ حاملاً طبقين، وضع أحدهما أمامي.

قال: «تادا! دجاج مارسالا مع الأرز.»

نظرتُ إلى قطعة الدجاج في طبقي وعضضتُ على شفتي.

قلت: «هل من المفترض أن يكون لون الدجاج أحمر؟»

«حسنًا، لقد استخدمتُ نبيذًا أحمر.»

«لكنه... أحمر جدًا.»

نظر إلى قطعة الدجاج بتأمل وقال: «حسنًا، ليس الشكل هو المهم، أليس كذلك؟ المهم الطعم.»

هذا ما أخشاه بالضبط.

راقبني وأنا أقطع قطعة صغيرة من طرف الدجاج. حسنًا، على الأقل يبدو مطهوًا. لكن من الوقت الذي استغرقته السكين لتقطيعه، أدركتُ أنه مطهو أكثر من اللازم.

أشار سام: «ها.. ليس نيئًا هذه المرة. نقطة لصالحي.»
ابتسمت ابتسامة رفيعة. «رائع.»
تمتمت دعاءً سريعًا ووضعتُ قطعة الدجاج في فمي. أثار مزيج النبيذ الأحمر والدقيق المحترق مع الدجاج حاسة التذوق لدي.
ظل سام يحدّق بي بنظرة مترقبة. وددت أن أبتلع هذه اللعنة فورًا، لكن القطعة كانت مطاطية إلى حدّ لا يُطاق. سأظل أمضغ هذا الدجاج طوال الليل.
قلت وأنا أقاوم بالمضغ: «لذيذ».
قطّب حاجبيه. «إذن لماذا تصنعين هذه التعابير؟»
«أنا لا أصنع تعابير.»
تأملني للحظة، ثم قطع قطعة دجاج من طبقه ووضعها في فمه. لم تمر ثانيتان حتى بدأ بالسعال وبصقها في منديل.
«يا إلهي! هذا فظيع! لماذا لم تخبريني؟»
هززت كتفيّ. «كنت سعيدة فقط لأنه لم يكن نيئًا مرة أخرى.»
ابتسم وقال: «شكرًا لتظاهرك بأنك أحببته.»
«وشكرًا لأنك لم تُجبرني على أكله.»
مال عليّ وقبّلني. «وشكرًا لتفهّمك أنني ما زلت أتعلم.»
«وشكرًا مقدمًا على تنظيف المطبخ.»

ضحك وقبّلني مرة أخرى. ربما كان يقصد قبلة سريعة، لكنها تحولت إلى شيء أكثر حدة. وضع يده على ظهري وجذبني نحوه حتى بدأ جسدي بالارتعاش. إنه في الحقيقة يقبّل ببراعة. عندما كنا نتواعد، كانت قبلاته تجعل ركبتيّ ترتجفان في كل مرة. أعرف أن هذا مبتذل، لكنه كان حقيقيًا تمامًا. الآن، بعد سنوات من الزواج، لا ترتجف ركبتيّ يوميًا، لكنني ما زلت أعتقد أن قبلاتنا أكثر إثارة من المعتاد. ولا تزال أفضل من أي قبلة عرفتها قبل سام.

همس في أذني: «على أي حال لستُ جائعًا كثيرًا».

«ولا أنا».

شدني لأقف، في البداية تعثرنا باتجاه غرفة النوم، لكننا لم نصل أبعد من الأريكة. هذه إحدى مزايا عدم إنجاب الأطفال: ممارسة الحب على الأريكة.

بينما كنت مستلقية بين ذراعيه على الأريكة، تسلل ذهني إلى عرض مونيكا. لقد قابلتُ الجميع في قائمتي، ولم أجد أي شيء مقلق بشأنها. لا يوجد سبب حقيقي يمنعنا من المضي قدمًا حتى النهاية.

كان سام يلعب بخصلة من شعري الأسود بينما استكنتُ إلى صدره العاري. منذ سنوات، اشترك سام في صالة الألعاب الرياضية بالجامعة، لأن ذلك يخفض أقساط التأمين الصحي، لكنه بدأ فعليًا في الذهاب بانتظام. يركض تقريبًا كل يوم، ويتمرن بالأثقال مرتين في الأسبوع. أنا فخورة بإصراره على الاعتناء بنفسه، كما أنني أحب ما فعلته تلك الأثقال بعضلات صدره وذراعيه.

سألني: «كيف تجعلين شعرك ناعمًا إلى هذا الحد؟»

«هل هو ناعم؟»

«نعم. ناعم على نحوٍ غير طبيعي، في الواقع.»

«سعيدة لأنه يعجبك.»

«لم أقل إنه يعجبني. كنت أعلّق فقط على خصائصه الفيزيائية.»

لكمته بخفة على ذراعه، فضحك وضمّني إليه. ربما خانتني مبايضي، لكنني محظوظة في الحب على الأقل. لا يوجد رجل أفضل منه.

همس في شعري: «أحبك يا آبي»
ابتسمت له. «وأنا أحبك أيضًا.»
عاد للعب بشعري، وعيناه البنيتان معلقتان بعينيّ. قال:
«كنت أفكر فقط...أظن أننا يجب أن نتبنى طفلًا صغيرًا.»
انتهى المزاج.
رفعتُ رأسي عن صدره وحدقتُ فيه. «ماذا؟»
استند على الأريكة وقال: «اسمعي يا آبي، قلتُ إنني سأفكر في موضوع... الأم البديلة، و... لست مرتاحًا له. أريد التبنّي.»
انهمرت دموعي كالسيل. لا أعرف كيف انتقلت من نشوة ما بعد العلاقة إلى البكاء خلال خمس ثوانٍ، لكنني فعلتها بطريقة ما. لم أستطع التوقف عن البكاء، كأن كل الألم الذي كتمته منذ اليوم الذي اقتحم فيه سام حفل استقبالي للمولود وأخبرني أن جانيل انسحبت، هجم عليّ دفعة واحدة. ورغم أن سام خبّأ السرير الصغير في الخزانة، وأغلق باب الغرفة التي كان يُفترض أن تكون حضانة، إلا أن الألم لا يزال حاضرًا. كنا قريبين جدًا من تحقيق الحلم، أوشكنا أن نصبح أبوين، والآن يبدو الأمر أبعد من أي وقت مضى.

عقد سام حاجبيه، مصدومًا بوضوح من دموعي. «آبي، لماذا تبكين؟»

لماذا أبكي؟ لماذا يسألني أسئلة غبية؟

مسحت دموعي وقلت: «أبكي لأن...لأن هذا لن يحدث لنا أبدًا يا سام. أشعر بذلك. التبنّي القادم سيستغرق عمرًا، ثم سيحدث خطأ ما، و... و... حين نحصل أخيرًا على طفل سنكون في الخمسين!»

لم أعد قادرة على الكلام، لأن بكائي صار أعنف من أن يُحتمل. اندفعت فقاعة مخاط من أنفي، ولم أكلّف نفسي حتى عناء مسحها.

قال برفق: «آبي، أنتِ تعرفين أنني أريد هذا بقدر ما تريدين...»

حدقتُ فيه بحدة: «من الواضح أنك لا تريد. لو أنك تريد حقًا، لانتهزت هذه الفرصة التي أمامنا الآن. لا أن ترفضها فقط لأنها تجعلك غير مرتاح.»

خفض نظره إلى يديه. ربما لم يكن من العدل أن أقول ذلك. أنا أعرف كم يتوق سام لأن صبح أبًا. رغبته جامحة لدرجة أنني أتعجب أحياناً كيف لم يتركني من أجل امرأة تملك مبيضين

يعملان بكفاءة. نعم، أعلم أنه ليس من ذلك النوع من الرجال، لكن لا بد أن الفكرة تراوده بين الحين والآخر.
تمتمت بصوت خافت: «أنا آسفة، أنا فقط... لقد انفعَلت. من حقك أن ترفض أي شيء لا تشعر بالارتياح تجاهه». مسحتُ عينيّ المتورمتين ووضعتُ يدي فوق يده. «سنحاول التبنّي مرة أخرى. لا بأس».
ظل يحدّق في يديه، وحاجباه معقودان.
«سام؟»
لم يرد. لا أدري ما الذي يعنيه صمته هذا. فهو أحيانًا يلوذ بالصمت فأفترض أنه يفكر في شيء له علاقة بالرياضيات. لكنه لا يفكر في ذلك الآن. حسنًا، ربما يفعل... لكن على الأرجح لا.
قال أخيرًا: «أعتقد أن علينا قبول مونيكا كأم بديلة».
شهقت. «سام، لستَ مضطرًا ل....»
قاطعني بينما ينظر في عينيّ: «أعرف أنني لستُ مضطرًا، لكنّكِ محقّة لقد تمنينا ذلك طويلًا. أصبحتُ أكره عجزنا عن فتح باب غرفة النوم الثانية لأن مجرد رؤيتها مؤلم. لم أعد أحتمل مشاهدة إعلان حفاضات من دون أن أشعر بالبؤس، ولا أستطيع أن أتخيّل كم هو قاسٍ عليكِ أن تعرضيها كجزء من عملك».

تنهد و أكمل. «ربما ليست الطريقة المثالية، لكنني أريد أن أصبح أبًا. وأريدك أن تكوني أمًا. نحن الآن مستعدان.»

ضغط يديّ برفق بين يديه، وبينما يبتسم لي وأنا في قمة السعادة، انتابني خاطر مفاجيء؛ السيدة جونسون تعيش في إنديانا. كان رقم هاتفها يبدأ برمز ولاية إنديانا، وقد أخبرتني بالفعل أنها وُلدت ونشأت في إنديانابوليس.

"أنا نشأتُ مشجعةً للريد سوكس، وكنت أحضر كل مبارياتهم وأنا طفلة. لا يمكنني ارتداء قبعة اليانكيز. لن يسمحوا لي بدخول البيت."

هذا ما قالته مونيكا في حفل استقبال المولود عندما حاولت أن أهديها قبعة يانكيز الخاصة بالطفل. لكن ريد سوكس فريق من بوسطن. وكل مشجع لليانكيز يعرف ذلك. أما في إنديانا، فالفريق هو البريفز. ولا أظن أن أحدًا في إنديانا سيغضب إلى ذلك الحد بسبب تشجيع اليانكيز. أو ربما يفعلون. فالحقيقة أنني لم أزر تلك الولاية من قبل.

إذًا... لماذا مونيكا متعصبة للريد سوكس إذا كانت من إنديانا؟

الأمر غير منطقي.

ألتفت إلى سام، على وشك أن أخبره بما أدركته للتو، ثم أطبقت فمي. هو متردد بالفعل. إذا قلت له إنني أشك في أن مونيكا كذبت عليّ، فسيتوقف كل شيء نهائيًا. وربما أنا لا أتذكر جيدًا. ربما كان شخص آخر هو من علّق على الريد سوكس. هل كانت ليلي من قسم المحاسبة؟

إنه تفصيل صغير جدًا. لا يمكن أن يكون مهمًا.

الفصل العاشر

بعد ثلاثة أشهر

تبعثرت على مكتبي خمسةُ عبواتٍ بلاستيكية من طعام الأطفال: تفاح، كمثرى، فطيرة الخوخ، بطاطا حلوة، وخليط خضار مع الديك الرومي.

في الآونة الأخيرة، قرّرت شركة كادلز التوسّع إلى سوق أغذية الأطفال. ومن المفترض أن أكتب محتوى الموقع الإلكتروني الذي يطورونه لعرض وبيع هذه المنتجات. وبالتحديد، يريدون أن أبتكر لهم شعارًا جذّابًا. ونظرًا لقلة خبرتي في طعام الأطفال، قرّرت شراء بعض العبوات لعلّها تُلهمني.

علمتني هذه التجربة أمرًا مهمًا عن طعام الأطفال: طعمه فظيع.

لا أصدّق أن الناس يُطعمون هذا الهراء لرضّعٍ عاجزين. حسنًا، التفاح والكمثرى كانا مقبولين... محتملين. فطيرة الخوخ بدت واعدة، لكنها كانت حلوة أكثر من اللازم. البطاطا الحلوة جعلتني أكاد أتقيأ، ومع ذلك تمكنتُ من ابتلاع لقمة.

أمّا خليط الخضار مع الديك الرومي... فبرغم أني لا أستخدم كلمة «مقزِّز» كثيرًا، لكن يا إلهي. قد يكون أسوأ شيء تذوقته في حياتي.

آه، وتعلّمتُ أمرًا مهمًا آخر عن طعام الأطفال: إنه مُليِّن قوي جدًا.
ولم أجرّب حتى طعام الأطفال بالبرقوق.
ربما يوجد شعار ما هنا.
طعام أطفال كادلز جيّد للأمعاء بقدر ما هو جيّد للروح. ربما لا.

دُقّ باب مكتبي. كانت مونيكا تقف مبتسمة عند المدخل، بملابسها المحتشمة: بنطال أسود وقميص أبيض ناصع مُزرّر حتى العنق.

قبل شهر، أنهينا العقد الذي يقضي بأن تكون مونيكا أمّنا البديلة. أمضى سام وقتًا طويلًا في مراجعة العقد مع محامينا، وكانت الشروط صارمة جدًا. سنتكفّل بكامل نفقات دراستها العليا، لكنها تتنازل عن أي حقّ في الطفل منذ لحظة الإخصاب. لا يحقّ لها التراجع أو تغيير رأيها في أي مرحلة لاحقة. خشيتُ أن تُخيفها الشروط، لكنها لم تفعل. وقّعت بكل حماس.

ومنذ بضعة أسابيع ، ذهب سام إلى عيادة الطبيب وقدّم عيّنة من سائله المنوي. وبما أنني أعرف مونيكا جيدًا، لم يكن لزامًا علينا المرور بالطبيب. اذ كان بإمكاننا الحصول على العيّنة بأنفسنا وتسليمها لها. لكنه أصرّ على أن يتم الأمر بهذه الطريقة.

والآن... ننتظر. من الواضح أن هذه محاولتنا الأولى فقط، لذا ففرص الحمل ليست كبيرة، لكنني ما زلت متحمسة. إن لم ينجح هذا الشهر، فسينجح الشهر القادم أو الذي يليه. مونيكا في الثالثة والعشرين من عمرها، وطبيبها أكّد أنها في صحة ممتازة، فلا سبب يمنع نجاح الأمر.

سألتها: «هل سبق أن جرّبتِ طعام الأطفال؟»

عبست. «لا، هل كان ينبغي أن أفعل؟»

«لا. بالتأكيد لا.»

لاحظتُ أنها تضمّ حقيبتها تحت ذراعها. «هل كل شيء على ما يرام؟»

قالت بتروٍّ، «حسنًا، إلى حدٍّ ما.»

«إلى حدٍّ ما؟»

أدخلت يدها في حقيبتها، فتشت قليلًا وأخرجت منها عصا بلاستيكية بيضاء داخل كيس شفاف بسحّاب. وضعتها على مكتبي كي أراها بوضوح.

ظهر خطّان أزرقان على العصا.

شهقتُ: «أنتِ حامل؟»

هزت رأسها، وعيناها تلمعان. «لا توجد نتائج إيجابية كاذبة.»

مونيكا حامل.

نجح التلقيح من المحاولة الأولى. لقد حاولنا سنواتٍ طويلة بلا أي فائدة. لم أشكّ يومًا في أنني أنا المسؤولة عن عقمنا، لكنني لم أرَ الدليل يصفعني على وجهي هكذا من قبل.

المحاولة الأولى. حامل.

بعد ثانية من جلد الذات الصامت، أدركت وقع الخبر. مونيكا حامل. وهذا يعني أنه بعد أقل من تسعة أشهر، ستلد. سأكون أمًا. بعد كل هذا الانتظار والمحاولات والتمنّي، سيحدث الأمر أخيرًا. لا أصدّق.

صرخت: «هذا مذهل!»

أومأت بسعادة. «لم أتوقع أن يحدث بهذه السرعة. أظنني خصبة جدًا، أليس كذلك؟»

كانت كلماتها كطعنة سريعة في المعدة، لكنني تجاهلتها. إنها تفعل هذا من أجلي، وهي فقط متحمسة لسرعة حدوثه.

قلت: «يبدو ذلك. اسمعي، سأرسل رسالة إلى سام، حسنًا؟»

«بالطبع.»

أخرجتُ هاتفي الآيفون، الذي رفض بطبيعة الحال التعرّف على بصمة إصبعي لأن أصابعي لزجة من طعام الأطفال. أدخلت رمز المرور، تاريخ ميلادي. نعم، أعلم أن هذا ليس آمنًا جدًا. لكنني لا أظن أن أحدًا يخطط لسرقة معلومات من هاتفي. نصف ما فيه رسائل نصية مع زملائي، معظمها بيني وبين شيلي، نشكو فيها من دينيس.

أكتب رسالة سريعة إلى سام: مونيكا حامل!

بعد كتابة الكلمات، يقترح الهاتف رمزًا تعبيريًا لامرأة حامل، فأضفته، رغم أنني أعرف أن سام ليس من محبّي الرموز العشوائية. لا بأس.

مالت مونيكا بارتخاء فوق مكتبي لترى شاشة الهاتف:

«ماذا قال؟»

وصلت رد سام بعد ثانية: رائع.

كان من السهل أن أخمن مسحة السخرية في ردّه. مع أنه كان متعاونًا طوال هذه العملية، إلا أنه كان متردّدًا بوضوح. حين غادر ليقدّم العيّنة، نظر إليّ وقال: «ها أنا ذا.» ثم انتظر، وكأنه يأمل أن أطلب منه التراجع عن الأمر كله. لم أفعل.

قلت لمونيكا: «قال: رائع!»

أشرق وجهها في ابتسامة عريضة. نظرت إلى بطنها، المسطّح تمامًا. اتفقنا على أن تستمر في العمل حتى يبدأ الحمل بالظهور، لكن ذلك لا يبدو وشيكًا.

«كيف تشعرين؟»

«جيّدا!»

«غثيان؟»

«أبدًا.»

«تعب؟»

أمسكت بإبهامها وسبّابتها على مسافة سنتيمتر وقالت: «قليلًا لكن ليس سيئًا.»

لم يبدُ عليها التعب أو الغثيان. بل بدت... رائعة. كأنها تتوهّج.

«تأخذين فيتامينات ما قبل الولادة، صحيح؟»

أومأت

أذكرها: «حبتان يوميًا. الجرعة الموصى بها حبتان في اليوم.»

ابتسمت. «أعرف.»

شبّكتُ يديّ: «وعليكِ تجنّب اللحوم المصنعة. والسوشي. وحسنًا... يُفترض أن الكحول مسموح باعتدال، لكن...»

قالت بصوتها الهادئ: «لا تقلقي يا آبي، لن أشرب على الإطلاق. أعدك.»

سمعتُ طرقًا على الباب، وقبل أن أتمكّن من الرد، كانت دينيس قد اقتحمت المدخل. هي لا تنتظر الإذن أبدًا. رمقتني بنظرة عابسة، وهو أمر معتاد. ثم ألقت نظرة عابرة على مونيكا من دون حتى أن تحييها.

«أبيغيل، هل وجدتِ شعارًا لـ كادلز؟ اتصلوا بي للتو.»

«أم...»

طعام أطفال كادلز أقل تقزّزًا بنسبة خمسين بالمئة من العلامات الرائدة الأخرى.

«ليس بعد»

حدّقت دينيس في عبوات طعام الأطفال على مكتبي. ثم أنتبهتُ إلى أن اختبار الحمل لا يزال ممدّدًا هناك. وضعت كوعي أمامه، على أمل ألّا تلاحظه. فباستثناء شيلي، لم أخبر أحدًا هنا باتفاقي مع مونيكا، ولا أنوي ذلك. لا خير سيأتي من هذا. ستغادر الشركة قبل أن يظهر الحمل، لذا فالأمر ليس من شأنهم.

قالت دينيس: «سنلتقي بهم غدًا، آمل أن يكون لديكِ شيء بحلول ذلك الوقت.»

«بالطبع.»

تجهم وجهها. «لا تُخيّبِي أملي يا أبيغيل. هذا حساب مهم.»

نعم، أعرف أنه حساب مهم. رغم نجاحي في حملة الحفاضات، فنجاحك يقاس بقدر آخر انجازاتك. إن أفسدتُ هذا، انتهيت. وإلا فلماذا أجلس هنا وألتهم هذا الطعام المقرف؟

«لا تقلقي، أنا أعمل على الأمر.»

أطلقت زفيرًا شاعرة بالراحة حين غادرت دينيس من مكتبي. أرهقني التفكير في المحادثة التي سأضطر فيها لإخبارها بأنني أحتاج إلى اثني عشر أسبوعًا من إجازة عائلية بعد كل شيء. لكن ما الذي بوسعي فعله؟

يا إلهي... هذا الطفل سيأتي حقًا.

سأُرزق بطفل.

لا أصدّق.

قلت لمونيكا التي ظل رأسها منخفضًا طوال توبيخ دينيس لي. : «من الأفضل أن أستعد للاجتماع» وأردفت. «لكن... حسنًا، أعلم أنني قلت هذا من قبل، لكن لا يمكنني قوله بما يكفي: شكرًا لكِ. هذا... مذهل».

ابـتسمت، كـاشـفةً عـن صـفّ مـن الأسـنان الـبيضاء الـلامـعة. «يسعدني أن أفعل ذلك من أجلك».

نظرت إلى اختبار الحمل الإيجابي الممدّد على الطاولة أمامي. مدّد يدها لتلتقطه، لكنني هززت رأسي. «أستطيع أن أتخلّص منه لكِ».

خـطفته مـن عـلى مـكتبي ورفـعته، مـتأمّـلة الخـطّين الأزرقـين باعجاب. «أوه. لا. أريد الاحتفاظ به. كما تعلمين، كتذكار».

تريد الاحتفاظ به؟ تذكارًا من حملٍ تخوضه لتحصل على تذكرة إلى كلية الفنون؟ هل هذا غريب أم أنني وحدي أراه كذلك؟

إن كان ثمة من ينبغي أن يحتفظ باختبار الحمل، فهو أنا. ومع ذلك، لا أريد. أعني، عليه بول. لكنني لا أريد تضخيم الأمر. لذا لم أنبس بكلمة بينما تُعيد مونيكا اختبار الحمل بعناية إلى حقيبتها.

الفصل الحادي عشر

اليوم، مرّ على زواجي من سام ثماني سنوات.

خرجنا الليلة للاحتفال في مطعم إسباني فاخر في وسط المدينة يشتهر ببراعته في إعداد البابيّا. غالبًا مانقضي ليالينا في المنزل نطهو طعامنا أو نطلبه جاهزًا، لضيق وقتي، لكننا نحرص على الخروج في ذكرى زواجنا.

عثر سام على موقف لركن السيارة على بُعد بضع بنايات من المطعم، وهو ما يُعدّ معجزة بحد ذاته. الميزة الكبرى لرفضه استئجار موقف في مرآب سيارات هي أنه أصبح بارعًا بشكل مذهل في ركن السيارة في المساحات الضيقة. كنتُ متأكدة أنه لن يتمكن أبدًا من إدخال السيارة في تلك الفجوة الضيقة، لكنه أصرّ على ذلك. وبينما يحاول المناورة بسيارته إلى المكان، تجمع حشد صغير من المارة للمشاهدة.

صاح أحدهم: «لن تنجح يا صديقي!»

أجابه سام: «راقبني!»

وعندما نجح في إدخال السيارة في مكانها، قوبل بتصفيق حار من المارة.

لا أدري حقًا كيف فعلها. فلم تكن هناك سوى بضع بوصات تفصل السيارة عما حولها من الطرفين. يقول سام دائمًا إن هدفه الأبدي هو ألا يترك أي فراغ على الإطلاق.

بينما نسير المسافة القصيرة إلى المطعم الإسباني، أمسك سام بيدي. كان يفعل ذلك عندما كنا نتواعد، وما زال يفعله الآن بعد ثماني سنوات من الزواج. إنه أمر يبعث على الدفء.

قال وهو يضغط على يدي: «أنا سعيد لأننا متزوجان».

ضحكت. «من الجيد معرفة ذلك.»

هو لا يقول ذلك فقط لأن اليوم ذكرى زواجنا، من الواضح أن سام سعيد فعلًا بالزواج. في أول سنتين لنا معًا، قبل أن تتعقد مسألة الإنجاب، كان يقول ذلك باستمرار. أنا سعيد جدًا لأننا متزوجان. أو أنا سعيد لأن لدي زوجة. أو أحيانًا: الحمد لله أننا تزوجنا أخيرًا. لا أظنه كان يحب المواعدة كثيرًا. كان يقول إنها مرهقة.

ربما لهذا السبب تزوجنا بسرعة نسبيًا بعد أن بدأنا المواعدة. بدأت شيلي بمواعدة زوجها ريك في الوقت نفسه تقريبًا الذي التقيت فيه سام، لكن ريك كان دائم التوجس من الالتزام. سام كان النقيض تمامًا. سرعان ما دخلنا في علاقة جادة، مع موعد

ثابت كل ليلة سبت فضلا عن عدة ليالٍ خلال الأسبوع أيضًا. وبينما أصيب ريك بالذعر حين تركت شيلي فرشاة أسنانها في شقته، قام سام من تلقاء نفسه، بتفريغ درج لي في غرفة نومه وصنع لي نسخة من مفتاحه، وبعدها بوقت قصير قال: «ألن يكون أسهل لو انتقلتِ للعيش معي؟» كنا أنا وشيلي في أواخر العشرينات، والزواج يشغل بالنا، وكانت تكاد تموت من الغيرة.

ثم عندما عشنا معًا، بدأ سام يطلق تعليقات تبدأ بـ«عندما نتزوج». مثلًا: «عندما نتزوج، يمكننا تقديم ضرائبنا معًا.» أو «عندما نتزوج، يجب أن نستأجر شقة بغرفتي نوم.» صحيح أنها لم تكن عبارات رومانسية جدًا، لكن كان في افتراضه أننا سننتهي معًا شيء لطيف. وفي النهاية، بدأت أنا أيضًا أستخدم عبارات «عندما نتزوج».

في أحد الأيام، كنا نمرّ من أمام متجر مجوهرات ونحن نمسك بأيدي بعضنا، فقلت: «عندما تتقدم لخطبتي، من الأفضل أن تشتري لي خاتمًا من تيفاني.»

ظهر على وجه سام تعبير غريب، وهبط قلبي إلى قدميّ. كان قد تحدث كثيرًا عن الزواج، فظننت أن الأمر مسموح! كان هذا خطأه بالكامل!

وأخيرًا، وقبل أن أبدأ بالاعتذار بتلعثم محرج، مال نحوي وهمس في أذني: «وماذا لو حصلت عليه من كاي؟»

عبست. «ماذا؟»

عندها أدخل يده في جيبه وأخرج علبة زرقاء صغيرة. انفتح فمي من الدهشة. كنا نتواعد منذ عام ونصف فقط، ورغم أننا نعيش معًا، لم أتوقع هذا. «أوه»، همست. «لم أكن أتوقع...»

رمش بعينيه. «أنا أحبك. لماذا ننتظر؟»

ولِمَ ننتظر فعلًا؟

«انتظري، دعيني أنزل على ركبة واحدة»، قال، ثم فعل ذلك بالفعل، كما لو كان يتبع إجراءً رسميًا لطلب الزواج قرأه في دليل العلاقات. فتح العلبة الزرقاء، وكان الخاتم... حسنًا، لن أكذب. كان صغيرًا. كان سام قد أنهى لتوه درجة الدكتوراه ولم يكن يتقاضى الكثير في برنامجه البحثي. ومع ذلك، كان مثاليًا. «هل تتزوجينني يا آبي؟»

قلت لا.

أمزح فقط. بالطبع قلت نعم. نعم قوية جدًا. وإلا فلماذا كنا سنجلس الآن على طاولة ننتظر بايبّا، ونحن على أعتاب عامنا التاسع كزوج وزوجة.

لم أندم لحظة واحدة على قراري بالزواج من سام آدلر. مع أنني أحيانًا أتساءل إن كان يشعر بالأمر نفسه. لكن لا أثر للندم على وجه سام وهو يشاهد النادلة تضع المقلاة الكبيرة المليئة بالأرز والمأكولات البحرية الساخنة أمامنا. ابتسم لي من خلال البخار المتصاعد.

تسألنا النادلة: «ما رأيكما؟»

قلت: «تبدو رائعة».

وضعت النادلة يدها البيضاء ذو الأظافر حمراء على كتف زوجي وقالت: «وأنت، ما رأيك يا عزيزي؟»

كانت النادلة تغازل سام بلا خجل منذ وصولنا. يحدث هذا دائمًا تقريبًا، حتى لم أعد ألاحظه. وهو لا يلاحظه أبدًا. قد يظن المرء أن خاتم الزواج ووجوده مع زوجته كافيان للردع، لكن يبدو أن الأمر ليس كذلك.

قال: «نعم، تبدو جيدة»، لكن ابتسامته موجهة إليّ وحدي. من المضحك مشاهدة النساء وهنّ يحاولن مغازلته بينما يتجاهلهن تمامًا. لن نمل هذا الأمر أبدًا.

تستسلم النادلة وتتركنا مع طبقنا. كان الطعام لذيذ فعلًا. ورغم أنه كلفنا ثروة، إلا أن المال لم يكن يومًا مصدر قلق بالنسبة لي.

لطالما شعرت بالحاجة إلى الاعتماد على نفسي، حتى مع وجود صندوقي الاستثماري في البنك، ولكن لولا ذاك المال المدخر، لكان من الصعب العيش في مانهاتن بمرتبي ومرتب سام فقط.

قلت وأنا أضع قطعة نقانق في فمي: «إنها لذيذة جدًا».

قال سام: «لا أدري، أظن أن البابيّا التي أعددتها الشهر الماضي كانت جيدة أيضًا.»

لم تكن كذلك. لم تكن كذلك على الإطلاق. سام لا يحرز أي تقدم في الطبخ.

قلت: «حسنًا،لم تكن تلك بابيّا تمامًا، كانت أرزًا إسبانيًا مع قطع نقانق وروبيان.»

أخذ يحكّ بعض الأرز المحمّص من قاع المقلاة: «أجل، وماذا يكون هذا إذن؟ الأمر نفسه. أرز مع نقانق وروبيان.»

«الفرق أنك لا تملك الطبقة المقرمشة في الأسفل.»

«بلى، أملكه.»

ابتسمت. «احتراق القاع ليس هو نفسه.»

«لقد احترق قليلًا فقط.»

«كان أسود كالفحم.»

«هممم. أظنه كان بنيًا.»

قلبت عينيّ بضجر وقلت: «سأعترف، يعجبني أنك تضع طماطم طازجة في أطباقك. الطماطم هي خضاري المفضل على الإطلاق.»
أطلق شهقة. «آبي! الطماطم ليست خضارًا! إنها فاكهة.»
«مستحيل.»
قال بحزم: «بل ممكن، بداخلها بذور. هذا يجعلها فاكهة.»
ثم غمز لي وقال: «فاكهة مالحة.»
«هذا لا يبدو صحيحًا.»
«إنه صحيح. ثقي بي.»
هل هو كذلك فعلًا؟
أُخرجت هاتفي بسرعة لأبحث، و... يا للعجب، اتضح أن الطماطم فعلًا فاكهة. اللعنة. «لا أصدق! كيف تكون الطماطم فاكهة؟»
«ما لا أصدقه أنا هو أنك لم تكوني تعرفين ذلك.»
«نعم، حسنًا.» ركلت حذاءه برفق تحت الطاولة، فابتسم. قلت: «وأنت لم تكن تعرف حتى أن براد بيت وجينيفر أنيستون انفصلا.»
«وماذا في ذلك؟ أنا لا أتابع أخبار الفنانين التافهة»

«هذا ليس حديثًا، طلاقهما كان قبل أكثر من عشر سنوات! بعد ذلك تزوج أنجلينا جولي، وتبنّوا مجموعة من الأطفال، ثم انفصلوا! أنت متأخر بزواج كامل.»

قال وهو يركلني تحت الطاولة: «تبدين مطّلعة جدًا على الحياة العاطفية لبراد بيت»

ثم بدأنا نوعًا ما بلعبة أقدام تحت الطاولة. أخلع حذائي وأدخل قدمي تحت ساق بنطاله، فيمد يده ويمسك بساقي العارية. تتلاقى أعيننا عبر الطاولة، والابتسامة التي يمنحني إياها تُشعل رغبتي، تجعلني أرتجف من رأسي حتى قدميّ. شيلي تتحدث دائمًا عن أن زوجها لم يعد يُثيرها، لكنني لا أستطيع أن أفهم ذلك. سام ما زال يثيرني بشدة. لا أستطيع تخيّل أن يتغير هذا يومًا. بل إنني أتطلع إلى أن يكبر في السن، لأنني أظنه سيكون جذابًا بالتجاعيد حول عينيه والشعر الفضي.

ما إن انتهينا من الطعام حتى بدأ سام في تبادل الهدايا. كان متحمس لهذا أكثر مما ينبغي لرجل بالغ. خبأت هديته في حقيبتي، وعلى الأرجح هديتي في جيب سترته. ما يعني أنها صغيرة. ربما مجوهرات.

آمل أن تكون مجوهرات.

وبالفعل، أخرج علبة مستطيلة من معطفه ودفعها نحوي عبر الطاولة. ابتسم حين رأى العلبة المربعة التي أقدّمها له. رفعها ليقيّم وزنها.

قال: «لا تبدو إلكترونيات»

«ليست كذلك.»

قال مازحًا:«هل هي... جوارب؟ تعرفين كم أعشق الجوارب.»

إنه يمزح، في إشارة إلى مرة ذهبنا فيها إلى منزل والديّ في عيد الميلاد، وكانت هديتهما زوجًا من الجوارب الفاخرة. أظن أن تلك كانت طريقة أمي غير المباشرة لتقول إنها غير متحمسة لزواجنا القادم. كنتُ محرجة جدًا، لكنه وجد الأمر مضحكًا. وما زال يرتديها. يسميها جوارب عيد الميلاد.

قلت: «نعم، لكنها جوارب جميلة. جوارب برادا»

«أوه، جوارب برادا. كان يجب أن أرى هذا».

يمزق ورق التغليف ويرفع غطاء العلبة. تتسع عيناه حين يرى ما بداخلها. «إنه... قميص بلا أكمام؟»

«إنها مريلة!»

«آه...» يخرجها ويرفعها في الضوء. تحتوي المريلة على مجموعة من الرموز الرياضية، منها الجذر التربيعي لعدد سالب، واثنان للقوة الثالثة، ورمز الجمع، وط. لم أكن لأعرف هذا، لكن الموقع أكد لي أن العبارة تعني... «أكلتُ بعض الفطيرة؟»

ابتسمت بفخر: «صحيح. رائع، أليس كذلك؟ من أجل كل... كما تعلم، الطبخ الذي تقوم به».

ليس أنني أريد تشجيعه على الطبخ أو شيء من هذا القبيل. لكن بما أنني لا أستطيع منعه، فالأفضل أن أشتري له مريلة كي لا يلطخ كل قطعة ملابس في خزانته.

قال: «نعم، إنها رائعة» مع أن من الصعب معرفة إن كان يعني ذلك. وأردف ساخرًا: «سأكون كما لو إقليدس التقى بمارثا ستيوارت.»

«لم تعجبك. صحيح؟»

«لا اعجبتني»

«واضح أنك تكرهها».

«لا، لا أكرهها. أحبها».

«أنت لا تحبها إطلاقًا».

«أحبها!»

«كاذب».

«أحبها لدرجة أنني سأرتديها الآن، لأنني لا أطيق الانتظار.»

«حسنًا، حسنًا...»

«لا، انظري...» ثم وقف، وأمام المطعم كله، مرر خيوط المريلة فوق رأسه. وربطها بقوة حتى بدأت بالضحك وأنا أضع كفي على فمي. الناس بدأوا يحدقون بنا، لكنني لا أهتم.

«كيف أبدو؟»

«مثيرًا جدًا.»

«هذا مفروغ منه. حسنًا، الآن افتحي هديتك.»

رفعت غطاء العلبة التي من الواضح أنها مجوهرات. سام لا يهديني المجوهرات كثيرًا، لكن عندما يفعل، يكون اختياره جيد بالنسبة لرجل.

لكنها لم تكن مجوهرات. إنها أداة فضية طويلة، مرصعة بالألماس عند المقبض، وعليها اسم «آبي» منقوشًا على النصل.

قال: «إنها فتّاحة رسائل، سئمتُ من سماع شكواك من جروح الورق.»

أنا أشتكي من جروح الورق بالفعل.
قلت: «إنها جميلة» وكنت أعني ذلك حقًا. المقبض متقن للغاية. لا أنكر أنني كنت أفضل قلادة، لكن هذه هدية مميزة. شيء لا أملكه وأحتاجه، وكلما استخدمتها في العمل سأفكر في سام. هو دائمًا يقدّم لي هدايا رائعة.
«أنا سعيد جدًا لأنك أحببتِها، لن تُبهري فريق كادلز إذا كانت يداك مليئتين بالجروح، صحيح؟»
أخرجتها من العلبة و تأملت تصميمها المتقن. إنها جميلة فعلًا. انعكس ضوء السقف على النصل، فلاحظت كم هو حاد. حسنًا، لن أواجه مشكلة في فتح الرسائل بعد الآن.

بعد ساعة، كنا نسير متشابكي الأيدي عائدين إلى السيارة التويوتا. خلع المريلة، وبدا وسيمًا جدًا بقميصه الأنيق وبنطاله. شرب كأسًا صغيرة واحدة من النبيذ لأنه يقود، أما أنا فشربتُ اثنتين، وكانا كافيتان لجعلي أشعر بالدوار. ماذا أقول، أنا خفيفة التحمل. لذا سرعان ما تحول مسك الأيدي إلى التعلق بذراعه، لف ذراعه حول كتفيّ وجذبني إليه بينما نسير. تعثرت بشق في الرصيف، وهو أمر سببه الكعب العالي أكثر من كمية الشراب،

لكن سام وجد الأمر مضحكًا للغاية.

«هل سكرتِ من كأسين من النبيذ يا آبي؟»

«لا.»

«تبدين كذلك.»

أمسك بذراعه. يا له من عضد جميل. الفضل يرجع لعضوية النادي الرياضي. « «اسمع يا هذا. كن لطيفًا.»

توقفنا عن المشي وأخذنا نحدق في بعضنا لحظة. مال نحوي حتى ملأ أنفي رائحة النبيذ والبابيّا في أنفاسه. كان سيقبّلني على الأرجح لولا أن صوتًا من يساري نادى: «آبي!»

اللعنة.

أدرت رأسي، صدمت برؤية مونيكا جونسون تقف على بعد خطوات قليلة منا. نحن بعيدون تمامًا عن العمل. ماذا تفعل هنا؟

قلت: «آه، مرحبًا يا مونيكا». وابتعدت خطوة عن سام، الذي بدا محبطًا بوضوح.

لا يبدو أنها أدركت أنها قاطعتنا، تقدمت نحونا وهي تضم حقيبتها إلى صدرها. «أنا متفاجئة جدًا برؤيتكما هنا!»

تجاهلها سام وهو ينظر إلى ساعته ثم إلى عمود الإنارة. هو ليس اجتماعيًا جدًا في أفضل الأحوال، ولم يُخفِ أبدًا انزعاجه من هذا الموقف. لكن مونيكا حامل بطفل يحمل نصف حمضه النووي. إنه وضع غريب.

قلت: «إنها ذكرى زواجنا، كنا نتعشى فقط.»

ضمت يديها معًا:«يا له من أمر رائع!».

ما زالت ترتدي القميص نفسه الذي كانت ترتديه في العمل صباح اليوم، ولا يسعني إلا أن ألاحظ أنه رغم أن بطنها لم يكبر، فإن صدرها بالتأكيد قد كبر. لم يكن مميزًا من قبل، أما الآن فهو ممتلئ بوضوح.

رمقتُ سام لأرى إن كان يلاحظ، لكنه دس يديه في جيوبه وأخذ ينظر إلى كل شيء عدا مونيكا. على الأقل لم يُخرج هاتفه.

سألتها: «وماذا تفعلين هنا؟»

هزت كتفيها «مجرد عشاء مع بعض الأصدقاء القدامى. والآن، كما تعلمين، أحاول أن أجد سيارة أجرة ليلة الجمعة. سمعتُ أن إظهار قليل من الساق يساعد، لكنه لم ينجح.»

ألقيت نظرة إلى الشارع حيث تقف سيارة سام الهايلاندر.

«اممم.. يمكننا أن نوصلك إلى المنزل، إن أحببتِ.»

اتسعت عينا سام دهشة، لكنه لحسن الحظ التزم الصمت. هذه المرأة حامل بطفلنا ولن أسمح لها بالتجول في المدينة ليلًا وحدها.
توهجت وجنتا مونيكا. «أوه، لا أريد أن أزعجكما.»
«لا، نصرّ على ذلك. أنتِ لا تسكنين بعيدًا عنا. لا مشكلة.»
نظرت إلى سام طلبًا للتأكيد فهزّ رأسه على مضض.
وهكذا، بدلًا من تبادل القبلات مع زوجي في شوارع مانهاتن ليلة ذكرى زواجنا، مشينا جميعًا عائدين إلى السيارة لنرجع إلى المنزل. لا بأس.
لكن ما أدهشني، هو أنه بمجرد أن فتح سام أبواب السيارة، قفزت مونيكا فورًا إلى المقعد الأمامي. وبما أننا نوصلها، يبدو ذلك غريبًا بالنسبة لي.
أنا زوجة سام، أنا من يفترض أن أجلس بجانبه. تقنيًا السيارة باسمه، لكنه اشتراها من حسابنا المشترك. وبما أنني أكسب مالًا أكثر منه بكثير، فهذا يعني، من ناحية ما، أن السيارة لي أكثر مما هي له. وعلى أي حال، هي لي أكثر مما هي لمونيكا.
كيف تجلس في المقعد الأمامي؟

تملكني الغضب للحظة، لكن لا شيء أستطيع فعله. سام هو من يقود، لذا لا خيار أمامي سوى الجلوس في المقعد الخلفي. أعلم أن الأمر تافه، لكنه أزعجني. عندما شاهدت سام ومونيكا الجالسين في الأمام، كانا يبدوان وكأنهما زوجين. وفوق ذلك، هي حامل بطفله.

من نواحي عديدة، تبدو علاقة سام ومونيكا أكثر منطقية من سام وأنا. نعم، هي أصغر منه بأكثر من عشر سنوات، لكن وماذا في ذلك؟ الرجال يتزوجون نساء أصغر سنًا طوال الوقت.

انتابني الشعور وكأنني الدخيل هنا. تمنيت أن يقود سام بسرعة.

سرنا في صمت محرج نحو خمس دقائق. أنا بارعة في الأحاديث الخفيفة، لكن أي حديث يمكن أن يُقال مع المرأة التي تحمل طفلك في رحمها؟

هل فكرتِ في أسماء للطفل الذي ستمنحيننا إياه؟ لا يخطر لي شيء ذكي. حتى توقفت السيارة عند إشارة حمراء أمام دار سينما، فصرخت مونيكا: «يا إلهي! فيلم كوينتن تارانتينو الجديد يعرض!»

ارتفع حاجبا سام. كوينتن تارانتينو أحد مخرجيه المفضلين، لقد خططنا بالفعل لمشاهدة الفيلم هذا الأسبوع.

«تحبين كوينتن تارانتينو؟»

أومأت بحماس:«نعم. فيلمي المفضل هو خيال رخيص.»

فيلم خيال رخيص هو فيلم سام المفضل على الإطلاق من بين أعمال تارانتينو. وبدون مبالغة، أظنه شاهده عشرة آلاف مرة، وهذه فقط المرات التي شاهدناه فيها معًا.

ضحك ساخرًا: «ربما لم تكوني قد وُلدتِ أصلًا عندما صدر الفيلم.»

أزعجني أنها لم تعارضه في هذه النقطة.

قالت: «ما زال فيلمًا رائعًا. صامويل إل جاكسون؟ كلاسيكي.»

ثم ابتسمت وتابعت: «هل تعرف ماذا يسمون الربع باوند مع الجبن في باريس؟»

ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه. «رويال بالجبن.»

ضحكت. «صحيح. بسبب النظام المتري.»

ثم قضيا بقية الطريق في اقتباس حوارات من خيال رخيص شاهدت الفيلم تقريبًا بقدر سام، وكان يمكنني المشاركة، لكن وجودي في الخلف جعل الأمر صعبًا. وبنهاية الطريق، أصبحت ابتسامة سام حقيقية نابعة من القلب. وعندما توقف عند الرصيف بجوار مبناها، بدا وكأنه يشعر بخيبة الأمل

سألت مونيكا: «هل ستشاهدون فيلم تارانتينو الجديد هذا الأسبوع؟»

قال سام: «نعم». ثم نظر إليّ كأنه يطلب التأكيد. أومأت.

ساد صمت طويل، وللحظة مخيفة، ظننت أن سام قد يدعوها للانضمام. ليس أن ذلك سيكون فظيعًا، لكن... لا أريدها أن تأتي. على أي حال، لم يعرض، ونزلت مونيكا من السيارة من دون ضجة.

ما إن ابتعدت مونيكا، فككت حزام الأمان وانتقلت إلى المقعد الأمامي بجوار سام. نظر إليّ باستغراب. «لم يكن عليكِ الانتقال».

«لم أرد الجلوس في الخلف وكأنك سائقي.»

«ولِمَ لا؟ قد تكون لعبة تمثيل أدوار حيث أتقمص دور سائق أجرة وأنتِ المرأة الغامضة الجميلة التي التقطتها من المطار.»

ضحكت. «هل هذا ما تريده؟»

«في الحقيقة، كل ما أريده هو أن نصل إلى المنزل لنتمكن من... كما تعلمين، الاحتفال».

«يبدو رائعًا».

أدار سام السيارة وانعطف إلى الجادة الثالثة متجهًا إلى شقتنا. نظرت إلى جانب وجهه في ضوء القمر. هو حليق الذقن الآن، ما يعني أنه حلق قبل أن نخرج. من أجلي.

«بالمناسبة، ألم تجد الأمر غريبًا أن تجلس مونيكا في المقعد الأمامي؟»

دفع نظارته على أنفه. «نعم. قليلًا.»

«أعني، هي الراكبة. كان ينبغي أن تجلس في الخلف.»

«نعم، أظن كذلك.»

لم يبد سام منزعجًا بشكل خاص من الأمر، لذا ربما من الأفضل ألا أضغط عليه في هذا الموضوع. نعم، كان غريبًا. أنا متأكدة أن شيلي ستوافقني. لكن سام لا ينزعج من أمور كهذه. وعلى أي حال، بدا أنه استمتع كثيرًا بالحديث عن خيال رخيص مع مونيكا.

لم أتذكر إلا بعد مرور بضع دقائق، محادثة دارت بيننا حول طاولة الاجتماعات قبل عدة أشهر.

كنت قد قلت حينها: «شاهدتُ جانغو بلا قيود مرة أخرى على نتفليكس الليلة الماضية».

ارتجفت مونيكا، التي كانت ترتّب القهوة على الطاولة، وقالت: «يا إلهي، تارانتينو عنيف جدًا.»

ضحكت: «نعم، لكن زوجي يعشق أفلامه. خصوصًا فيلم خيال رخيص. شاهدنا ذلك الفيلم مرات لا أستطيع عدّها.»

أغمضت عينيّ محاوِلة تذكّر ما قالته مونيكا بعد ذلك. هل قالت إنها شاهدت الفيلم؟ لا أتذكر. ومع ذلك، قولها إن تارانتينو «عنيف جدًا» بعيد كل البعد عن اعتباره المخرج المفضل.

ومع ذلك، بطريقة ما، لم يصبح الآن فيلمها المفضل فحسب، بل إنها حفظت كل جملة فيه عن ظهر قلب.

عضضت على شفتي بقوة حتى آلمتني. كان سام لا يزال يقود، وهو يصفّر لنفسه. لقد قضى ليلة جيدة، ولا فكرة لديه عمّا يدور في رأسي.

ربما أكون غير عقلانية. وربما خانتني الذاكرة في تذكر حوارنا القديم. نعم، لقد قالت إن الأفلام عنيفة، لكنها لم تقل إنها لا تحبها. ربما كانت تقصد ذلك من باب المديح. كأن تقول: «تارانتينو هو المخرج الوحيد الذي يشبع شهيتي للعنف!»

ثم إنها لم تقل أبدًا إنها لم تشاهد خيال رخيص. معظم الناس شاهدوا ذلك الفيلم، إنه فيلم شهير جدًا. كلاسيكي، كما قالت.

مهلًا، ربما حديثنا ألهمها لإعادة مشاهدة أفلامه.

أنا حتمًا أبالغ في التفكير في الأمر. فماذا لو جلست مونيكا في المقعد الأمامي؟ وماذا لو شاركت زوجي ذوقه السينمائي؟ أنا المتزوجة من سام. وبفضل كرم مونيكا، سنصبح والدين قريبًا.

لا أدري لم يتملكني هذا القدر من الارتياب.

الفصل الثاني عشر

هذا هو أول موعد لمونيكا عند طبيبة النساء والتوليد منذ ظهور نتيجة اختبار الحمل الإيجابية.

وبناءً على تاريخ آخر دورة شهرية لها، فهي في الأسبوع العاشر ، أي ما يقارب الحادي عشر. لا يزال بطنها مسطحًا تمامًا، بينما صدرها أصبح ضخمًا. ترتدي ثوب المستشفى، لكنها لا ترتدي شيئًا من الخصر إلى الأسفل. دخلتُ معها إلى غرفة الفحص وعرضتُ أن أنتظر في الخارج بينما تغيّر ملابسها، لكنها أصرت على أن الأمر لا يستحق.

أدرتُ وجهي عندما بدأت بخلع ملابسها، لكنني لم أستطع منع نفسي من إلقاء نظرة خاطفة. ثم تمنيت لو أنني لم أفعل. لم أفكر يومًا في مونيكا على أنها جذابة بشكل خاص، لكنها في الثالثة والعشرين من عمرها، وجسدها مثالي تمامًا. ليس أن جسدي سيئ أو شيء من هذا القبيل، لكن كل شيء فيها مشدود و... كما قلت، مثالي.

قالت: «هذا مثير».

«نعم. هو كذلك.»

ضمت يديها البيضاوين معًا. «قالوا في الهاتف إننا قد نتمكن من سماع نبض قلب الطفل اليوم».

تجلب الفكرة الدموع إلى عينيّ. نعم، أنا وسام كدنا نحصل على طفل من قبل، لكن جانيل كانت تعيش في الجهة الأخرى من البلاد، ولم أذهب معها إلى أي موعد. لم أختبر شيئًا كهذا من قبل.

في الحقيقة، مونيكا رائعة جدًا. ربما كانت غريبة قليلًا في تلك الليلة التي أوصلناها فيها إلى المنزل، لكن منذ ذلك الحين وهي لطيفة للغاية. تخبرني يوميًا كيف تشعر، وساعدتني في التفكير بأسماء للأطفال، والتي رفضها سام جميعها فورًا... ما الخطأ في ورتنغتون؟

كما أنها هي من عرضت أن أحضر هذا الموعد. لم أكن لأطلب ذلك أبدًا، لكنني كنت سعيدة بعرضها. قالت إنه طفلك يا آبي. يجب أن تكوني هنا.

لا أصدق أنني كنت تافهة إلى هذا الحد بسبب جلوسها في المقعد الأمامي من سيارتنا. من يهتم؟ ربما كانت تشعر بالغثيان وتحتاج للجلوس في الأمام. هذا على الأرجح ما حدث.

«بالمناسبة، أنا وسام نود أن ندعوكِ للعشاء الأسبوع المقبل. هل أنتِ متفرغة مساء الأربعاء؟»

ابتهجت: «نعم. سيكون ذلك رائعًا. شكرًا!»

«إنه لمن دواعي سرورنا. أنتِ بطلتنا في النهاية.»

وضعت يدها برفق على بطنها. «مؤسف أن سام لم يتمكن من الحضور اليوم.»

حسنًا، لأكون صريحة، مونيكا دعتني أنا وسام إلى هذا الموعد. وقلت لها إنني سأطلب منه إن كان يرغب في الحضور، لكنني لم أفعل في النهاية. أنا متأكدة أنه لم يكن ليرغب في ذلك. كان الأمر سيكون محرجًا جدًا بوجودنا معًا. هكذا أسهل.

«ربما يحضر الموعد القادم»

قلت بشكل مبهم:«ربما».

أو ربما لا.

حصلت الدكتورة سيلينا وونغ على توصيات عالية، رغم أن مونيكا لا تحتاج إلى طبيبة متخصصة في الحالات عالية الخطورة كما كنت سأحتاج أنا لو أنني تمكنت يومًا من الحمل. ومع ذلك، أشعر بالاطمئنان فور دخول الدكتورة وونغ الغرفة بابتسامتها العريضة وعينيها الذكيتين. هناك شيء في حضورها

يجعلني أثق بها فورًا.
مدت يدها لمصافحة مونيكا: «مرحبا، أنا الدكتورة وونغ. لا بد أنكِ مونيكا جونسون.»
أومأت مونيكا وصافحتها.
ثم التفتت الدكتورة وونغ إليّ وقالت: «وأنتِ... والدة مونيكا؟»
يا إلهي! هل قالت ذلك فعلًا؟ والدة مونيكا؟ حقًا؟
نعم، أنا أكبر منها بثلاثة عشر عامًا، لكنني لست كبيرة إلى هذا الحد... حسنًا، من الناحية التقنية يمكن أن أكون والدتها. لسنا متقاربتين في العمر. لكن بما أن الناس في هذا البلد لا ينجبون عادة في سن الثالثة عشرة، فهذه إهانة صريحة.
أوضحت مونيكا: «آبي ستتبنى الطفل، أنا أحمل الحمل كأم بديلة لها» لأنني كنت مرتبكة جدًا على الكلام.
اتسعت عينا الدكتورة وونغ: «آه آسفة... ظننت أنني رأيت شبهًا عائليًا.»
تمتمت:«لا بأس»
إذا رأت شبهًا عائليًا، ألم يكن بوسعها أن تفترض أننا شقيقتان؟
حسنًا، لن أهتم بهذا الأمر.
سألت: «إذًا هل البويضة هي بويضة آبي؟»

هزّت مونيكا رأسها. «لا، بويضات آبي غير صالحة. نستخدم بويضاتي وحيوانات زوجها المنوية.»

تنظر الدكتورة وونغ إليّ نظرة مرتابة، وأنا على الأرجح أستحقها. مونيكا تنجب طفلًا مع زوجي عمليًا. لم أكن لأفكر في هذا أبدًا لو لم أكن يائسة إلى هذا الحد لأصبح أمًا.

قالت: «آه ...حسنًا، هذا جيد.»

تبدأ الدكتورة وونغ بمراجعة التاريخ الطبي لمونيكا، وهو عادي جدًا. بالكاد أصابها شيء أكثر من نزلة برد طوال حياتها. بالطبع، كنت أعتقد أنني بصحة ممتازة حتى فشلت في الحمل.

بعد الأسئلة، أجرت لها فحصًا نسائيًا، وأصرّرت على الخروج من الغرفة، رغم أن مونيكا لم تبد مهتمة. ثم خرجت الدكتورة وونغ لإعادتي إلى الداخل.

أوضحت: «سنحاول الاستماع إلى نبض القلب باستخدام جهاز دوبلر. تعتقد مونيكا أنكِ سترغبين في السماع.»

خفق قلبي بقوة في صدري. «نعم، سيكون ذلك رائعًا.»

ارتدت مونيكا سروالها مجددًا حتى تتمكن من رفع ثوبها دون كشف ما لا ينبغي. بطنها مسطح تمامًا. لم أكن أتصور أن من الممكن أن تكون المرأة حاملًا في شهرها الثالث وبطنها مسطحًا

لهذه الدرجة. أنا أبدو أكثر حملًا منها.
تضع الدكتورة وونغ الجل على مسبار الدوبلر وتضعه برفق على بطن مونيكا. ترتجف مونيكا وتضحك. «بارد!»
«آسفة على ذلك.» ابتسمت لها الدكتورة. «حسنًا، دعينا نرى إن كنا سنجد نبض القلب. تذكّري أننا ما زلنا في مرحلة مبكرة، فلا داعي للذعر إن لم نسمعه. سنجري الفحص المهبلي عندها.»
لكن بعد أن تحرّك المسبار قليلًا، نسمعه:
هووش، هووش، هووش، هووش...
إنه سريع جدًا، لكنني سمعت أن قلوب الأجنة أسرع من قلوب البالغين. يبدو... حسنًا، يبدو طبيعيًا بالنسبة لي، لكن ماذا أعرف؟ في الحقيقة، يبدو مثاليًا.
هذا نبض قلب طفلي.
قالت الدكتورة وونغ. «مثالي. مئة وثمانون نبضة في الدقيقة، وهذا طبيعي في الأسبوع العاشر. سيتباطأ قليلًا في الثلث الثاني.»
شعرتُ بغصّة في حلقي واغرورقت عيناي بالدموع. فجأة، ندمتُ لأنني لم أدعُ سام للحضور. تمنيتُ لو كان هنا ليسمع هذا معي. طفلنا.

نظرت مونيكا إلى بطنها غير مصدقة. «هذا مذهل»
دمعت عيناها فمسحتها سريعًا قبل أن تسقط الدموع، لكنها على وشك البكاء. لكن... لماذا تبكي؟

سألت مونيكا: «هل يمكننا الحصول على تسجيل لهذا؟»

ياللعجب! مونيكا هي من تريد تسجيل؟ لماذا؟

قالت الدكتورة وونغ: «حسنًا، يمكنكِ تسجيله بهاتفك».

وبالفعل. أخرجت هاتفها وسجلت صوت النبض لفترة أطول مما أراه ضروريًا. دقيقة كاملة. الدقيقة لا تبدو طويلة، لكن بعد عشر ثوانٍ يصبح الأمر مملًا قليلًا، أليس كذلك؟

ذكرني ذلك بأول مرة حصلت فيها على نتيجة الحمل الإيجابية، وكيف أرادت الاحتفاظ بعصا الاختبار. أتساءل إن كانت لا تزال تحتفظ بها. لا بد أنها لم تحتفظ بها فعلًا، أليس كذلك؟

سألت الدكتورة. وونغ بعد انتهاء التسجيل أخيرًا:«هل تخططين لإجراء فحص الثلث الأول؟ إنه تحليل دم للبحث عن مؤشرات تشوهات صبغية، وتصوير بالموجات فوق الصوتية لقياس سماكة السائل خلف رقبة الجنين. دقته عالية في الكشف المبكر عن العيوب الخلقية. يمكننا إجراؤه بعد بضعة أسابيع.»

ضحكت مونيكا: «اوه حسنًا، أنا في الثالثة والعشرين فقط. أنا متأكدة أن الطفل بخير. طالما لم نستخدم بويضات آبي».
شكرًا جزيلًا !
«المخاطر أقل، لكنها ليست معدومة. أوصي بالفحص. إضافة إلى ذلك، ستحصلين على تصوير بالموجات فوق الصوتية، وستتمكنين من رؤية طفلك.»
اتسعت عينا مونيكا دهشةً. في البداية، ظننت أنها ستسألني عن رأيي، لكنها بدلًا من ذلك قالت بسرعة: «نعم، هذا يبدو رائعًا.»
كان ينبغي أن تسألني. أنا من سأكون أم هذا الطفل. لكنني أفترض أنها هي من تحمل الطفل. وعلى أي حال، لن أُضخّم الأمر. أريد لها أن تجري الفحص بالفعل، فلا داعي للتدخل. إنها تفعل تمامًا ما أريده.
فلماذا أشعر بالغثيان معدتي؟

الفصل الثالث عشر

«إذًا، كيف حال تلك المرأة؟»

ترفض أمي بإصرار تام تذكّر اسم مونيكا. تكتفي بالإشارة إليها بـ«تلك المرأة». وغنيّ عن القول إنها ليست متقبّلة تمامًا لفكرة استخدام مونيكا كأم بديلة. أظن أن كلماتها كانت: آبي، هل فقدتِ كل ذرة من حسك السليم؟ أو شيء من هذا القبيل.

قلت في الهاتف بحماس آمل ألا يبدو مصطنعًا. « «إنها بخير جدًا! الحمل يسير على ما يرام. وكل شيء يسير وفق الخطة.»

«والخطة هي أن امرأة شابة جميلة حامل بطفل زوجك.»

قلت من بين أسناني: «نعم، هذه هي الخطة.»

«هممم.»

انقبضت يدي اليمنى بشدة، يحدث هذا دائمًا عندما أتحدث مع أمي.

«لقد قلتِ إنك لن تحكمي عليّ.»

«أنا لست كذلك! قلت فقط... هممم. أنتِ من فسّرتِ ذلك على أنه حُكم. لا بد لأنكِ غير واثقة من نفسك لكون امرأة شابة جميلة، حامل بطفل زوجك.»

اشتدت قبضتي أكثر. في أحد الأيام، وأنا أتحدث مع أمي، سأضرب جدارًا وأكسر يدي.
قلت: «أنتِ تعرفين أني وسام لا نستطيع إنجاب طفل بمفردنا وأن محاولات التبنّي تفشل دائمًا. هذا هو الطريق الوحيد.»
«نعم، كما تقولين. وكيف حال سام على أي حال؟»
«بخير.»
«نعم، أراهن أنه كذلك».
كان نفور أمي من سام شبه فوري عند لقائهما. وافق سام بسرعة على القيادة إلى لونغ آيلاند لمقابلتها ومقابلة أبي بعد نحو ثلاثة أشهر من مواعدتنا، وهو ما اعتبرته علامة رائعة على التزامه بي. كان متوترًا بشكل لطيف، ارتدى بدلة وربطة عنق، واشترى زهورًا وعلبة شوكولاتة. أمضى عشر دقائق أمام المرآة يحاول إتقان عقدة ربطة العنق.
أعتقد أن اللحظة التي بدأت تسوء فيها الأمور، كانت عندما فتحت مدبّرة منزل والديّ، إيميلدا، الباب، فظنها سام أمي. ما زلت في حيرة من أمري كيف أخطأ في ذلك، فإيميلدا مكسيكية داكنة البشرة، وبشرتي أنا شاحبة جدًا.

عندما سألته لاحقًا، تمتم: آسف يا آبي، أنا لم أنشأ في بيت يفتح فيه الخدم الأبواب للناس.
بعد ذلك، بدأ كل شيء في التدهور. وصف سام الغولف بأنه «ممل» قبل أن يُبلّغ بأنه الرياضة المفضلة لوالدي على الإطلاق. عرض حمل الجزر إلى طاولة الطعام ثم أسقطه كله على الأرض. وكانت الخاتمة حين رجع بسيارته إلى الخلف فاصطدم بصندوق البريد في الممر وأسقطه.
أخبرتني أمي عبر الهاتف في اليوم التالي، إنه محظوظ لأنه وسيم.
لاحقًا هدأت تجاهه... نوعًا ما. في الغالب، أحاول ألا يجتمعا كثيرًا، وهي استراتيجية يبدو أنها مُرضية لكل الأطراف.
«اسمعي، تعلمين أن سام كان رائعًا طوال هذه الفترة. ليس كل رجل سيكون متفهمًا إلى هذا الحد بشأن... كل شيء.»
«إذًا يُفترض أن أكون مسرورة لأنه لم يتركِكِ حين لم تستطيعي أن تحملي؟»
زفرتُ بضيق: «ليس هذا ما أقوله يا أمي.»
قالت أمي بجدية: «اسمعيني يا آبي. درس في الحياة؛ لا يمكنك الوثوق بالرجال. أيًّا منهم.»

«يمكنني الوثوق بسام.»
«خصوصًا سام.»
«أمي!»
«حسنًا، سام ليس أقل قابلية للخيانة من غيره من الرجال. راضية؟»
ليس تمامًا. لكنني لن أطيل الجدل.
تابعت: «كل ما أقوله، هو أنكِ لا يجب أن تتركيه وحده مع تلك المرأة. إنه رجل ولن يستطيع منع نفسه.»
«يا إلهي.»
«هذه هي طبيعة الرجال.»
قلت بحدة: «إنه ليس حيوانًا! إنه شخص محترم. لن يخونني لمجرد أن الفرصة سنحت. لن يفعل ذلك.»
«ألن يفعل؟»
«لا! لن يفعل!» وأنا أؤمن بذلك. حقًا أؤمن.
شخرت أمي: «حسنًا، سام قديس. لكن... كل ما أقوله هو كوني حذرة يا آبي. لا تتحدي القدر.»
ربما لن أذكر لأمي أننا دعونا مونيكا لتناول العشاء معنا. لدي إحساس بأنها لن توافق.

الفصل الرابع عشر

«هل علينا أن نفعل هذا حقًا؟»

كالعادة كان سام يتصرف بطبيعته الانطوائية، يثير ضجة بسبب دعوة مونيكا على العشاء الليلة. اتصلتُ لأذكّره أن يُدخل اللازانيا التي أعددتها في الفرن، فانتهز الفرصة للتذمر والشكوى من أنه لا يريد هذا. أنا متأكدة أنه يدرك أن الأمر بلا جدوى. مونيكا قادمة، سواء أعجبه ذلك أم لا.

قلت: «نعم، علينا ذلك»

«هل يجب أن أرتدي ملابس لائقة؟»

«نعم.»

«وماذا تقصدين بملابس لائقة...؟»

«أقصد أنه إن فتحتَ الباب مرتديًا سروالًا رياضيًا وذلك القميص الممزق من الكم، فسأقتلك.»

«حسنًا. شورت رياضي. فهمت.»

أقلب عينيّ وأنا أنظر إلى الهاتف. «سأفترض أنك تمزح.»

«اهدئي يا آبي. أضع اللازانيا في الفرن الآن وأنا أرتدي بدلة

رسمية.»

«سام...»

«أنا فقط لا أفهم لماذا علينا أن نفعل هذا. نحن ندفع تكاليف دراستها العليا. وسنغطي نفقاتها عندما تترك الشركة. لماذا علينا تناول العشاء معها؟»

«أنت لا تحب تناول العشاء مع أحد.»

«أحب تناول العشاء معك.»

حسنًا، هذا صحيح. لكنه ينفر من معظم المناسبات الاجتماعية، باستثناء أصدقائه المقربين. لا يمانع العشاء مع والدته، لكنه سعيد بالترتيب الذي نجتمع فيه مع والديّ مرتين فقط في السنة.

«سأكون في المنزل قبل السادسة إلا ربعًا، حسنًا؟ فقط... من فضلك حاول أن تكون لطيفًا.»

«سأحاول أن أحاول.»

لا أفهم سبب توتره إلى هذا الحد. بدا أنه أحب مونيكا بما يكفي حين أوصلناها إلى منزلها تلك الليلة. ومع ذلك، أعترف أن جزءًا صغيرًا مني سعيد لأنه غير متحمس كثيرًا بشأن تناول العشاء مع الفتاة البالغة من العمر ثلاثًا وعشرين سنة والحامل بطفله.

لديّ بعض الرسائل على مكتبي أحضرتها لي مونيكا هذا الصباح ولم أفتحها بعد. ألتقطت فتّاحة الرسائل التي تحمل اسمي والتي أهداني إياها سام وهممت أفتح أول ظرف. لكن قبل أن أفتحه، انزلقت الفتّاحة وجرحت إصبعي، فبدأ بالنزف فورًا.

اللعنة! إنها حادة جدًا. من المفترض أن تفتح الرسائل، لا أن تُجري جراحة.

«آبي؟»

رفعت رأسي عن إصبعي المجروح، رأيت مونيكا واقفة عند باب مكتبي. ترتدي زيًا آخر من سراويل سوداء مع قميص أبيض بلا شكل، مزرر حتى العنق. خلال الأسبوع الماضي أو نحو ذلك، لاحظتُ انتفاخًا صغيرًا في بطنها، ومع ذلك، لا يزال محيط خصرها أصغر من خصري على الأرجح.

قالت مبتسمة: «مرحبًا. أنا متحمسة جدًا لليلة اليوم. السادسة، صحيح؟»

ألتقطت منديلًا من مكتبي لأخفف تدفق الدم من إصبعي.

«صحيح.»

«هل أنتِ متأكدة أنني لا أستطيع إحضار شيء؟»

«أحضري نفسك فقط.»

أومأت بسعادة. «هل من الممكن أن أغادر الآن؟ أحتاج إلى الذهاب إلى المنزل أولًا.»

ألقيت نظرة خاطفة على ساعتي، الخامسة تمامًا. «بالطبع، يبدو جيدًا! أراكِ في السادسة.»

صفقت بسعادة: «سيكون هذا ممتعًا جدًا! لا أطيق الانتظار!»

بينما اسرعت مونيكا في الممر، ابتسمت في سرّي. ما دام سام ليس متجهمًا جدًا، يفترض أن تكون ليلة لطيفة. أنا سعيدة لأنني دعوتها.

يبدو أن إصبعي توقف عن النزف، لا أظن أنني بحاجة إلى غرز أو حتى لاصق. أمضيت الخمس عشرة دقيقة التالية في الرد على الرسائل الإلكترونية، ثم أغلقت حاسوبي. كنت أستعد لمغادرة مكتبي حين أصطدمت بدنيس. رغم أن اليوم شارف على الانتهاء، لا تزال بدلة دينيس أنيقة كما كانت صباحًا، ولا شعرة واحدة في غير مكانها. كيف تفعل ذلك؟ لا بد أنها ترش نفسها بطبقة واقية كل صباح.

نظرت إليّ بعينيها الزرقاوين الباردتين المتفحصتين. لا بد أنني أبدو متعبة كما أشعر:« «أبيغيل، لم ترسلي لي النص الجديد لموقع كادلز.»

قطبتُ جبيني. «اوه، آسفة، ظننت أنني قد أرسلته.»
قالت بعبوس: «لم تفعلي. أريده حالًا. نسخة مطبوعة إن أمكن.»
نظرت إلى حاسوبي الخامل: «امممم...هل يمكن أن ينتظر إلى الصباح؟ لديّ نوعًا ما... مكان يجب أن أكون فيه...»
«لا يمكنه الانتظار إلى الصباح إطلاقًا. اجتماعنا مع التنفيذيين من كادلز غدًا في الثامنة!»
غدًا؟
عادةً أكون على اطلاع تام بهذه الاجتماعات، لكن ذهني كان مشغولًا كثيرًا مؤخرًا. كيف لم أدرك أن لدي اجتماعًا صباح الغد؟
تنهدت دينيس وقالت: «الآن يا أبيغيل».
«حسنًا.»
عدتُ إلى المكتب لتشغيل الحاسوب. نظرتُ إلى ساعتي، الخامسة وعشرون دقيقة. لدي وقت كافٍ للعودة إلى المنزل قبل العشاء مع مونيكا.
«سأقوم بطباعته حالًا.»
بينما أنتظر إقلاع الحاسوب، أخرجت هاتفي من حقيبتي لأتفقد جدول المواعيد. وها هو الاجتماع: الثامنة صباحًا، تمامًا كما

قالت دينيس. كيف فاتني ذلك؟

استغرق الأمر عدة دقائق ليعمل الحاسوب ويفتح المستند الذي تريده دينيس. أرسلته إلى الطابعة بينما أشعر بنبض عرق في صدغي.

قالت دينيس: «إنها لا تطبع».

اللعنة. مونيكا هي من تعرف كيف تصلح الطابعة. لا أعرف ماذا أفعل الآن. حاولت الطباعة مجددًا، لكن لا شيء يحدث. ألقيت نظرة اعتذار إلى دينيس، فتنهدت بصوت عالٍ.

قلت: «هل يمكنني فقط إرساله لك بالبريد الإلكتروني؟»

تنهدت مرة أخرى. «أفترض أن ذلك مقبول.»

تفقدت الوقت مجددًا، الخامسة والنصف. يستغرقني عشرين دقيقة للوصول إلى المنزل بسيارة أجرة إذا لم تكن حركة المرور سيئة. يفترض أن أصل في موعدي. إلا إذا كانت الحركة خانقة. لكن حتى لو تأخرت، يمكن لسام أن يتولى أمر مونيكا إلى أن أصل.

وقفت دينيس أمام مكتبي، هاتفها مرفوع إلى وجهها. تنقر على الشاشة، ومن الواضح أنها تتفقد البريد الإلكتروني. حبست أنفاسي وأنا أراقب وجهها.

«حسنًا؟»

هزت رأسها. «هل هذا حقًا ما ستقدمينه في اجتماع الغد إلى كادلز؟»

«أم...»

بصراحة، المسودة ليست مكتملة تمامًا، لأنني لم أكن أعلم أن الاجتماع سيكون أول شيء صباح الغد. لكنني لا أظن أنها سيئة إلى هذا الحد. مع بعض اللمسات الأخيرة التي كان بإمكاني إنجازها لو حضرت مبكرًا صباحًا...

«كنتِ ستؤكدين على القيمة الغذائية لطعام الأطفال».

«لقد فعلتُ.»

«لا أراها.»

قرأت من الشاشة: « «إنها هنا، طعام أطفال كادلز مصنوع فقط من أكثر المكونات الصحية والمغذية.»

«نعم، لكن قلتُ لابد من التأكيد. ذكرها مرة واحدة ليس تأكيدًا يا أبيغيل.»

«إذًا... أذكرها مرتين؟»

احمرت وجنتاها: «يجب أن تكون في كل مكان! هريس التفاح يجب أن يكون من تفاح جُني من بساتين خالية من المبيدات!

عصيدة البازلاء يجب أن تُصنع من بازلاء قُطفت من مزارع طبيعية!»

مزارع بازلاء؟ ما هذا الهراء؟

«عليكِ إصلاح هذا يا أبيغيل.»

«سأصلحه أول شيء صباح الغد. أعدك، سآتي مع بزوغ الفجر.»

رفعت حاجبها وحدقت فيّ: «غير مقبول. غدًا صباحًا سيكون الوقت ضيقًا. يجب إصلاح هذا قبل أن تغادري اليوم.»

رائع! لو كنتُ علمتُ بهذا قبل ساعات فقط لكان الأمر سهلًا.

لا أصدق أنني نسيت اجتماع الغد. ماذا يحدث لعقلي؟

قالت أخيرًا: «سأكون في مكتبي. أرسلي لي مسودة أكثر ملاءمة حالما تنتهين منها، ثم سنناقش إن كانت هناك حاجة لمزيد من التعديلات.»

أطلقت سهامًا من عينيّ نحو دينيس، لكنها ارتدت بلا أثر بينما تغادر مكتبي. حسنًا. أستطيع إصلاح هذه المسودة في خمس عشرة دقيقة، ثم أستقل سيارة أجرة إلى المنزل. سأتأخر، لكن ليس كثيرًا.

أرسلت رسالة إلى سام: دينيس تجبرني على إصلاح شيء. سأغادر خلال خمس عشرة دقيقة.

أجاب سام فورًا تقريبًا: ماذا؟؟؟؟ ستصل قريبًا! تحركي فورًا!
المسكين سام. أكاد أراه ينهار.
كتبت: آسفة جدًا. ابدأوا العشاء بدوني. سأصل قريبًا. أعدك.
رد: إياكِ أن تتأخري.
في تلك اللحظة، كنت أصدق ذلك فعلًا.
———

بعد أكثر من ساعتين، عدت إلى البيت متعثرة في خطواتي وصدغي الأيسر ينبض بألم حاد. أصلحت المسودة في خمس عشرة دقيقة، وأرسلتها إلى دينيس، لكنها كانت غير مقبولة. وكذلك التي تلتها. في لحظة ما، نظرت إليّ بنفاد صبر وقالت: «بصراحة يا أبيغيل، أشعر وكأنني أتحدث إلى متدربة.»
لو استغرق إصلاح ذلك النص خمس دقائق إضافية، أقسم أنني كنت سأخنقها بيديّ العاريتين. لم تكن تعاملني بهذه القسوة قبل أن أبدأ بمحاولات الإنجاب.

شعرت وكأن مسمار ثلج يغرز في جانب رأسي بينما أفتش في حقيبتي عن المفاتيح. دائمًا ما يأتي الصداع في صدغي الأيسر. لماذا؟ هل هذه علامة ورم؟ يا إلهي، أين مفاتيحي؟ سام سيقتلني لتأخري كل هذا الوقت.

ثم سمعت ضحك قادم من داخل الشقة.

لامست أصابعي حلقة المفاتيح. انتزعتها و فتحت الباب، لأرى سام ومونيكا جالسين معًا في غرفة المعيشة. على الطاولة أمامهما طبقان فارغان، ما يعني أنهما أكلا في غرفة المعيشة، وهو أمر يعلم سام أنني أمقته خوفًا من تلطخ الأريكة المنقوشة بالزهور. كانت هناك زجاجة نبيذ أبيض مفتوحة على الطاولة وقد شُرب نصفها، وبدا على وجه سام ذلك الاحمرار الذي يعتريه دائمًا حين يتجاوز حدّه في الشرب.

أما مونيكا...

طوال فترة معرفتي بها، كنتُ أراها فتاة عادية الملامح؛ لديها بعض السمات الجميلة، لكنها لا تضع مساحيق التجميل وترتدي ملابس تشبه فتيات الكورال، مما يجعل مظهرها أقل من المتوسط. لكنها الليلة تبدو مختلفة تمامًا؛ فقد وضعت ماسكارا جعلت عينيها الداكنتين تبرزان بوضوح، وأحمر شفاه قرمزيّ

يليق بشعرها شديد السواد، وقميصًا بفتحة رقبة منخفضة كشف عن مفاتنها التي أصبحت لافتة الآن.

مونيكا ليست جذابة فحسب، إنها مثيرة جدًا. أكثر جاذبية مني بكثير، إن كنتُ صادقة مع نفسي. خاصة الآن، وأنا أبدو متعبة ومجعّدة بعد يوم عمل دام اثنتي عشرة ساعة.

هتف سام حين لاحظ أني أحدق بهما، ربما لوقت أطول مما ينبغي: «أخيرًا آبي، مرحبا !»

نهض عن الأريكة وترنح في اتجاهي، كاد يتعثر في السجادة. يا إلهي، كم شرب هذا الرجل؟ طبع قبلة مبللة ومرتبكة على وجهي وقال: «لقد افتقدناكِ. بقايا اللازانيا في المطبخ.»

للوهلة الأولى، ظننتُ أنه سيذهب ليجلب لي بعضًا منها، لكنه بدلًا من ذلك عاد إلى الأريكة بجوار مونيكا وارتمى عليها ثانيةً.

سألتُه وأنا أرمق زجاجة النبيذ نصف الفارغة: «هل أنت ثمل؟»

كان نادرًا ما يشرب أكثر من كأس واحدة، فهذا القدر كافٍ جدًا ليفقده توازنه. ومن المفترض أن مونيكا لم تكن تشاركه الشرب.

قال وهو يرمش بعينيه ويدفع نظارته على أنفه. «لا. لم أشرب إلا القليل. نحن فقط نستمتع بالوقت. صحيح يا مون؟»

ابتسمت لي مونيكا: «آبي». ما زلت لا أستوعب كمية المكياج التي تضعها. «لم تخبريني كم أن سام خفيف الظل.»

لم أفعل، لأنه ليس كذلك. حسنًا، أحيانًا. لكن ليس أكثر من المتوسط. لا شيء يستحق الذكر. «آه»، هذا كل ما استطعت قوله.

«كان يحكي لي نكات رياضية، مضحكة حقًا.»

سمعتُ جميع نكات سام الرياضية من قبل، وهي ليست مضحكة. الشيء الوحيد المضحك فيها هو مدى سخافتها. كأن تكون سيئة لدرجة مضحكة! رغم أنني أظن أن نكات الرياضيات تجاوزت هذه المرحلة ولم تعد مضحكة أبدًا.

قال سام: «تخيلي أن كانت مونيكا تَدرس الرياضيات كمادة فرعية في الجامعة. أليس هذا مذهلًا؟»

نعم. مذهل.

ابتسمت قائلة: «هل لديك نكات أخرى يا سامي؟»

سامي؟ تناديه سامي؟ وهو يناديها مون؟ متى حدث هذا؟ منذ متى يطلقان ألقاب تدليل على بعضهما؟ كم من الوقت كنتُ في المكتب؟

فرك سام ذقنه، مفكرًا. «أم... لماذا عبرت الدجاجة شريط موبيوس؟» وحين لم تجب، قال: «لتصل إلى الجهة نفسها.»

ضحكت مونيكا بصوت أعلى مما ينبغي أن يضحك أي شخص على نكتة عن شريط موبيوس. وأثناء ضحكها، أمسكت بذراعه.

«يا إلهي، أنت مضحك جدًا.»

لاحظ سام نظراتي الواجمة، قال: «آبي، شريط موبيوس هو سطح له جانب واحد متصل...»

«لا بأس، لا تحتاج لشرح ذلك لي.»

ساد صمت محرج. جالت عينا مونيكا في المكان حتى استقرتا على الطبقين فوق طاولة القهوة، فمدت يدها نحوهما قائلة: «دعني آخذ هذه إلى المطبخ.»

قال سام وهو يبعدها بلطف: «لا، مستحيل، أنتِ ضيفتنا، وفوق ذلك أنتِ حامل. دعيني أتولى الأمر.»

إنه يتصرف بلباقة، تمامًا كما طلبتُ منه. لكني أتمنى لو يتوقف عن ذلك الآن. كان يبدو أكثر تماسكًا وهو يحمل الأطباق إلى المطبخ. ثم نهضت مونيكا من على الأريكة لتتبعه، لكنني وقفت أمامها. سألتها: «مهلاً مونيكا، هل تعلمين أن هناك اجتماعًا غدًا في الثامنة صباحاً؟»

أومأت: «نعم. موجود في التقويم. اجتماع كادلز، صحيح؟»
اللعنة، حتى مونيكا كانت تعلم بالاجتماع. ماذا دهاني؟
«هذا ذكرني بأني سأحتاج إلى الغياب بضع ساعات الأسبوع المقبل لإجراء التصوير بالموجات فوق الصوتية وتحاليل الدم. هل هذا مناسب؟»
وضع سام الأطباق في غسالة الصحون والتفت:
«تصوير بالموجات فوق الصوتية؟»
رفعت مونيكا حاجبها متعجبة: «ألم تخبرك آبي؟ سأجري فحص هذا الأسبوع.»
قطب سام جبينه: «هل هناك خطب ما؟»
«أبدًا، كنت سأخبرك لو كان هناك شيء. إنه فحص روتيني. لكنه فرصة لرؤية الجنين. هل تود الحضور؟»
نظر سام في اتجاهي، ثم عاد بنظره إلى مونيكا. يبدو وكأنه ينظر إلى بطنها، لكن من الممكن أيضًا أنه ينظر إلى صدرها. لا أستطيع لومه، فهو لافت جدًا الآن. «آه، نعم، بالطبع أريد. سيكون ذلك مذهلًا.»
أشرق وجهها وقالت: «بالمناسبة، سجّلت نبض القلب في موعد الأسبوع الماضي. هل تريد سماعه؟»

أومأ بحماس. «نعم، بالتأكيد.»
عادا مونيكا وسام إلى غرفة المعيشة وجلسا معًا على الأريكة، بينما جلست أنا على المقعد الصغير. أخرجت هاتفها وشغّلت التسجيل الذي أخذته الأسبوع الماضي.
هووش! هووش! هووش! هووش!
اتسعت عيناه دهشة. «هذا نبض القلب؟»
أومأت.
لم أكن أتوقع ذلك من سام، فهو ليس شخصًا عاطفيًا، لكن عينيه ترقرقت بالدموع كما حدث معي ومع مونيكا في غرفة الفحص.
استمع إلى التسجيل كاملًا، ثم طلب منها تشغيله مرة ثانية.
همس بصوت متهدج: «إنه مذهل»
ابتسمت قائلة: «هذا طفلنا.»
أصابتني كلماتها كلكمة في المعدة. طفلنا؟ لا، ليس طفلنا. هذا الجنين داخلها هو طفلي. طفلي أنا وسام. حتى لو كانت تستخدم «نا» العامة لتشملني، فذلك غير دقيق. هذا ليس طفلها. لدينا عقد. ما الذي يحدث لها؟ ولماذا تجلس قريبة جدًا من زوجي؟
هذه أريكة كبيرة جدًا. لديها كل المساحة لتبتعد، لكنها تجلس

بحيث تكاد ركبتهما تلامس إحداهما الأخرى.
أريد هذه الفتاة خارج منزلي حالًا.
قلت: «على أية حال، أنا آسفة جدًا لأنني لم أتمكن من الوصول مبكرًا يا مونيكا، كان من الرائع وجودك معنا.»
«شكرًا على الدعوة، اللازانيا كانت لذيذة جدًا يا آبي.»
سأضطر لتصديق كلامها. فقد فقدت شهيتي تمامًا.
قال سام بابتسامة عريضة: «ليست أفضل من التي أعدّها أنا».
اتسعت عيناها. «أتعرف الطبخ؟»
أجابها بابتسامة خجولة: «اه... أنا... أتعلم.»
صفقت بيديها. «أحب أن أجرّب شيئًا تطبخه يومًا ما.»
«بالتأكيد، يبدو ذلك رائعًا.»

رائع! الآن يرتّبان لعشاء آخر؟ عليّ إخراجها من هنا بأسرع وقت. قبل أن تنتقل للعيش معنا. لكن قبل أن أقول شيئًا، نهض سام بصعوبة وقال: «حسنًا، تأخر الوقت. ربما عليكِ الذهاب الآن.»
انفرجت أساريري. إنه يطلب منها المغادرة. الحمد لله. لكنني لا أكاد أتنفس الصعداء حتى أضاف: «دعيني أوصلك إلى المنزل.»
في الليلة الماضية لم يكن يريدها قرب سيارته، أما الآن فهو مستعد لقيادتها وهو ثمل. لم أره قط يحاول القيادة بعد أن

شرب أكثر من كأس واحد. أبدًا. ماذا فعلت بعقله؟

قلت من بين أسناني: «لن تقترب من السيارة، لقد تجاوزت الحد المسموح بكثير يا سام.»

احمرت أذناه حين أدرك ما كان على وشك فعله. «نعم، آبي محقة، لا ينبغي أن أقود. سأطلب لكِ سيارة أجرة.»

قالت مونيكا وهي تلتقط حقيبتها من طرف الأريكة: «شكرًا. سامي، سأرسل لك رسالة بموعد فحص الموجات فوق الصوتية، حسنًا؟»

أشار بإبهامه موافقًا، وكل ما أفكر فيه هو: متى تبادلا أرقام الهواتف؟ وأيضًا، لماذا تصرّ على مناداته بسامي؟

أخذتُ نفسًا عميقًا لأسيطر على أعصابي. عليّ أن أهدأ. ليس ذنب مونيكا أنني تأخرت في العمل بسبب الآنسة أوكسفورد. وليس ذنبها أن سام شرب كثيرًا ويتصرف كأحمق. وليس ذنبها أنها أجمل مما كنت أظن. وليس ذنبها أيضًا أنها حامل بنطفة سام.

هذا الأخير ذنبي أنا بالكامل.

يا إلهي، لا أطيق انتظار حتى ينتهي هذا الحمل وتعود الأمور إلى طبيعتها.

الفصل الخامس عشر

لو كان في هذا العالم شيء من العدل، لكان سام قد استيقظ بصداع مبرح في صباح اليوم التالي. لكنه ربما لم يشرب بقدر ما ظننت، لأنه بدا بخير. بل بخير جدًا لدرجة أنني كنت أسمعه يصفّر في الحمام بينما يحلق ذقنه.

ما الذي يجعله سعيدًا هكذا بحق الجحيم؟

سألته عن ذلك بينما يرتدي ربطة عنقه، فرمش عدة مرات بتفاجؤ قائلًا: «آه، لا أعرف. إنه صباح جميل فحسب.»

«ظننتك ستعاني من آثار الثمالة.»

قلب عينيه بضجر: «أخبرتكِ إنني لم أشرب كثيرًا.»

«كنتَ تتصرف وكأنك فعلت.»

لم يرد على ذلك، لكنه بدأ بالصفير مرة أخرى وهو ينتعل حذاءه.

لم أعهد سام يصفّر من قبل، لكن بعد أمسية واحدة مع مونيكا، تحول إلى إبريق شاي ملعون.

هل كان يصفّر هكذا عندما كنا نتواعد في البداية؟

سألته: «هل تعتقد أن مونيكا جميلة؟»

«جميلة؟»

«نعم.»
رد بابتسامة ملتوية: «مستحيل! ليست جميلة إطلاقًا. بل العكس تمامًا. مروّعة الشكل. لم أرد أن أكون فظًا، لكنني اضطررت لإغماض عيني طوال الليل هكذا؛ ثم ضغط جفنيه بطريقة مسرحية وقال: «آمل ألا تكون قد لاحظَت.»
«هاها مضحك جدًا.»
«لا أعرف الكثير عن النساء، لكني أعلم أن هناك إجابة واحدة فقط صحيحة عندما تسألك زوجتك إن كانت امرأة أخرى جميلة.»
«لكنك بدوت مستمتعًا بالحديث معها الليلة الماضية.»
زفر بضيق. «آبي، أنتِ من أرادت دعوتها للعشاء. وأنتِ من تأخرتِ ساعتين. جعلتِني أعدك بأن أكون مهذب. جاءت، فكنت لطيفًا معها، والآن أنا في ورطة؟»
«هناك فرق بين اللطف... واللطف الزائد.»
«لم نكن نتبادل القبل يا آبي. كنا نتحدث فقط.»
في الواقع، كانت جميع إجاباته منطقية. فلماذا لا أستطيع التخلص من هذا الشعور بالضيق في صدري؟
قلت: «نادَتْك سامي»

«وماذا في ذلك؟»

«بدا الأمر... حميميًا أكثر من اللازم. وأنت تكره أن يُنادى عليك بسامي.»

«لا أكره ذلك.»

«قلتَ لي إنك تكرهه.»

انتزع مفاتيحه من على الخزانة. «حسنًا، أكرهه. أكرهه وأكرهها ولا أريدك أن تدعيها إلى هنا مرة أخرى. حسنًا؟ هل أنتِ سعيدة؟»

أطرقت بصري. هناك جزء مني يدرك أنني أتصرف بسخف، لكنني لا أستطيع منع نفسي. فهناك شيء غير صحيح. سألته: «هل ستذهب إلى موعد التصوير بالموجات فوق الصوتية؟»

أجاب بدون تردد: «نعم.»

عضضت شفتيّ.

قال بجدية: «اسمعي، الأمر لا يتعلق بمونيكا. أريد أن أرى الجنين. إنه طفلي أيضًا، وأعتقد أن من حقي الذهاب». ثم قطّب جبينه وأكمل: «لم أعاتبكِ عن كونك لم تخبريني أصلًا بالموعد السابق، لكن من الآن فصاعدًا، أريد الحضور».

كنت أخشى أن يقول ذلك. وهو محق. فهو يستحق أن يكون هناك بقدر ما أستحق، أو ربما أكثر. أنا سأتبنى هذا الطفل، لكنه طفله البيولوجي. وأنا أريد أن أشاركه هذه التجربة لأنني أحبه. فقط تمنيتُ لو لم تكن هي هناك.

لكن ذلك مستحيل، لأن الطفل موجود حرفيًا داخلها.

قال وقد لان صوته: «آبي، أفهم سبب انزعاجك، لكن لا ينبغي أن تكوني كذلك. كما قلتِ، هذا ما أردناه دائمًا. يجب أن تكوني سعيدة.»

هدأتني كلماته اللطيفة، لكن ليس تمامًا. أخذت نفسًا عميقًا، محاوِلة تحديد المصدر الدقيق لبؤسي.

«قالت إنه طفلنا.»

قطب حاجبيه. «ماذا؟»

«هذا ما قالته مونيكا عندما كانت تتحدث عن الطفل. قالت إنه طفلنا.»

«نعم. هو طفلنا.»

«لكنها لم تقصد «نا» التي تعنينا أنا وأنت. قالت نا، بمعنى أنها تشمل نفسها.»

هزّ رأسه. «وماذا تريدين أن تقولي؟»

«ماذا لو أرادت الاحتفاظ بالطفل؟»

«لهذا لدينا عقد، أليس كذلك؟ يمكننا مقاضاتها.»

فكرتَ في نفسي؛ ماذا لو أرادت الاحتفاظ بك أنت أيضًا؟

لكن سام لا يفكر بهذه الطريقة أبدًا. هو غير قلق من الوقوع تحت سحر مونيكا. ولم أكن لأقلق أنا أيضًا، لولا أنني رأيت النظرة على وجهه وهو يستمع إلى نبض القلب. طفله في رحمها. لا بد أن ذلك يعبث بعقله.

«تعالي إلى هنا يا آبي.» فتح ذراعيه، فارتميت على صدره ودفنت رأسي في كتفه. رغم كل شيء، وجودي بين ذراعيه يجعلني أشعر بالدفء والأمان.

قال: «لا تقلقي كثيرًا. سيكون كل شيء على ما يرام.»

لا أعرف ماذا سأفعل إن فقدته يومًا.

الفصل السادس عشر

موعد التصوير بالموجات فوق الصوتية الخاص بمونيكا اليوم في الثانية تمامًا.

كان عليها أيضًا سحب عينة دم وبعض الإجراءات الأخرى، لذا أخذت إجازة شخصية. سام سيحضر طبعًا. كان من المفترض أن يصل كلٌّ على حدة ثم نلتقي هناك. كان الوضع محرج، لكن لا حيلة لنا فيه. أردتُ أن أكون حاضرة، خاصةً إذا كان سام سيكون هناك.

تناولت الغداء على مكتبي، فقط لأضمن أن أصل في الوقت المناسب. عند الواحدة والنصف، التقطتُ حقيبتي وأتجهت نحو الباب. لكن قسمًا بالله لابد أن دينيس لديها كاميرات في مكتبي تعرف بها متى أحاول المغادرة، لأنها كانت تعترض طريقي قبل أن أصل إلى المصعد.

ضاقت عيناها الزرقاوان الجليديتان بينما تنظر نحوي.

هي الشخص الوحيد هنا القادر على جعلي أشعر بالسوء بنظرة واحدة.

قالت: «أبيغيل! إلى أين تذهبين؟ لستِ مغادرة، أليس كذلك؟»

ابتلعت ريقي. «لديّ موعد عند الطبيب. سأعود قريبًا.»
أعلم يقينًا أنني سأضطر للبقاء في المكتب حتى العاشرة ليلًا تعويضًا عن هذا.
قالت بازدراء: «هل أنتِ مريضة؟»
أشحت بنظري. «لا. مجرد موعد روتيني».
هذا غامض بما يكفي. لا يمكنها أن تلمح أي شيء بخصوص اتفاقي مع مونيكا. ثم بعد أسابيع قليلة، ستستقيل مونيكا قبل أن يبدأ الحمل بالظهور.
لو عرفت دينيس ما الذي نفعله... حسنًا، لا أريد حتى التفكير في الأمر. لن تكون العواقب جيدة.
لحسن الحظ، بدا أن دينيس قبلت هذا التفسير.
على أي حال، لم تمنعني جسديًا من المغادرة، وهو ما كان عليها فعله لو أرادت منعي من الذهاب.
قالت: «بالمناسبة، عندما تعودين، أريدك أن تنهي مراسلاتك المتراكمة. وعندما ترسل كادلز بريدًا إلكترونيًا، أتوقع منكِ ردًا خلال أربعٍ وعشرين ساعة، إن لم يكن خلال ساعة.»
قلتُ وأنا أختلس النظر إلى الساعة المعلقة ،كانت الواحدة

وخمس وثلاثين دقيقة: «بالطبع أفعل ذلك.»

«لقد أخبروني أن العديد من رسائلهم لم يتم الرد عليها.»

ماذا؟ هذا غير ممكن. أنا مهووسة بالرد على كل رسائلي. تفويت رسالة محتمل. لكن عدة رسائل؟

سأتحقق من ملف الرسائل غير المرغوب فيها عندما أكون عند الطبيب.

أكدت لها: «سأعالج الأمر».

ثم دفعت نفسي متجاوزة إياها لأصل إلى المصعد. لن أفوّت شيئًا آخر بسببها. ما زلت منزعجة من ذلك العشاء الذي فاتني الأسبوع الماضي.

استقللتُ سيارة أجرة بسرعة ووصلتُ إلى المستشفى في وقت قياسي. كانت الساعة الثانية إلا عشر دقائق، مما يعني أنني وصلتُ مبكرًا.

كانت قاعة الانتظار في قسم طب الأجنة مكتظة بنساء في مراحل مختلفة من الحمل. في الماضي، كانت رؤية هذا الجمع من الحوامل تشعل في قلبي غيرة حارقة، وربما كنتُ سأعود للمنزل لأبكي بحرقة فوق وسادتي مفكرة في مدى ظلم القدر. لكن الأمر مختلف؛ فأنا جزء من هذا كله.

لا أثر لمونيكا ولا سام. يبدو أنني أول الواصلين. جلستُ على أحد المقاعد البلاستيكية لأنتظر.

رمقتني موظفة الاستقبال باستغراب: «هل أستطيع مساعدتكِ سيدتي؟»

ابتسمت لكن ابتسامتي كانت تبدو مرتجفة. «أنا، آه... ألتقي بشخص هنا.»

رفعت الموظفة حاجبها. «تلتقين بشخص؟»

يا إلهي، لا أريد شرح هذا لغريبة. «نعم، هي.. مونيكا جونسون.»

أشرقت ملامح الموظفة بابتسامة معرفة: «اوه نعم، هي على وشك الانتهاء.»

على وشك... الانتهاء؟

قبل أن أتمكن من التفكير في الأمر، رأيت سام ومونيكا آتيان من الخلف. كانت تمسك بسلسلة من الصور بالأبيض والأسود، بينما كان هو يبتسم ابتسامة عريضة. فغرتُ فاهي. ما هذا بحق الجحيم؟

لوّح سام «آبي. فاتكِ الأمر، لكن لدينا صور!»

نهضت من مقعدي وهرعت نحوهما. لا أريد أن أفقد أعصابي في غرفة الانتظار هذه، لكنني غاضبة. كيف فاتني؟ أنا في الموعد!

بل وصلت مبكرًا! ما الذي يحدث؟
همست بحدة: «كيف انتهيتم؟ الموعد في الثانية!»
قال سام بهدوء: «لا. الموعد كان في الواحدة.»
نظرت إلى مونيكا، لم تعد تبتسم قلت لها: «أنتِ أخبرتني أنه في الثانية».
قالت بعبوس: «قلتُ لك الواحدة يا آبي.»
«قلتِ الثانية.» اللعنة!
هزت رأسها. «أنا متأكدة أنني قلت الواحدة. أنتِ وضعتِه في تقويمك. رأيت ذلك.»
هراء! أخرجتُ هاتفي من حقيبتي بسرعة وفتحتُ التقويم و...
موعد أشعة مونيكا – 1 ظهرًا.
يا إلهي، كيف أخطأت؟ قضيت اليوم كله وأنا أظن أنه في الثانية. هل أخطأت إلى هذا الحد؟ ما الذي يحدث لي؟
قلت لسام بيأس: «لماذا لم ترسل لي رسالة؟»
هزّ كتفيه بعجز. «كنتِ مشغولة جدًا مؤخرًا بموضوع طعام أطفال كادلز. لم أرد إزعاجك. ظننت أنكِ لن تتمكني من الحضور.»

شعرت بأنني على وشك البكاء. لا أصدق أنني فوّتُّ التصوير. كنت أريد أن أكون هناك بشدة. والأسوأ أن سام ومونيكا لم يظهرا أيّ اهتمام بالأمر. لم أكن لأتوقع من مونيكا أن تهتم، لكن سام أيضًا لم يبد مكترثًا.

قال سام: «أخبرونا إن كل شيء يبدو جيدًا»

حسنًا، هذا هو المهم. كان الهدف من التصوير هو التأكد من سلامة الطفل، لا الترفيه. قلت: «حسنًا، هذا جيد.»

رفع شريط الصور متسائلا: «هل تريدين رؤيتها؟»

خطفت الصور من يده. هدأ غضبي قليلًا عند رؤيتها. معظم الصورة سوداء، لكن باللون الأبيض يظهر مخطط وجه الطفل، أنف صغير، ذقن صغيرة، وانحناءة جمجمة الطفل.

ابتسم سام. «رائع، أليس كذلك؟»

«هل يمكن...هل يمكننا الاحتفاظ بها؟»

تبادل سام ومونيكا نظرة. ثم قالت :«في الواقع هذه لي. لكنهم سيطبعون نسخة ثانية. كانت هناك مشكلة في الطابعة.»

قلت: «آه.» لا أقول ما أفكر فيه، وهو: إن كانت هناك نسخة واحدة فقط، فلماذا تحتفظ بها مونيكا؟ في النهاية، هذا طفلنا. و«نا» هنا تعني أنا وسام.

قبل أن أبدأ بالانفعال، نادت موظفة الاستقبال: «السيدة جونسون؟»

ابتسمت لنا مونيكا واتجهت نحو مكتب الاستقبال، حيث تمسك المرأة مجموعة أخرى من الصور. سلمتها لمونيكا، قالت: «هذه نسخة إضافية لزوجك.»

ردّت مونيكا: «شكرًا».

«استمتعا! ومبارك لكما!»

مدهش! لقد أشارت المرأة إلى سام بوصفه زوج مونيكا، ولم يشعر أحد بضرورة تصحيح الخطأ. قلتُ لنفسي ربما كان سام ينظر إلى صور الطفل ولم ينتبه كثيرًا. أو ربما لم يسمع موظفة الاستقبال وهي تناديه زوج مونيكا. ومع ذلك...

منحتنا مونيكا ابتسامة واسعة. كانت تضع أحمر شفاه مرة أخرى. لقد أصبحت تضع مساحيق التجميل بكثرة مؤخرًا، وتلبس أقل احتشامًا. اليوم ترتدي قميصًا أسود منخفض الصدر يلتصق بصدرها. وبالطبع، ما زال حملها بالكاد يظهر.

قالت: «يجب أن نحتفل. ما رأيكما بقهوة؟»

تمتمت: «عليّ العودة إلى العمل».

لم تبدُ متفاجئة أو منزعجة من رفضي. «وأنت يا سامي؟»

لا. لا أصدق! لم تسأل زوجي لتناول القهوة دوني. هذا لم يحدث فعلًا. ولماذا ما زالت تناديه سامي؟

قال سام وهو ينظر في اتجاهي: «اممم.. في الواقع، أنا أيضًا عليّ العودة إلى العمل.»

رفعت حاجبيها. «ألم تخبرني إنك انتهيت لليوم؟»

ابتسم بتوتر: «انتهيت من المحاضرات. لكن لديّ، كما تعلمين، بحث.»

سألت باهتمام بدا صادقًا: «حقًا؟ أي نوع من الأبحاث؟»

ابتهج سام كما يفعل دائمًا عندما يسأله أحد عن بحثه، وهو أمر نادر بالنسبة له في المناسبات الاجتماعية.

قال: «أدرس المصفوفات التكاملية العشوائية وعالمية الشمولية والنواة المصاحبة.»

بدت لي وكأنها تفكر بعمق. هل فهمَت ما قاله حقًا؟

سألته: «وماذا تحديدًا عن النواة المصاحبة؟»

أجابها بحماس: «حسنًا، أنا أبحث في احتمالية أن تكون النواة المصاحبة متماثلة مع زمرة أبلية محدودة معينة.»

«وماذا لو كانت دورية؟»

أومأ بلهفة. «نعم! وهذا أيضًا.»
قالت: «واو، هذا يبدو شيقًا. أحب أن أسمع المزيد عنه.»
نظر سام إليّ مرة أخرى. شعرتُ أنه يتوق للحديث معها أكثر عن هذا، لكنه لا يريد إغضابي.
قال: «آبي، هل أنتِ متأكدة أنكِ لا تملكين وقتًا لقهوة سريعة؟»
عادت تلك الغصة إلى حلقي. «لا، ليس لديّ وقت. ولكن إذا كنت ترغب في الذهاب حقًا، فالقرار يعود إليك.»

ظل ينظر بيننا مترددًا. أليس واضحًا ما المفترض أن يفعله؟ من المفترض أن يقول لا لامرأة جذابة في الثالثة والعشرين تدعوه للقهوة! أي أحمق سيعرف ذلك! وددتُ أن أقول له هذا، لكنني لم أرغب أن ترى مونيكا أنني أُجبره على الرفض لما قد يكون قهوة بريئة تمامًا.
على الأرجح.
قال أخيرًا: «ربما عشرون دقيقة فقط. ثم يجب أن أعود إلى العمل.»
هتفت بسعادة: «رائع! أعرف المكان المثالي.»
خرجنا معًا إلى الردهة، ثم اتجه سام ومونيكا معًا إلى المقهى بينما كنت انتظر سيارة الأجرة.

وقفت أراقبهما وهما يسيران في الشارع، يبتعدان أكثر فأكثر عني. كانا قريبين جدًا من بعضهما. أليست هناك قاعدة تقضي بضرورة ترك مسافة قدم على الأقل بينك وبين من تسير معه؟

أم أنني اخترعت ذلك تمامًا؟

حسنًا، عليّ أن أتوقف عن جنون الشك هذا.

أنا أثق بسام. وهذا يكفي.

الفصل السابع عشر

لو لم أكن مضطرة للعودة إلى العمل بعد الغداء، لكنتُ شربت حتى الثمالة.

ومع ذلك أشعر بالإغراء الشديد. تمكنتُ أنا وشيلي من التسلل لتناول الغداء في المطعم المكسيكي أسفل الشارع، وهذا المكان يقدم أفضل مشروب مارجريتا. لكني بالفعل أسير على حافة الهاوية مع دينيس، ولا يمكنني تحمل عواقب أي تقصير في أدائي. كما أنها لو التقطت رائحة كحول في أنفاسي، فلن يمر الأمر بسلام.

قالت شيلي: «لا تبدين على ما يرام يا آبي، دون إهانة.»

شيلي هي ملكة عبارات "دون إهانة"؛ لعبتها تقتضي أن تقول شيئًا مهينًا للغاية، ثم تخفف من وطأته بإضافة "دون إهانة" (رغم أنها تقصدها تمامًا). على سبيل المثال تقول: دون إهانة، لكن هذا الفستان يجعلكِ تبدين كأنكِ مستعدة للقفز خلف سمكة في عرض مائي. أو تقول: دون إهانة، لكنكِ تبدين كبيرة بما يكفي لتكوني والدة مونيكا. لكن هذه المرة، كان من الصعب أن أشعر بالإهانة لأن كلامها كان واقعي.

تمتمتُ وأنا أحدق في كأس الدايت كوك الخاصة بي، متمنية أن تتحول سحريًا إلى مارغريتا: «لا أشعر أنني بخير بالفعل.»

تناولت شيلي رقاقة من الطبق المشترك وقالت: «ظننتُ أن الأمور تسير على ما يرام. مونيكا حملت من المرة الأولى، وقلتِ إن الأشعة كانت طبيعية. إذًا... أظن أن الأمور جيدة؟»

عضضتُ على شفتي. لم أكن قد أفصحت لها عن أي من مخاوفي قبل اليوم، أولًا لأنني لم أجد لحظة حرة للتحدث معها وجهًا لوجه والأمر كان أثقل من أن يُشرح في رسالة نصية، وثانيًا لأنني أعلم أنها ستقول لي «لقد أخبرتُكِ من قبل». ولم أكن بحاجة لسماع هذه الجملة الآن.

لكن من ناحية أخرى، كنت أحتاج للتحدث مع شخص ما.

اعترفت: «لقد أصبحت الأمور غريبة مؤخرًا»

«غريبة بأي معنى؟»

غمستُ رقاقة في صلصة الـ سالسا رغم أنني لستُ جائعة حقًا: «بمعنى أن... سام ومونيكا أصبحا... ودودين.»

رفعت شيلي حاجبيها. «ودودين؟»

وهكذا، انهمرت القصة بأكملها. منذ الليلة التي أوصلنا فيها مونيكا إلى منزلها واستولت على المقعد الأمامي. العشاء الذي تأخرتُ عنه، حيث انسجم سام ومونيكا بشكل كبير بسبب نكات الرياضيات. الطريقة التي تناديه بها «سامي». التصوير الذي فاتني، ثم خروجهما معًا لتناول القهوة بعده.

قلت لشيلي: «قال إنه سيذهب لعشرين دقيقة فقط. لكنني راسلته ولم يرد لمدة ساعتين. لذا...»

تنهدت بعمق وقالت: «واو. هذا غريب»

قلت: «ألم تلاحظي كيف صارت تضع المزيد من المكياج مؤخرًا وتلبس بطريقة أكثر إغراءً؟ كانت ترتدي دائمًا كأنها ذاهبة إلى الكنيسة، والآن تبدو... كما تعلمين، فاتنة»

وافقتني. «لطالما رأيتُ مونيكا جذابة جدًا. وأعتقد إنها النوع المفضل لسام.»

قطبت جبيني. «نوعه المفضل؟»

ابتسمت ابتسامة ملتوية. «حسنًا، هي تشبهك. لذا أفترض أن هذا هو ذوقه.»

نقطة جيدة. لم أفكر يومًا في أن لسام «ذوقًا معينًا»، لأنه نادرًا ما يعلّق على نساء أخريات أو يتحدث عن حبيباته السابقات.

لم أرَ حتى صورًا لنساء واعدهن قبلي. لكن بما إنه دعاني للخروج بسرعة بعد لقائنا، فلا بد أن شيئًا ما جذبه إليّ فورًا.
ونعم، مونيكا تشبهني. لكنها أصغر سنًا. وأكثر أنوثة. وحامل بطفله.
قلت: «إنهما يتبادلان الرسائل أيضًا.»
«حقًا؟»
أومأت. «رأيتُ رسالة منها تظهر على شاشة هاتفه هذا الصباح.»
«وماذا قالت؟»
فكرتُ قليلًا. «امم.. أظنها كانت تشكره على إرسال بحث رياضي أعجبها.»
«حسنًا، يبدو هذا بريئًا تمامًا.»
حركتُ الثلج في كأسي بفتور: «لكن كيف أصبحت مهتمة بالرياضيات فجأة؟ كانت تريد دراسة الفنون لتصبح مديرة إبداعية، والآن بطريقة ما أصبحت تعرف كل شيء عن المصفوفات والنوى المصاحبة، وأيًا كانت تلك الأشياء.»
شخرت شيلي ساخرة: «لا أظن أن العاطفة ستغلب سام وهو يتحدث عن الرياضيات. في الواقع، أتراجع عن كلامي؛ ربما يفعل!»

«ها ها مضحك جدًا.»

هزت شيلي كتفيها: «لا أعرف يا آبي. يبدو أن الرسائل بريئة. لكن إن لم تكوني متأكدة...»

نظرتُ إليها بتساؤل: «ماذا؟»

«هل لديكِ رمز هاتف سام؟»

اتسعت عيناي «لن أتجسس على زوجي!»

«هذا ليس تجسسًا. هذا تفتيش.»

لدي رمز هاتف سام. لكنني لا أنوي فعل شيء به.

«لن أفعل ذلك يا شيلي.»

«إذًا، لن تعرفين حقًا مدى براءة تلك الرسائل، أليس كذلك؟»

لم يعد يعجبني الاتجاه الذي يسير فيه هذا الحديث.

«أعني أن مونيكا لم تفعل أي شيء خاطئ، أليس كذلك؟» ثم قضمتُ رقاقة بمرارة وأكملتُ: «في النهاية، كان خطئي أنني أخطأتُ في موعد الأشعة.»

قالت شيلي بتفكير: «ربما. وربما لا.»

«ماذا تقصدين؟»

«حسنًا، ألا تملك مونيكا صلاحية الدخول إلى تقويمكِ؟ أليس من الممكن أنها أخبرتكِ بالموعد الخطأ، وانتظرت حتى تضعيه

فـي تـقـويـمكِ، ثـم قـامـت بـتغييره لـلموعـد الـصحيح لـتبدي أنـتِ كالحمقاء عندما تصلين متأخرة؟»
سقط فكي في ذهول «هل... هل تعتقدين حقًا أنها قد تفعل ذلك؟»
هزت شيلي كتفيها. «ربما. وربما لا.»
تذكرتُ اجتماع الصباح الذي كان من المفترض أن أحضره مع كادلز ولم أكن أعلم به. هل من الممكن أن تكون مونيكا مسؤولة عن ذلك؟
قلتُ: «لا أدري يا شيل. يبدو هذا شريرًا للغاية، لا يمكنني تخيل مونيكا تفعل ذلك.» توقفتُ قليلًا وسألتها: «هل تعتقدين ذلك؟»
سكتت لثوانٍ بينما حبستُ أنفاسي، ثم قالت أخيرًا: «أظن لا.»
أطلقتُ زفيري. شعرتُ بالراحة لأنها نفَت شكوكي.
لـن يـمكنني سـحب صـلاحـية وصـول مـونـيكا لـتقويـمي؛ فهـي مساعدتي، وجزء كبير من عملها هو التأكد من تحديثه بدقة. يجب أن أثق بها.
وأنا أثق بها.
لكن ربما أقوم بتغيير رمز هاتفي. تاريخ ميلادي ليس آمنًا أبدًا.

تابعت شيلي: «ومع ذلك، الوضع عاطفي للجميع. مونيكا حامل، لذا لديها كل هذه الهرمونات. وسام يريد طفلًا منذ وقت طويل، والآن هناك امرأة حامل بطفله لكنها ليست زوجته. لا بد أن هذا يربكه.»

تمتمتُ: «نعم، كان يجب أن نتبنى. كان هذا خطأ.»

سكتت شيلي.

تنهدتُ. «هيا. قوليها.»

«أقول ماذا؟»

«تعرفين.»

«ماذا؟»

«أنتِ تعرفين ماذا. هيا أخبريني أنكِ حذرتِني من قبل، وقلتِ إن هذا خطأ قبل أن نبدأ حتى».

هزت رأسها وقالت: «لن أقول قلتُ لكِ بينما أنت في تلك الحالة المزرية. أي نوع من الصديقات تعتقدين أنني؟»

النوع الذي يخبرني أنني أبدو في حالة مزرية؟ لا يهم.

قلت: «على أي حال مونيكا ستترك العمل قريبًا، لذا على الأرجح لن أراها كثيرًا حتى يأتي الطفل. فقط في المواعيد الطبية. وبعد

أقل من خمسة أشهر، سنحصل على الطفل. وأعدك، لا حفلات استقبال هذه المرة.»

«أرجوكِ لا، لا يمكنني تخيل شيء أسوأ من ذلك.»

لكن هذا غير صحيح. أستطيع تخيّل ما هو أسوأ.

جلس سام قبالتي على الأريكة، يعمل بهدوء على حاسوبه. هذا ما نفعله عادة، نجلس بجانب بعضنا في غرفة المعيشة، كلٌّ منا يعمل. أحيانًا لا نتبادل كلمة لأكثر من ساعة، ومع ذلك أشعر بالقرب منه. خاصة عندما أمدّ ساقيّ على الأريكة ويضع يده على ساقي، يداعبها بشرود. وكلما رفعتُ نظري إليه، يبتسم.

قطع الصمت اهتزاز هاتف سام بوصول رسالة. يلتقطه ويبتسم للشاشة.

سألته بأقصى قدر ممكن من العفوية: «من يراسلك؟»

«مونيكا.»

بالطبع، قبل دخول مونيكا حياتنا، لم يكن سام يتلقى رسائل إلا مني ومن العمل. والآن أصبحت صديقته الجديدة في المراسلة.

وكزني بمرفقه. «لقد عرفت جنس الجنين.»

أزحت الحاسوب عن ساقي. «أوه، ظننت أننا قررنا الانتظار حتى الولادة لمعرفة ذلك.»

قطّب جبينه. «قررنا؟»

«نعم! قررنا!»

نظر إلى هاتفه ثم إليّ. «إذًا... هي بالفعل نوعًا ما... أخبرتني.»

سقط فكي دهشة. «أخبرتك؟»

«لم أكن أعلم أننا سننتظر لمعرفة الجنس!»

هززت رأسي وقلت: «كنتَ تعرف أنني أردته مفاجأة.»

«لم أكن أعرف ذلك.»

كان يكتب شيئاً على هاتفه وهو يتحدث، وهو أمر مستفز للغاية. ماذا يقول لها؟ أن زوجته نكِدة؟

قال: «رؤية شكل الطفل ستكون مفاجأة كافية، ألا تظنين ذلك؟»

لم أعرف ماذا أقول. فات الأوان لتغيير حقيقة أن مونيكا أفشت السر له. ولماذا راسلته هو ولم تراسلني؟ أنا من تعمل معها. أنا من عرفتها قبله. بسببي يحدث كل هذا.

سألته أخيرًا: «إذًا ما هو؟»

«ظننتُ أنكِ لا تريدين أن تعرفي.»

زفرت بغيظ: «ما دُمت عرِفت، فأنا أيضًا أريد أن أعرف»
«هل أنتِ متأكدة؟»
«نعم!»
ارتفعت زاوية فمه باتسامة ملتوية: «إنه صبي.»
«آه.»
اتسعت عيناه البنيتان بحماس: «سنحصل على ابن! أليس هذا مذهلًا؟»
كان حماسه معديًا. صحيح أنني شعرتُ بالانزعاج لأن مونيكا أفسدت السر، لكنه محق؛ المهم أننا سنحصل على طفل سليم. طفل ذكر سليم! سنصبح والدين قريبًا.
قال: «أحبكِ كثيراً يا آبي.» ثم وضع حاسوبه على طاولة القهوة وارتمى فوقي، بدأ يقبل عنقي حتى شعرتُ بقشعريرة تسري في جسدي. «أنا سعيد جدًا لأنكِ زوجتي.»
ابتسمت لنفسي، مستسلمة للإحساس الرائع بشفتي زوجي على جسدي، متجاهلة اهتزاز الرسائل النصية التي كانت لا تزال تصل إلى هاتفه.

الفصل الثامن عشر

اليوم موعد اجتماعنا الكبير مع كادلز، وأنا متوترة إلى درجة الغثيان.

في المرة السابقة التي اجتمعنا فيها مع كادلز، كنت متوترة لكن بطريقة حماسية. كنت واثقة تمامًا أن حملتي مذهلة. أما اليوم فلا أثر لتلك الثقة. كان أملي الوحيد هو أن أنجح في التظاهر بها.

بوجه عام، لم أكن في أفضل حالاتي مؤخرًا. منذ تلك الليلة التي فاتني فيها العشاء قبل شهرين، وأنا أشعر أنني عاجزة عن ترتيب أي شيء؛ الأسبوع الماضي، فوتُّ اجتماعًا مهمًا جدًا، رغم أنه كان مدوّنًا في تقويمي. أضعتُ ملفًا كاملًا من صور الأطفال، واضطررت إلى أن أطلب من كادلز إرسالها لي بالفاكس مرة أخرى. وبختني دينيس مرتين بسبب عدم ردي على رسائل كادلز الإلكترونية. كما أنني مرضت بشدة بعد تذوقي لطعام أطفال بنكهة بودنغ الموز.

كنت أحتاج أسبوعًا إضافيًا قبل هذا الاجتماع، لكن هذا لن يحدث. سنجتمع اليوم سواء شئت أم أبيت.

قامت مونيكا بتحميل العرض التقديمي على الحاسوب المحمول المتصل بجهاز العرض في غرفة الاجتماعات. أعترف أن مونيكا كانت كالنجم الساطع مؤخرًا. فبالنظر إلى حالة التشتت التي أعانيها، كانت تبذل جهدًا مذهلًا لسد الثغرات. ومنذ أن فاتني اجتماع يوم الاثنين، بدأت تطبع لي جداول يومية وتضعها على مكتبي في الصباح، وتحدد الرسائل الإلكترونية الهامة في بريدي، بل ورتبت غداءً فاخرًا للمسؤولين التنفيذيين في شركة كادلز.

نعم، ما زالت علاقتها ودودة مع سام. هو يؤكد لي أنهما لم يلتقيا لتناول القهوة مجددًا، لكنني ما زلت أرى رسائلها تظهر على هاتفه. كذلك، تزامن موعدها الأخير مع طبيبة النساء مع اجتماع لم يكن بوسعي تفويته، فذهب سام معها وحده. حاولت ألا أدع ذلك يزعجني، رغم مدى سعادته الواضحة بعد ذلك الموعد.

قلتُ لنفسي أن الأمر يتعلق بالطفل—لا بمونيكا.

كنت أجلس في قاعة الاجتماعات أحتسي القهوة بنهم وأقضم أظافري حين وصل جد كوفيلد وأتباعه. خشيت أن يكون كوفيلد فاترًا معي بعد أن فوتُّ الرد على عدة رسائل له، لكنه اتجه نحوي فورًا وصافحني، وإن لاحظت أنه لم يمسك بيدي

أكثر مما يلزم.

قال مبتسمًا: «سعيد برؤيتك مجددًا يا آبي. أتوقع أن تبهريني مرة أخرى اليوم.»

حاولت أن أرد ابتسامته. «بالطبع.»

كوني واثقة. تصرّفي بثقة.

عادةً لا أحتاج أن أقول ذلك لنفسي؛ فقد أصبح اتباع دروس دينيس في إظهار صورة الثقة المطلقة أمرًا تلقائيًا. حتى عندما يساورني الشك في صحة أمر ما، أتقدم للأمام بكتفين مفرودتين، ومن المذهل كيف ينجح هذا الأسلوب غالبًا. لكن اليوم، لستُ متأكدة من قدرتي على فعل ذلك.

قال كوفيلد: «أنا أقول للجميع دائمًا إن آبي آدلر هي الأفضل. إذا أردتَ بيع منتجك، فهي الشخص المناسب.»

قلت: «أقدّر لك ذلك يا جد»

ابتسمتُ بثقة. يجب أن أكون واثقة؛ فلديّ سجل حافل من النجاحات، ولا يوجد سبب للشك في نفسي.

لم تهتز ثقتي ثانية إلا عندما دخلت دينيس الغرفة. خطت نحوي بخطوات حازمة، وعيناها الزرقاوان الجليديتان تنظران إليّ بازدراء بالكاد تخفيه. لقد شهدت كل زلاتي الأخيرة، ولم تكن

راضية أبدًا.
قالت: «أبيغيل، سأكون في الخلف لأقدّم خبرتي إن لزم الأمر.»
المعنى الضمني واضح ومؤلم؛ سأبقى هنا تحسبًا لفشلك.
آخر من دخل الغرفة كانت مونيكا، تحمل طبقًا من الشطائر الفاخرة. كانت ترتدي قميصًا أحمر زاهيًا مع تنورة سوداء تبرز قوامها الجميل. وما بين مفاتنها وقوامها، التفت كل رجل في الغرفة ليحدق بها. حتى كوفيلد فغر فاهه دهشة. تساءلتُ لو كان سام هنا، هل كان سيحدق هو الآخر؟
أصبحت مونيكا في شهرها السادس تقريبًا، لكنها ما زالت قادرة على إخفاء الحمل باختيارات ذكية للملابس. على سبيل المثال؛ بلوزتها الحمراء تلتصق بصدرها لكنها فضفاضة حول خصرها. أتوقع أنه خلال بضعة أسابيع لن تتمكن من إخفاء الأمر بتاتًا. ما يعني أنه سيتعيّن عليّ الاستغناء عنها مهما كان الأمر صعبًا.
لا يمكن أن يعرف أحد في العمل بشأن اتفاقنا.
جلس الجميع واختارو شطائرهم، ثم بدأت العرض التقديمي. قمنا بكتابة النصوص وتصميم موقع إلكتروني باستخدام معلومات منتجاتهم وصور أطفال، لعرض طعام الأطفال الخاص بهم.

قمنا بمناقشة الحملة لشهور، وحتى ساعة متأخرة من ليلة أمس، كنتُ أنا و مونيكا نراجع قائمة من الشعارات الدعائية لاختيار الأفضل. والآن كنت أعرض عليهم النسخة شبه النهائية.

قلت: «من الواضح أن الموقع الحقيقي سيكون تفاعليًا ونحن نعمل مع فريقنا التقني على ذلك بالفعل، لكنني أردت فقط أن أريكم الشكل المتوقع.»

منحت الجميع فرصة لتفحص الصورة المعروضة على الشاشة. رغم مشاكلي الأخيرة، فقد عملت بجد على هذا الموقع. ليتهم يقدّروا ذلك.

كان جد كوفيلد أول من تحدث، وكنت آمل أن يقول شيئًا مشجعًا، لكنه بدلاً من ذلك قطب جبينه وحدّق بي.

قال: «اممم.. آبي؟»

«نعم؟»

«ليس هذا ما اتفقنا عليه إطلاقًا.»

اتجهت نحوي انظار كل من في الغرفة . ليس ما اتفقنا عليه إطلاقًا؟ ماذا يعني بذلك؟ لقد ضمّنت كل ما أخبرني به. كيف يمكنه قول شيء كهذا؟

سألته بحذر: «ماذا تقصد؟»

هز كوفيلد رأسه. «هؤلاء ليسوا الأطفال الذين اتفقنا على استخدام صورهم. لقد أخبرتك أننا نحتاج إلى مجموعة أكثر تنوعًا. وقلت أيضًا إنني أريد وضع أطعمة الأطفال الأكبر في الأعلى وأطعمة المرحلة الأولى في الأسفل.»

هو محق، لقد أخبرني. وأنا أجريت التعديلات بالفعل. لكن عندما نظرتُ إلى شاشة العرض، أدركتُ أن الصورة لا تعكس أيًا من ذلك. كان أول طفل في الصورة ذو شعر أحمر أشعث، والذي أتذكر بوضوح أن كوفيلد وصفه بأنه طفل قبيح، وقد انزعجتُ حينها من وصف أي طفل بالقبح. لكنه ها هو طفل كوفيلد القبيح يحدق في وجهي مباشرة من الشاشة.

يا إلهي، هل وضعت الصور القديمة في العرض التقديمي؟

يا للمصيبة!

لا أصدق أنني فعلت ذلك حقًا. يا له من خطأ غبي!

حتى أنني لم أتحقق منه قبل هذا العرض المهم أمام تنفيذيّ كادلز... ما الذي دهاني؟ لا بد أنني فقدتُ صوابي.

أخذتُ أبدّل الوقوف بين قدميّ، محاوِلة أن أجد طريقة لأجعل الأمر يبدو وكأنه ليس خطأً فادحًا. لا أدري إن كانت هناك طريقة أصلًا.

قلت أخيرًا: «حسنًا، تلك هي الصور الأولى التي استخدمتها قبل التعديل، لأريكم الآن كم صار تصميمنا الجديد أفضل.»

قال كوفيلد: «حسنًا...»

والآن الجميع ينتظر مني أن أعرض التصميم الجديد.

قلت: «عذرًا، أحتاج بضع ثوانٍ لتحميله»

لم أكن أخدعهم. لكن، اضطرت مونيكا للمجيء إلى مقدمة الغرفة لمساعدتي في تحميل الصور الصحيحة، وكان الموقف فوضويًا. شعرتُ بالغضب ينبعث من دينيس، التي كانت تبذل قصارى جهدها لتهدئة جماعة كادلز بينما أحاول أنا إنقاذ الاجتماع.

استغرق الأمر عشرين دقيقة، لكنني تمكنت أخيرًا من عرض الصورة الصحيحة على الشاشة. حسنًا، كانت عثرة بسيطة، لكن المهم أن لدي تصميمًا ممتازًا لمنتجهم. هذا هو الأهم.

قال كوفيلد: «لا أدري يا آبي...»

يا إلهي، ماذا الآن؟

سألتُه بأكبر قدر ممكن من الهدوء: «نعم؟»

هز رأسه وقال:«لم يعجبني هذا الشعار الدعائي: "طعام أطفال كادلز —لا شيء أهم من معدة طفلك".»

«ما المشكلة فيه؟»

بعيدًا عن حقيقة أنه مريع، لم أستطع ابتكار ما هو أفضل منه.

قال: «إنه ثقيل.»

«ثقيل؟»

قال: «أريد شيئًا ينساب على اللسان بسهولة. تفهمين؟»

ترمقني دينيس بنظرة احتقار من الطرف الآخر للغرفة. أُجهد ذهني محاوِلة تذكر قائمة الشعارات التي حفظتها على حاسوبي. هناك شعارات أخرى قد تعجبهم أكثر. لو فقط استطعت أن أتذكر...

قالت مونيكا فجأة: «ماذا عن: طعام أطفال كادلز—لأن طفلك يستحق الأفضل».

بدا هذا الشعار مألوفًا؛ لقد كان من قائمة الشعارات المرفوضة ليلة أمس.

التفت كوفيلد ليحدق في المرأة التي كانت تصب له القهوة وتساعد مع جهاز العرض. ارتسمت ابتسامة بطيئة على شفتيه.

قال: «في الحقيقة... أعجبني هذا.»

أشرقت مونيكا. «حقًا؟»

أومأ بحماس: «نعم! إنه واضح، بسيط... ويجعل الآباء يشعرون بالذنب ليدفعوا أكثر قليلًا مقابل طعامنا.» ثم مال نحو دينيس مبتسمًا: «هذه الفتاة جوهرة.»

قالت مونيكا بسرعة: «لا أستطيع أن أنسب الفضل لنفسي. كان ضمن قائمة آبي. هي من ابتكرته فعلًا.»

قال كوفيلد:«نعم، لكنكِ أنتِ من عرفتِ أنه مناسب لنا. وهذا نصف المعركة.»

ابتسمت دينيس ابتسامة دافئة لمساعِدتي وقالت: «أتعلم، مونيكا واحدة من نجومنا الصاعدين هنا في ستيوارت.»

لحظة! هي... ماذا؟

نجونا من الاجتماع، لكنني لم أشعر بالارتياح حيال أي جزء منه. كان من المفترض أن يُعجب كوفيلد بعرضي التقديمي. وبدلًا من ذلك، سرقت مونيكا الأضواء بشعاري. وحين انتهي الاجتماع، كان فريق كادلز يتحدث معها كما لو كانت هي المسؤولة. في المقابل، أمسكت دينيس بذراعي بقوة حتى شعرت أنها قد تقتلعها من مكانها.

همست في أذني بحيث لا يسمعنا فريق كادلز: «ما هذا الذي فعلته يا أبيغيل؟ كدتِ تفسدين كل شيء. هل تتعاطين مخدرات أو ماذا؟»

تمتمتُ«لقد كان خطأً غير مقصود»

رمقتني بازدراء: «الناس يُطردون بسبب أخطاء غير مقصودة.»

«لكن كل شيء انتهى على ما يرام.»

هزت دينيس رأسها وقالت: «نعم، بفضل مساعدتكِ. لا أعرف ما الذي يمر بكِ مؤخرًا يا أبيغيل، ربما شيء في حياتكِ الشخصية،» وكان هذا تهوينًا للأمر، «لكنكِ بحاجة لتصحيح مسارك، وبسرعة.»

«لن يتكرر مرة أخرى.»

«بالفعل، لن يتكرر.»

رمقتني دينيس بنظرة أخيرة باردة، ثم استدارت لتتحدث مع كوفيلد بابتسامة مشرقة حولت ملامح وجهها تمامًا. لا أتذكر متى كانت آخر مرة ابتسمت لي دينيس بمثل تلك الطريقة. هي محقة في أنني أخطأتُ اليوم، لكنها لا تجعل الأمور أسهل أبدًا.

ذهبت مونيكا إلى خلف الغرفة لرفع القهوة فلحقتُ بها. إذا استمرت الأمور على هذا المنوال، فستصبح مسؤوليتي الوحيدة قريبًا هي إحضار القهوة في هذه الاجتماعات. لا، هذا ليس صحيحًا؛ سأُطرد قبل ذلك.

قالت مونيكا وهي تمسح بقعة قهوة عن الطاولة: «آمل ألا أكون قد تجاوزتُ حدودي بتدخلي قبل قليل.»

أجبرتُ نفسي على الابتسام وقلت: «بالطبع لا، لقد أنقذتِ الاجتماع.»

ابتسمت لي قائلة: «أتعتقدين ذلك؟»

أجبتها: «بالتأكيد،» رغم أن قول ذلك كان يقتلني.

نادتها دينيس: «مونيكا! تعالي وانضمي إلينا للحظة!» كانت تقف بجوار كوفيلد ورجال كادلز الآخرين.

قالت مونيكا وهي تنظر لوعاء القهوة المسرب والأكواب المبعثرة: «آه... دعيني فقط أنتهي من التنظيف هنا.»

قالت دينيس: «لا تهتمي، أبيغيل ستنظف المكان. نود التحدث معكِ.»

راقبتُ مساعدتي بذهول وهي تذهب للتحدث مع المسؤولين بينما أقوم أنا بتنظيف بقايا القهوة. شعرتُ بالغثيان. لقد كنتُ ممتنة لـ مونيكا لأنها أنقذتني خلال الاجتماع، لكني الآن أتمنى لو أنها تركتني أتخبط وحدي.

الفصل التاسع عشر

لم أستطع النوم.

حاولت القراءة. حمّلت ثلاثة كتب مختلفة على جهاز كيندل، لكن لم يجذب أي منها انتباهي. ذهبت إلى الحمام مرتين. شاهدت بعض المقاطع على يوتيوب، لكنني سمعت أن التحديق بالشاشات يطرد النوم، فأطفأته.

وعندها نهضت من الفراش وبدأت أذرع الغرفة جيئة وذهابًا.

وكما هو متوقع استيقظ سام. جلس في السرير، يفرك عينيه ويتثاءب، ثم اضاء المصباح المجاور وهو ينظر إليّ غير مصدّق.

«آبي، الساعة الثانية صباحًا.»

«لا أستطيع النوم.»

«نعم، لاحظت.»

قبل أربع سنوات، مررتُ بفترة ضغط شديد في العمل، تزامنت مع ذروة مشاكل العقم لدينا. وكنت حينها أيضًا أعاني من صعوبة بالغة في النوم. كنت أستيقظ كل ليلة في الثانية صباحًا وأمشي في غرفة النوم.

لأكون منصفة، كان سام متعاون بشكل رائع. كان ينهض معي، ونجلس معًا في المطبخ نتحدث ونشرب الحليب الدافئ. هكذا عرفتُ أنه سيكون أبًا عظيمًا لمولود جديد. اذ لم يكن يمانع الاستيقاظ في منتصف الليل ليُعدّ لي الحليب. والمفارقة أن ذلك جعل الأمر أسوأ. لأنني أردت طفلًا ليس من أجلي فحسب، بل من أجله هو أيضًا.

قلت وأنا أجلس على حافة السرير: «أفسدتُ اجتماعًا اليوم في العمل، اجتماع هام للغاية. عرضت الصور الخاطئة. كان كارثة.»

قال وهو يفرك عينيه مجددًا. «آه، إذًا... ماذا؟ هل أصبحتِ بلا عمل الآن؟»

«لا.»

«إذًا ستُصلحين الأمر. أنتِ تفعلين ذلك دائمًا.»

«وماذا لو لم أفعل؟»

هز كتفيه. «حسنًا، سنرزق بطفل قريبًا. يمكنكِ البقاء في البيت إن أردتِ.»

وضعت يديّ على خصري وقلت: «أنت تعرف أنني لا أريد ذلك! لقد عملتُ بجد لأصل إلى ما أنا عليه! على أية حال، دخلك وحدك لا يكفينا، سنضطر للبدء في سحب مدخراتي».

«أكسب ما يكفينا للعيش.»

«ليس تمامًا.»

رمقني بنظرة معينة. نادرًا ما يبدو سام مستاءًا من كوني أكسب ضعف ما يكسبه، أو من اضطرارنا لاستخدام صندوقي الائتماني لدفعة الشقة، لكن أحيانًا أشعر أن الأمر يضايقه أكثر مما يظهر.

على أي حال، هذا الحديث لم يجعلني أشعر بتحسن. أواصل المشي في غرفة النوم الصغيرة، وقلبي يخفق بقوة. لماذا لا أستطيع إيقاف أفكاري؟ ما خطبي؟

قال: «ألا يوجد حبوب منومة من المرة السابقة التي عانيتِ فيها من الأرق؟»

فكرت قليلًا: «ربما... أظنها ما زالت في خزانة الأدوية. لكنها تعود لأربع سنوات. ربما انتهت صلاحيتها.»

تثاءب قائلًا: «غدًا تتصلين بطبيبك لتحصلي على وصفة جديدة.»

«لا أريد الاعتماد على الحبوب للنوم.»

«نعم، تريدين فقط قضاء الليل في الطواف في الشقة.»

معه حق. «حسنًا، سأتصل بطبيبي غدًا.»

فرك سام عينيه مرة أخرى. يبدو جذابًا جدًا الآن، شعره الداكن مبعثر، والذقن الخشن... إضافة إلى أنه ينام عار الصدر. وهذا يزيد الأمر إثارة.

خطرت لي فكرة قد تساعدني على الاسترخاء...

تسللتُ عائدة إلى السرير، لكن هذه المرة إلى جانب سام:

«مرحبا... هل تود أن نتسلى قليلًا...؟»

«أوه...»

قطبتُ جبيني ونظرتُ إليه. أليست الإجابة نعم؟

«أعني، نعم، بالطبع. لكن... لديّ محاضرة في الثامنة صباحًا و...»

يا إلهي! هل يصدّني سام؟ لم يفعل ذلك أبدًا! طوال سنوات المواعدة والزواج، لم يرفض أبدًا طلبًا للجنس. كان هذا يشعرني بالذنب أحيانًا، لأنني في بعض المرات كنت أرفض بسبب (وياللسخرية) اجتماع مبكر. لكن سام كان دائمًا يقول نعم. حتى عندما يكون لديه محاضرة مبكرة، كان دائمًا مستعدًا للتضحية بالنوم من أجل المتعة. دائمًا.

لماذا لم يعد مهتمًا الآن؟ هل للأمر علاقة بالرسائل التي لا يزال يتلقاها بانتظام على هاتفه؟

قلت وأنا أبتعد عنه: «حسنًا، لا بأس. كما تشاء.»

أخفض رأسه «أنا آسف يا آبي.»

والآن يعتذر لي لأنه صدني. لو كان هناك شيء يجعلني أشعر بسوء أكبر، فهو اعتذاره هذا.

«لا تشغل بالك»

«غدًا مساءً»

«نعم.»

نظر إليّ لحظة، ثم هز رأسه وأطفئ الضوء. استدار محاولًا العودة إلى النوم، وبعد دقائق ملأ الغرفة صوت شخيره الخفيف.

كان هاتف سام موصول بالشاحن ومستقر على حافة النافذة. أعرف رمز المرور عن ظهر قلب. سيكون من السهل جدًا أن أذهب وأتفقد رسائله. أرى ما الذي يناقشه هو ومونيكا بحماس طوال هذه الأسابيع. لكن ذلك سيكون خيانة كبيرة لثقته.

لا يمكنني فعل ذلك.

أم يمكنني؟

اذا كان غير مهتم بالجنس مع زوجته. أليس هذا مؤشر على وجود امرأة أخرى في حياته؟ بالتأكيد لديّ سبب وجبه للشك.

لكن لا أستطيع أن أفعل ذلك بسام. أنا أثق به. لن يخونني. لن يفعل.

كنت لا أزال أحدّق في هاتفه عندما غلبني النوم أخيرًا.

الفصل العشرون

موعد مونيكا لدى طبيبة النساء اليوم، وسأحضر هذه المرة. بطريقة ما، نجحت مونيكا في جدولة كل المواعيد السابقة في أوقات لم أستطع الحضور فيها، لكن هذا الموعد في الصباح الباكر، وسأذهب مع سام بالسيارة لأضمن ألا أخلط في الوقت بشكل غامض مرة أخرى.

قال سام وهو يقود شمالًا باتجاه عيادة الدكتورة وونغ: «أنا سعيد لأنكِ استطعتِ الحضور اليوم. من المؤسف أن الموعدين السابقين لم يناسبا جدولك.»

تمتمتُ: «نعم. للأسف لم تعد مونيكا تملك صلاحية الدخول إلى تقويمي الخاص. آه، لحظة.»

ألقى عليّ نظرة جانبية. «ما المقصود بذلك؟»

«أقول فقط إن الأمر يبدو مصادفة غريبة، لا أكثر.»

توقف عند إشارة حمراء. «هل تلمحين إلى أن مونيكا تتعمد جدولة مواعيدها في أوقات لا تستطيعين الحضور فيها؟»

«لا.» لكنني كنت ألمّح بقوة. «من الرائع أنك استطعتَ حضور كل المواعيد على أي حال.»

«حسنًا، جدولي أكثر مرونة من جدولك.»
هذا صحيح، رغم أن لدي شعورًا بأنها تراجعه قبل أن تحدد أي موعد. لسبب ما، تريد مونيكا وجود سام في تلك المواعيد. حتى إنها جعلته يوصلها في الموعد الأخير، وفي العمل لم تكفّ عن الإشادة بمدى روعة ركنه للسيارة في مكان صغير جدًا. لا بد أنه استمتع بذلك.
سألت: «عن ماذا تراسلك دائمًا، على أي حال؟»
دفع نظارته إلى أعلى أنفه. «غالبًا أمور تتعلق بالرياضيات.»
«رياضيات؟»
أومأ بحماس. «نعم. تعلمين يا آبي، مونيكا تفهم حقًا هذه الأمور. لديها عقل رياضي مُبهر. أعلم أنها مصممة على العودة للدراسة في مجال الفن الجرافيكي، لكنني أحاول إقناعها بدراسة الرياضيات. يمكنها فعل ذلك.»
«وماذا تقول هي عن ذلك؟»
«قالت ستفكر بالأمر.» قطع سام طريق سائقٌ آخر فلعنه بصوت خافت دون أن يطلق البوق. «تريد التقديم إلى برنامجنا، لكنني أظن أن ذلك قد يكون محرجًا لأن... حسنًا، أنتِ تعرفين.»
«حقًا؟ يا للعجب.»

زفـر بـضيق «انـظري، دعـينا لا نتحـدث عـن مـونـيكا بـعد الآن. حسنًا؟»

«حسنًا. عن ماذا تريد أن نتحدث؟»

ابتسم «لا أدري. ما رأيـك بأسماء الأطفال؟ لم يـتبقَّ لديـنا وقت طويل للاختيار.»

لم أستطع منع نفسي من مبادلته الابتسامة. «لن أوافق على آدم.»

«ما المشكلة في آدم؟ اسم رائع. توراتي.»

«آدم آدلر؟ فيه جناس زائد. يبدو كهوية سرية لبطل خارق من مارفل.»

«وماذا عن جاكوب؟»

«لا. واعدت رجلًا اسمه جيك.»

«وماذا في ذلك؟»

«سيكون غريبًا!»

قلب عينيه ضجرًا. «حسنًا، وماذا عن ريتشارد؟»

«واعدت رجلًا اسمه ريتشارد أيضًا.»

«ماثيو؟»

«واعدت ماثيو أيضًا.»

شخر ساخرًا: «ربما علينا النظر إلى أسماء أكثر عالمية لنجد اسمًا لم تواعديه.»

«حسنًا، لكن تذكّر أنني قضيت فصلًا دراسيًا في إيطاليا.»

«نعم، لا أريد أن أعرف.»

من الغريب نوعًا ما أننا أنا وسام لم نتحدث كثيرًا عن علاقاتنا السابقة. أعلم أنه كانت لديه صديقات قبلي، سيكون غريبًا لو لم يكن، إذ لم نبدأ المواعدة إلا في منتصف العشرينات. إذا سألته يومًا، سيقول شيئًا مبهمًا عن كون الأمر في الماضي، ثم يسألني لماذا أريد أن أعرف إلى هذا الحد. أو يعلّق تعليقًا مثل: لم تكن العلاقة مهمة. كان ذلك يزعجني لأنني كنت أخشى أن يأتي يوم يتحدث إلى صديقة مستقبلية عني ويقول: «آبي لم تكن بهذه الأهمية.»

بالطبع، عندما تمت خطبتنا، كنتُ أدرك أن علاقتنا تعني له الكثير، فطردتُ ذلك القلق من رأسي. لكني كنتُ لا أزال فضولية بشأن حبيباته السابقات. ربما لأنني لا أستطيع تخيل فتاة تنفصل عن رجل رائع مثل سام، وفي الوقت نفسه، يصعب عليّ تخيل أنه قد يترك أحد؛ لا أستطيع تصور قيامه بمثل هذه المحادثة.

وصلنا إلى عيادة الدكتورة وونغ قبل الموعد بوقت كافٍ لركن السيارة والمشي معًا. لاحظت أنه- أثناء سيرنا- إلى- العيادة لا يمسك بيدي كما يفعل عادة. لكنني افترضت أن الظرف غير مناسب الإمساك بالأيدي.

عندما دخلنا غرفة الانتظار، كانت مونيكا هناك بالفعل. نهضت حين رأتنا، وسقط فكي ذهولًا. عادة تحاول إخفاء بروز بطنها في العمل، لكنها الآن ترتدي قميص حمل أزرق مربوطًا أسفل صدرها الكبير، و... يا إلهي، تبدو حامل جدًا. لا ينبغي أن أتفاجأ، فهي على وشك دخول شهرها السابع، لكن واو، بطنها كبيرة. لا شك في وجود طفل هناك.

طفل سام.

ابتهجت عند رؤيتنا. وحين اقتربنا، أسرعت بإلقاء ذراعيها حول كتفي سام. لو لم يكن فمي مفتوحًا بالفعل، لكنت فعلت ذلك. لم يكن لدي أي فكرة أن علاقة سام ومونيكا تسمح بالعناق. سام تحديدًا ليس كثير العناق. هو حنون جدًا معي، لكنه كان يتذمر من اظهار العواطف المفاجئة أمام الأصدقاء أو الأقارب. كان دائمًا يقول أن الشخص الوحيد الذي يمكنه عناقه أو تقبيله هو زوجته. وربما أمه.

ومونيكا، على ما يبدو. لأنه لا يبعدها عنه إطلاقًا.

لوّحت لي مونيكا، بالطبع لا أستحق عناقًا. لا أستطيع التوقف عن التحديق في بطنها. لا أصدق كم هي كبيرة. أيًا كان ما تفعله لإخفائها في العمل فهو مثير للإعجاب، لكنه لن ينجح طويلًا.

بدا سام منبهرًا ببطنها أيضًا. ظل ينظر إليها ثم شعر أخيرًا بالحاجة إلى التعليق. قال: «الطفل يكبر.»

أومأت بحماس. «ونشيط! كان يركل بشدة اليوم.»

ابتسم. «حقًا؟ لا بد أن ذلك شيء مدهش.»

بادلته الابتسامة «إنه كذلك.تفضل جرب بنفسك.»

ثم أمسكت بيده ووضعتها بقوة على بروز بطنها. وللانصاف، بدا عليه الاحراج، لكنه لم يسحب يده. سمح لها بأن تُبقي يده على بطنها. بعد لحظات، اتسعت عيناه. «أوه، واو! هذا مذهل!»

ضحكت: «أليس كذلك؟ كأنه يرافقني دائمًا.»

رفعت مونيكا يدها، لكن سام لم يحرّك يده. ظلت راحته مضغوطة على بطنها، يشعر بحركة الطفل. ارتسمت على وجهه ابتسامة بلهاء وقال: «آبي، يجب أن تشعري بهذا!»

لم أكن أريد لمس مونيكا أكثر مما تريد هي أن ألمسها. ولحسن الحظ، أنقذتنا الممرضة عندما نادت اسم مونيكا.

توجهنا نحن الثلاثة إلى الداخل، لكن الممرضة أوقفتنا. قالت: «آسفة جدًا. لكننا نسمح بشخص واحد فقط إضافي داخل الغرفة أثناء فحوصات الحمل. هذا نظام العيادة لدينا.»

يا له من نظام غبي. نظرت مونيكا فورًا إلى سام، كان من الواضح من تفضّل وجوده معها. لكن سام قال بسرعة: «آبي، عليكِ أن تذهبي أنتِ. لقد حضرتُ الموعدين الأخيرين بالفعل.»

انطبقت شفتا مونيكا في خط مستقيم. «هل أنت متأكد؟»

اجاب بابتسامة ملتوية:«نعم، لا بأس، سأنتظر هنا. شعرتُ بحركة الطفل، وهذا هو الجزء الأفضل».

لم تتحدث مونيكا معي إطلاقًا في طريقنا إلى غرفة الفحص، ومن الواضح أنها غاضبة لوجودي هنا بدل سام. تعمدت السير أمامي بعدة خطوات كي لا تضطر حتى إلى النظر إليّ.

وعندما دخلنا الغرفة، نظرت إليّ ببرود وقالت: «هل تمانعين أن تخرجي حتى أغيّر ملابسي؟»

قلت: «بالتأكيد». ولم أذكرها بأنها لم تمانع وجودي أثناء تغيير ملابسها في الزيارة الأولى.

خرجت من الغرفة، كان من الواضح أنها لن تناديني حتى تصل الطبيبة. وهذا ناسبني تمامًا، لأن آخر ما أريده هو الوقوف معها

هناك في صمت محرج.

جاءت الدكتورة وونغ ومعطفها الأبيض متدلٍ على كتفيها. رأتني أقف خارج الغرفة، فاتسعت عيناها بدهشة. «أوه!»

لوّحت لها نصف تلويحة؛ «مرحبًا. أنا آبي. لا أعلم إن كنتِ تتذكرينني من الزيارة الأولى...»

قالت بابتسامة متكلفة: «نعم، نعم، بالطبع. معذرة، لقد... بطريقة ما لم أظن أنك ما زلت طرفًا في الأمر.»

رمشتُ بعيني «ماذا تقصدين؟»

توردت وجنتاها وقالت: «حسنًا... زوج مونيكا كان معها في الزيارتين الماضيتين، لذا ظننتُ...»

«زوج... مونيكا؟»

أومأت الدكتورة وونغ. «نعم. ربما في الثلاثينيات من عمره، شعره بني، يرتدي نظارات، وجذاب إلى حد ما...»

«سام؟»

فرقعت بأصابعها. «نعم، صحيح! سام.»

«لا، سام زوجي أنا»

ضحكت الدكتورة وقالت: «أوه! حسنًا، أظن أن هذا يبدو منطقيًا أكثر، أليس كذلك؟ لكني كنتُ سأقسم أنهما قالا إنه زوجها.»

أردت أن أخبر الدكتورة وونغ أنها مخطئة، لكن الكلمات لم تخرج. فجأة شعرت بإحساس مريع في معدتي. يمكنني تخيل مونيكا وهي تقول للطبيبة إن سام زوجها، هذا ينسجم مع سلوكها الأخير. لكن سام ما كان ليوافق على ذلك أبدًا. لو سألته الطبيبة، لأخبرها إنه ليس زوجها. كان ليصحح لها المعلومة.

أليس كذلك؟

الفصل الحادي والعشرون

دخلت مونيكا مكتبي هذا الصباح حاملةً قهوتي، ولم يعد ثمة مجال للإنكار؛ فقد أصبح حملها ظاهرًا بشكل لا يخطئه أحد. سيبدأ الناس في العمل بملاحظة الأمر قريبًا، إن لم يكونوا قد لاحظوا بالفعل.

ليس الأمر بمستغرب، فهي الآن في شهرها السابع. ومن المذهل أنها نجحت في إخفاء الأمر طوال هذه المدة، حتى مع اختياراتها الذكية للملابس. فقد سمعتُ بعض السكرتيرات يتهامسن بسخرية في حمام السيدات حول ضرورة أن تقلل مونيكا من تناول الشوكولاتة، وسمعتُ أخريات يمزحن بشأن هوية الأب. لقد انكشف الأمر تمامًا.

سألتها بحذر: «كيف تشعرين؟»

وضعت يدها برفق على بطنها. «متعبة قليلًا، لكنني بخير بشكل عام.»

«هذا رائع.» عضضت شفتَي وأنا أختار كلماتي التالية بعناية. «هل، امم... ترغبين في الجلوس؟»

رمقتني مونيكا بنظرة غريبة، لكنها جلست على الكرسي المقابل لي. نهضتُ وأغلقتُ الباب لنحصل على بعض الخصوصية.

قلت وأنا أعود إلى مقعدي الجلدي: «اسمعي، أظن أنك تدركين أن حملك أصبح واضحًا جدًا للجميع.»

قالت: «أعتقد ذلك».

أطرقت برأسها. ولاحظتُ للمرة الأولى أنه برغم أن شعر مونيكا شديد السواد مثل شعري، إلا أن جذور شعرها باهتة اللون. كانت إحدى نقاط القوة عندما اقترحتْ أن تكون أمًا بديلة لي هي تشابه ملامحنا، لكني لم أعد متأكدة الآن مما إذا كانت سمراء طبيعية. هل تصبغ مونيكا شعرها باللون الأسود؟ ولماذا بحق السماء قد تفعل ذلك؟

تنحنحت قائلة: «بحسب اتفاقنا، أعتقد أن الوقت قد حان لتقديم استقالتك. يمكنني البدء بالبحث عن بديل لك فورًا.»

اتسعت عيناها كأنها لا تصدق. «أستقيل؟»

قلت بحزم: «نعم، لقد اتفقنا. عندما يبدأ الحمل بالظهور، تقدمين استقالتك.»

حدقت بي لحظةبفم مفتوح. «هل هذا بسبب أنني قدمت فكرة أفضل منك في اجتماع كادلز؟»

كانت طعنة قوية. لا أنكر أنني كنت أشعر باستياء مكتوم تجاه مونيكا بسبب ذلك الاجتماع. فمنذ ذلك الحين، وديـنيس تتعامل وكأن مونيكا هي المعجزة الجديدة في المكتب. بالكاد أتذكر آخر مـرة حـظيثُ فـيها بـمثل هـذا الـثناء مـن ديـنيس. فـي اجـتماع بـالأمس، قـالـت لـمونـيكا إنـها سـتصل إلـى مـكانـة مـرمـوقـة فـي ستيوارت للإعلانات.

قلت بهدوء: «ليس بسبب ذلك، كان هذا اتفاقنا منذ البداية يا مونيكا.»

«لكنه ليس في العقد.»

«عفوًا؟»

كررت: «ليس في العقد. قلتُ ربما سأغادر، لكنني لم أوقع على شيء يقول إنني سأستقيل بالتأكيد.»

الآن جاء دوري للتحديق بذهول. «لكننا اتفقنا...»

هزت كتفيها. «نعم، لكنني غيرت رأيي. أحب العمل هنا، وأريد البقاء.»

عـقدت الـصدمـة لـسانـي وشـعرت وكـأنـها وجـهت لـي لـكمة فـي المعدة. لا أعرف حتى ماذا أقول.

كـان هـذا اتـفاقـنا وهـي تـتراجـع عـنه وهـذا يُـثير بـداخـلي سـؤالًا مخيفًا: عن أي شيء قد تتراجع أيضًا؟

حاولت الحفاظ على نبرتي الهادئة. «مونيكا، إذا واصلتِ العمل هنا، قد أتعرض لمتاعب جمة بسبب ترتيبنا هذا. قد يبدو الأمر وكأنني... وكأنني ضغطت عليك للقيام به.»

رفعت ذقنها وقالت: «حسنًا، كان عليك التفكير في ذلك مسبقًا. لا أريد التخلي عن وظيفتي يا آبي. ولا ينبغي أن أُجبر على ذلك.»

استبد بي الغيظ وأردتُ أن أقفز عبر المكتب وأهزّها بعنف، لكنها كانت فكرة سيئة لأسباب عديدة. يجب أن أحافظ على علاقة طيبة مع مونيكا، فالكثير يتوقف عليها.

تمالكت نفسي وقلت بهدوء: «إن كان هذا ما تريدينه فعلًا، فسنجد طريقة للتعامل مع الأمر. يمكننا الذهاب إلى الموارد البشرية وشرح الوضع. طالما أنكِ ستدعمين قولي بأنني لم أُرغمك على شيء.

ترقبت ردها بقلبٍ يرتجف، كنت مرتعبة من أن ترفض، لكن انفرجت شفتيها عن ابتسامة. «بالتأكيد يا آبي. بالطبع سأفعل.»

الحمد لله. سيكون هذا الأمر كارثة على أي حال، لكن ربما يمكن الحد من الأضرار.

لا أدري لِمَ أعجز دائمًا عن فتح المغلفات ببراعة، فبالنظر إلى كم البريد التقليدي الذي يصلني يوميًا، يُفترض أنني اكتسبتُ مهارة معقولة في هذا الأمر، لكن يبدو أن كل مغلف أفتحه ينطوي على احتمالية بنسبة خمس وعشرين بالمئة لإصابتي بجرح غائر بسبب حواف الورق.

أين ذهبت فتاحة الرسائل التي اهداها لي سام؟

الدرج العلوي الذي أضعها فيه عادة لا يحوي سوى أوراق. رحت أبحث فيه محاولِةَ العثور عليها. يا إلهي، مكتبي أصبح فوضى. لقد كنت منظمة جدًا من قبل، لكن بطريقة ما، تحول سطح مكتبي إلى إعصار من الأوراق. لا أدري كيف سمحتُ بحدوث ذلك. لكن رأسي مُثقل بالكثير من الهموم...

كنت لا أزال أبحث عن فتاحة الرسائل عندما اقتحمت دينيس مكتبي بخطوات حازمة من دون أن تطرق الباب. رفعت بصري إليها فراعني التعبير المرتسم على وجهها. صحيح أن دينيس تبدو دائمًا غاضبة قليلًا مني، لكن الآن هناك احمرار على عظمتَي وجنتيها وعروق رقبتها بارزة بوضوح.

قالت: «أبيغيل!»

كان أحد الأوردة في عنقها ينبض، حتى تمنيت ألا تصاب بانفجار شرياني أمامي مباشرة. حسنًا، في الحقيقة كنت آمل ذلك قليلًا.

قلت: «نعم، مرحبًا، ما الأمر يا دينيس؟»

حدقت بي شزرًا وخرج صوتها حاداً كوقع السياط: «كنت آمل أن تشرحي لي معنى هذا البريد الإلكتروني.»

مدت هاتفها نحوي، فأخذته منها. تعرفتُ فورًا على رسالة كنت أظن أنني أرسلتها إلى شيلي، لأطلب رأيها في آخر مسودة كتبتها لكادلز. لكن يبدو أنني أضفت دينيس هولت في النسخة المرسلة عن طريق الخطأ.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كانت الرسالة تبدأ بقولي: «أخبريني برأيكِ. فمهما فعلتُ، ستُجبرني اللعينة دينيس على إعادة كل شيء كالعادة.»

همهمت: «أممم...»

مذهل! وصفتُ مديرتي باللعينة في بريد الكتروني، ثم أرسلت لها نسخة بالخطأ. من بين كل الأشياء الغبية التي فعلتها مؤخرًا، كان هذا يستحق المركز الأول.

انتزعت دينيس هاتفها من يدي. وضعت قبضتيها على خصرها وظلت تحدّقني في انتظار تفسير. كان وجهها ورديًا بشكل ملحوظ تحت مساحيق التجميل. تساءلت كم يبلغ عمرها. لقد تناقشت مع شيلي في ذلك مرات لا تحصى ولم نصل إلى نتيجة. تبدو في منتصف الأربعينيات، لكنها كانت تبدو كذلك عندما بدأنا العمل هنا قبل عشر سنوات. إذًا... في منتصف الخمسينيات؟ الستين؟ السبعين؟ من يدري؟

قلت محاوِلة أن أبدو صادقة قدر الإمكان، مع أنني كنت أعني تمامًا ما كتبته لشيلي. «أنا آسفة جدًا على ذلك، كنت فقط أفرغ بعض التوتر و... حسنًا، من الواضح أنني لم أقصد أن تري الرسالة.»

قالت بحدة: «إذًا لم تقصدي أن ترسلي لي رسالة تصفينني فيها باللعينة؟»

أطرقتُ ببصري. هل ستطردني؟ يا إلهي، لا يمكن أن أُطرد الآن. أو في أي وقت. لا يوجد وقت مناسب للطرد.

وفي اللحظة التي بدا فيها أن الوضع لا يمكن أن يزداد سوءاً، طرقت سونيا واتسون من الموارد البشرية باب مكتبي. في البداية، كنت واثقة أن دينيس استدعتها لتسلّمني قرار فصلي،

لكن سرعان ما اتضح أن دينيس لم تكن تعلم بقدوم سونيا.

«مرحبًا يا آبي»، قالت سونيا ويداها معقودتان أمامها. «أهلا دينيس. يسعدني أنكما هنا. هل يمكننا التحدث في غرفة الاجتماعات؟»

انقبض قلبي. سونيا من الموارد البشرية تريد التحدث معي ومع دينيس معًا في غرفة الاجتماعات؟ هذا الصباح لا ينذر بالخير.

ضاقت عينا دينيس في ارتياب. فهي تكره المفاجآت.

«بخصوص ماذا؟»

عدلت سونيا تنورتها الكريمية. «من الأفضل أن تأتيا معي.»

شعرت وكأنني أسير خلف سونيا إلى منصة إعدامي. وما زاد الطين بلًا، أنني رأيت مونيكا جونسون جالسة بالفعل في غرفة الاجتماعات. ولأول مرة، ترتدي ملابس الحمل في العمل. كانت ترتدي قميصًا أزرق فاتح يضيق أسفل صدرها ويتمدد براحة فوق بطنها المنتفخ. كانت تبدو جميلة، في الواقع.

رأتها دينيس فاتسعت عيناها بذهول جمد الكلمات في حنجرتها. كان يمكن أن يبدو المشهد هزليًا، لو لم يكن مروعًا إلى هذا الحد. شهقت، قبل أن ينطق لسانها بما عجز عقلها عن تصديقه: «مونيكا! أنتِ... حامل؟»

قالت: «نعم، أنا كذلك.»

لا بد أن الموقف أثار دينيس إلى حد الجنون، بالنظر إلى الطريقة التي كانت ترعى بها مونيكا مؤخرًا، ونحن نعلم أن دينيس تكره الحوامل والأطفال، وربما تكره أيضًا الحيوانات والزهور وثلج عيد الميلاد.

قالت سونيا: «تفضلا بالجلوس»

كان من الواضح أن دينيس مذهولة. وكان من المثير مشاهدة ارتباكها، لأنها دائمًا متماسكة إلى حدّ يبعث على الغيظ. قالت: «ما هذا يا سونيا؟ هل نحتاج اجتماعًا لمناقشة الحمل الآن؟»

قالت سونيا وهي تربّت على ضفائرها بتوتر، «لا، لكنني أعتقد أننا بحاجة إلى اجتماع لمناقشة ملابسات حمل مونيكا.»

دارت عينا دينيس في أنحاء الغرفة محاولة استيعاب الأمر.

«ملابسات؟»

أومأت سونيا. «وصلني أن مونيكا وآبي عقدا اتفاق تقوم فيه مونيكا بدور الأم البديلة لآبي، وأن آبي ستتبنى الطفل.»

كان تعبير الصدمة على وجه دينيس لا يُقدّر بثمن. ليتني كنتُ أستطيع تصويره. لم أكن أتخيل أنها قد تنزعج من شيء أكثر من وصفي لها باللعينة، لكن ها قد حدث ما هو أدهى.

حسنًا، لقد كان من الجيد العمل هنا.

شهقت دينيس: «أبيغيل. أنتِ... أنتِ...»

قلت بصوت ثابت على نحو أدهشني شخصيًا، مع أنني واثقة بنسبة خمسة وتسعين بالمئة أنني سأُطرد: «هذا الاتفاق لا علاقة له بالشركة، هذا أمر رتبته أنا ومونيكا خارج نطاق العمل، ولدينا عقد موقّع.»

قالت سونيا: «قد يكون هذا صحيحًا، لكن بما أن مونيكا مساعدتك، فهي في موقع حساس فيما يتعلق بالدخول في أي اتفاقيات.»

أوضحت ببرود: «هي لا تعمل لديّ، أنا لا أدفع راتبها. ولم أكن أنا من وظّفها أصلًا.»

قالت سونيا: «لكنها مساعدتك»

قلت: «صحيح، هذا مسمّاها الوظيفي، لكن عمليًا...»

قاطعتني دينيس بغضب:«لا أصدق هذا! كيف يمكنكِ إجبار مونيكا على شيء كهذا يا أبيغيل؟»

كان الجميع يحدق بي، ولم أجد كلمات للرد. كان بإمكاني الإشارة إلى أنني ظننت أن مونيكا ستستقيل قبل هذه المرحلة، لكني لم أظن أن هذا سيجعل الأمور أفضل.

قالت دينيس بنبرة لطيفة. لا أذكر أنها خاطبتني يومًا بهذا اللطف: «مونيكا، أنا آسفة جدًا عما فعلته آبيغيل بكِ. إن كان هناك أي شيء تستطيع الشركة فعله...»

قالت مونيكا فجأة: «لقد كانت فكرتي»

رمشت سونيا بتلاحق محموم: «ماذا؟»

قالت مونيكا وهي تعقد ساقيها ببطء وتعدّل ثقل بطنها. «كانت فكرتي أن أكون أمًا بديلة لآبي، شعرت بالأسى لما مرت به، فعرضت مساعدتها. لم تطلب مني ذلك. أعني، أنتنّ تعرفن أنها تحاول إنجاب طفل منذ وقت طويل...»

قالت دينيس وعيناها تقدحان شررًا: «هذا لا يجعله أمرًا مقبولًا»

قالت مونيكا: «لقد جعلتُ محاميًا يراجع العقود. لدينا اتفاق عادل للغاية. وكما قلت، كانت فكرتي أنا. أردت القيام بذلك. لم تُجبرني آبي على شيء، ولا ينبغي أن تُعاقب على أمر كان من تدبيري.»

تبادلت سونيا ودينيس النظرات، لم أفهم مغزاها، لكنني بدأت أشعر ببصيص أمل في أنني قد لا أفقد وظيفتي اليوم.

قالت سونيا بحذر: «مونيكا، لستِ مضطرة للدفاع عنها.»

رفـعت مـونـيكا ذقـنها: «أنـا فـقط أقـول الـحقيقة. إن كـنتم ستطردون أحدًا اليوم، فسأكون أنا من يغادر.»

واو ! لم أتوقع ذلك أبدًا.

قالت سونيا على عجل بينما كانت دينيس ترمقها بنظرة غاضبة: «لن يُطرد أحد.»

كان من الواضح أن دينيس لا تتمنى شيئًا أكثر من وداعي إلى الأبد والاحتفاظ بـ مونيكا بدلاً مني.

أحيانًا أخشى أن سام يشعر بالأمر نفسه.

قلت: «أنا آسفة جدًا على كل هذا. حقًا، لم أقصد إقحام الشركة في اتفاقنا الخاص.»

صـرخـت ديـنيس: «لـم تـقصدي إقـحام الشـركـة! كـيف يـمكن أن تظني ولو لحظة أن...»

رفعت سـونـيا يـدهـا تـقاطـعها. «إذا كـانـت مـونـيكا تـصرّ عـلى أن الاتفاق تمّ بعدل ومستعدة لتوقيع أوراق تثبت ذلك، فأعتقد أن مـن مـصلحتنا ألا نُـصعّد الأمـر أكـثر. مـونـيكا، هـل أنـتِ مـرتـاحـة لتوقيع بعض المستندات؟»

وضعت يدها بحماية على بطنها. «بالطبع.»

حدقت بي دينيس وكان الشرر يتطاير من عينيها، وكأنها تريد أن تنقض عليّ وتخنقني بيديها العاريتين.

ربما ليس هذا هو الوقت المناسب لمناقشة إجازة الأمومة المقبلة.

الفصل الثاني والعشرون

«إذًا يبدو أن مونيكا أنقذت الموقف في النهاية.»

رمقتُ سام بنظرة نارية. كان يرتدي مريلة «أكلتُ فطيرة» ويحاول طهي كرات اللحم. وضعها في قدر على الموقد، تغلي في صلصة الطماطم، لكنه كان يبالغ في مراقبتها. كل ثلاثين ثانية يرفع غطاء القدر ليحرّكها.

بينما كان يطبخ، قصصتُ عليه القصة كاملة عمّا حدث اليوم، وعن استدعائي إلى قسم الموارد البشرية بسبب مونيكا. لكن لم يبدو وكأنه يستوعب المشكلة.

قلت معترفة: «نعم، لقد أنقذت الموقف. لكنها لم تكن لتحتاج إلى إنقاذه لو أنها تركت الوظيفة كما كان مفترضًا. لقد أوقعتني في ورطة حقيقية. أصبحت دينيس تكرهني بالفعل.»

إلتوت شفتاه بابتسامة متهكمة: «ربما لم يكن يجدر بك أن ترسلي لها رسالة تصفينها باللعينة.»

تأوهت بضيق مكتوم. فمن المؤكد أن هذه الوصمة ستطاردني للأبد.

عندما أخبرتُ شيلي بما حدث، لم تتوقف عن الضحك. لكن الأمر ليس مضحكًا. هذه مسيرتي المهنية. ربما لدينا ما يكفي من المال لنتدبر أمورنا من دون راتبي، لكن هذا لا يعني أنني أريد التخلي عن كل ما كافحت لأجله.

قلتُ لسام: «أشعر فقط أن هذه إشارة سيئة. إذا كانت ستتراجع عن اتفاقنا بشأن العمل، فما الذي يمنعها من التراجع عن أشياء أخرى؟ كأن ترفض إعطاءنا الطفل مثلاً؟»

فتح سام القدر وتفحّص كرات اللحم: «لن تفعل.»

«وكيف تعرف؟»

«أخبرتني إنها تريد التركيز على حياتها المهنية الآن. وربما تعود للدراسة ليلًا بعد كل شيء. ربما فنونًا تطبيقية أو ربما رياضيات، أو الاثنين معًا. في كلا الحالتين لا يمكنها فعل ذلك مع وجود طفل.»

ضيّقتُ عينيّ في نظرة فاحصة: «ومتى قالت لك كل هذا؟»

تلاشى كل أثر للابتسامة من وجهه وانشغل بالقدر من جديد: «ماذا؟»

«أقصد أنك تبدو مطلعًا على خططها المستقبلية، هذا كل شيء.»

أخـذ يـعبث بـمقبض الـموقـد وقـال: «تـناولـنا الـغداء مـعًا قـبل يومين.»
رائع! زوجي يتناول الغداء مع امرأة شابة جذابة تحمل طفله. ويكذب عليّ بشأن ذلك.
«هل كنت تنوي إخباري بهذا، يا سامي؟»
تمتم: «لم يكن أمرًا مهمًا»
«إذًا لماذا لم تخبرني؟»
«لأنــني كــنت أعــرف أنــك ســتُهولــين الأمــر.» هــزّ رأســه وأردف:«انظري، مونيكا تمر بمفترق طرق في مسيرتها، وأردتُ أن أساعدها. هذا جزء مما أفعله، إرشاد الطلبة. أليس كذلك؟»
«نعم، لكنها ليست طالبتك! إنها تعمل في شركتي. ألا تظن أنه لو كانت تريد نصيحة فعلًا، لكانت لجأت إليّ؟»
أطرق ببصره وقال: «أعتقد أنكِ تُرهبينها قليلًا.»
«أُرهبها؟»
«نعم، هذا ما قالته.»
دارت عيناي عينيّ بضجر. «يا إلهي! هل هذا حقًا هو الهراء الذي تملأ به رأسك؟»
«ليس هراءً. يمكنك أن تكوني مُرهِبة يا آبي.»

«حقًا؟ وهل تجدني مُرهِبة؟»
اعترف قائلًا: «في المرة الأولى التي التقيتكِ فيها، نعم». ثم لاح ظل ابتسامة على وجهه: «كنتِ ترتدين ذلك الزي الرسمي مع التنورة السوداء المتناسقة والسترة القصيرة، وشعركِ مرفوعًا في تلك العقدة المتقنة. كنتِ فاتنة للغاية، لدرجة أربكتني إلى حد الجنون. لم أكن أعرف حتى ما الذي أقوله.»
لم أستطع كبح ابتسامتي: «كان أغلب حديثك عن الرياضيات.»
«أعلم، وهذا ما أفعله عندما أتوتر. ظننتُ أنني بدوت أحمق تمامًا. لم أصدق نفسي عندما وافقتِ على الخروج للعشاء معي. كدتُ ألا أسألك من شدة اليأس.»
بدأ غضبي يتلاشى: «أنا سعيدة لأنك فعلت.»
«وأنا أيضًا.» رفع غطاء القدر مرة أخيرة وأخرج كرة لحم بالشوكة. «هل تريدين التذوق؟»
«اممم... أنت أولًا.»
وضع يده الحرة على صدره متظاهرًا بالألم: «هل تخافين من تجربة كرات لحمي؟»
تفحصت الكتلة الرمادية غير المتناسقة المعلّقة بالشوكة.
«ماذا وضعت فيها؟»

«لحم مفروم، طبعًا. اممم... فتات خبز، جبن بارميزان، بيضة...»
فتات خبز، بارميزان، وبيضة. اتسائل كيف أَفسد ذلك؟
أنحنيت وأخذت قضمة من كرة اللحم على شوكته. و...
صرخت: «سام! فيها قشر بيض!»
«حقًا؟» نظر إلى كرة اللحم بدهشة. ثم أخذ قضمة مترددة. «آه. صحيح. تبًا.»
نظر إلى القدر بانكسار. أردت أن أقول إنني مستعدة لأكلها رغم ذلك، لكنني لست كذلك. كرات اللحم المقرمشة ليست لذيذة. حتى مراعاةً لمشاعره. كما أنني متأكدة أنه لا يريد أكلها أيضًا.
قلت: «بيتزا؟»
تنهد. «حسنًا.»
لكن قبل أن ألتقط هاتفي، مد سام يده وأمسك بيدي.
قال: «مهلًا»
«نعم؟»
التقت عيناه البنيتان بعينيّ. «أردتُ فقط أن أقول... أنا آسف. لم يكن يجب أن أتناول الغداء مع مونيكا.»
«أوه...»

ضغط على يدي وقال: «فكرتُ... لم أظن الأمر مهمًا عندما دعتني، وبصراحة، هي تفعل الكثير من أجلنا، شعرتُ أنني مدين لها. لكن عندما كنت هناك، أدركتُ أنه كان خطأ. عرفتُ أنكِ ستتألمين لو علمتِ، وشعرتُ بذنب شديد. شعرتُ بأنني وغد.»

سام يجيد الاعتذار. هو أقسى على نفسه مما سأكون عليه يومًا.

قلت: «لا بأس، أنت محق، لم يكن أمرًا كبيرًا. أعني، كان مجرد غداء.»

«لن أفعلها مرة أخرى. أعدك.»

شعرت بالذنب لأنني قسوتُ عليه. «لا بأس.»

أفترض أنني أبالغ في رد فعلي أكثر من اللازم. الغداء مجرد غداء، وليس علاقة. سام لن يفعل شيئًا كهذا. إن كان هناك أمر واحد أعرفه يقينًا، فهو أن زوجي ليس خائنًا. وهو محق، مونيكا دافعت عني اليوم وأنقذت وظيفتي. لو أرادت، لكنتُ أحزم أشيائي وأفرغ مكتبي الآن. ربما ليس جنونًا أن ترغب في الاحتفاظ بوظيفتها. ففي الثالثة والعشرين، يُسمح للمرء بتغيير رأيه بشأن مساره المهني.

كل شيء سيكون على ما يرام.

الفصل الثالث والعشرون

انتبهت على صوت طرقات الباب، رفعت رأسي لأرى وجهًا يطلّ من الخارج. استغرقت لحظة لأتعرّف على جيرتي، مساعدتي السابقة قبل مونيكا. لم تزر المكتب مرة واحدة منذ أن سقطت على الدرج وكسرت وركها. دخلت المكتب وهي تعرج، تحمل طبقًا من بسكويت برقائق الشوكولاتة أشم رائحته من آخر الغرفة. كانت تمسك بعصا في اليد الأخرى وتتّكئ عليها بثقل وهي تمشي.

كم أفتقد بسكويت جيرتي. وأفتقد جيرتي نفسها. أفتقد وجود مساعدة لا أقلق من أنها تخطط للإيقاع بزوجي. لم يعد يهمني أنها لم تكن تعرف استخدام جهاز الفاكس وأحيانًا كانت تبدو حائرة حتى مع الهاتف. أما الآن، فكنت مستعدة لأضحي بأي شيء مقابل جيرتي أخرى.

ابتسمت لي جيرتي من فوق طبق البسكويت. «كيف حالكِ يا آبي؟ من الرائع رؤيتكِ مجددًا! يبدو أنكِ غارقة في العمل!»

أنا بالفعل غارقة في العمل. ففي هذه المرحلة، لا يمكنني تحمل المزيد من السقطات. أصبحتُ أصل باكرًا، أتناول الغداء في مكتبي، وأبقى لوقت متأخر حتى بعد مغادرة الجميع.

لا يزال التركيز صعبًا بعض الشيء، لأن نومي ليس جيدًا رغم وصفة الحبوب الجديدة، لكني أبذل قصارى جهدي.

قلت:«نعم. ماذا يمكنني أن أقول... أنا تائهة من دونكِ يا جيرتي.»

لانت ملامحها وقالت: «سمعتُ بما حدث. بشأن... كما تعلمين... فشل التبنّي. أنا آسفة جدًا. لا بد أنه كان أمرًا فظيعًا.»

وافقتها «نعم».

لو أن جانيل لم تغيّر رأيها فقط. لكنا الآن نملك طفلًا، وكنت سأكون مرهقة كما أنا الآن، لكن إرهاقًا جميلًا.

«لكنني بخير. نحن... اممم... سنتبنّى من شخص آخر.»

لا داعي للدخول في التفاصيل.

وضعت طبق البسكويت على مكتبي وشبّكت يديها. «هذا خبر رائع! ستكونين أمًا رائعة يا آبي، أنا واثقة من ذلك.»

أجبرت نفسي على صنع ابتسامة، قلت: «شكرًا، على أي حال، اجلسي. كيف حال وركِكِ؟»

جلست جيرتي بحذر على الكرسي أمام مكتبي وأسندت عصاها جانبًا إلى الطاولة.

قالت: «أيام جيدة وأخرى سيئة. لكنني عدتُ للوقوف على قدميّ ثانية، وهذا هو المهم.»

«بالتأكيد. تبدين رائعة.»

ضحكت وربتت على كتلة شعرها الأبيض. «يا لكِ من لطيفة!»

«هل هناك أي فرصة أن تعودي؟»

هذه المرة، ضحكت وألقت برأسها كله إلى الخلف كأنني قلت نكتة مضحكة للغاية. لكنها لم تكن نكتة. «لا أظن ذلك يا آبي. انتهيتُ من العيش في المسار السريع. انتهيتُ من الركض لإنهاء العمل قبل المواعيد النهائية، ومن التعرّض للدفع على السلالم.»

أوشكت أن أقول شيئًا آخر، لكن كلماتها أوقفتني.

«الدفع على السلالم؟»

لوحت بيدها قائلة: «مجرد مزحة. لقد كان حادثًا، بالطبع.»

تشبثت بحافتي الكرسي، وقلبي يخفق بشدة.

«ولكن... هل تم دفعك على السلالم؟»

هزت رأسها. «لا، لا! كان هناك كثير من الناس في بيت الدرج و... حسنًا، بدا الأمر لي وكأنه دفعة، لكنه كان حادثًا بلا شك. من الذي

قد يدفع عجوزًا مثلي على السلالم؟»

ربما شخص يريد وظيفتها.

حدقتُ في جيرتي وفمي مفتوح. أعلم أنها ترى الأمر مزحة، لكنني لستُ متأكدة. قالت إن الأمر بدا وكأن أحدهم دفعها. وبعد الحادث مباشرة تقريبًا، ظهرت مونيكا لتحلّ محلها.

لا بد أنه محض صدفة.

لا بد.

سألتني: «آبي، هل أنتِ بخير؟ تبدين شاحبة تمامًا! ألا تأكلين ما يكفي من البسكويت؟»

«أم... أظن لا.»

«إذًا خذي واحدة، أعددت طبقًا كاملًا. لكِ ولزوجكِ اللطيف.»

صحيح. أنا وزوجي اللطيف.

مددت يدي وأخذت بسكويتة من الطبق. كان طعمها يشبه الورق المقوى.

الفصل الرابع والعشرون

وقفتُ أمام المرآة في حمام السيدات أضع المزيد من خافي العيوب تحت عينيّ. كنتُ أشعر بإنهاك شديد، فقد توقفت عن تناول حبوب النوم منذ أسبوع. اليوم هو موعد فحص المخدرات السنوي، ولم أرغب في المخاطرة بظهور أي أثر لتلك الأدوية في دمي صحيحٌ لدي تقرير طبي يبرر ذلك، لكنني لا أريد أن أمنح دينيس أي ذريعة للإطاحة بي.

أبدو متعبة بالفعل، وكأنني كبرتُ عشر سنوات دفعة واحدة. هذا الصباح دخل سام الحمام بينما كنتُ أنظف أسناني؛ حين قبّلني، لم أستطع منع نفسي من التساؤل: كيف لا يزال ينجذب إليّ وهو يملك نسخة أصغر وأجمل مني تراسله كل خمس دقائق؟ لكنني كتمتُ ظنوني؛ فلا داعي لأن أفتح عينيه على أفكار قد لا تكون في رأسه بعد.

باغتتني شيلي بينما كنت أضع اللمسات الأخيرة، فاتسعت عيناها بدهشة وقالت: «آبي! هل أنتِ بخير؟».

أغلقتُ علبة المساحيق بحدة: «نعم، أنا بخير».

«تبدين منهكة حقاً».

تمتمتُ بضيق: «شكرًا جزيلًا على هذه الملاحظة».

امتقع وجهها وقالت باعتذار: «آسفة، لم أقصد ذلك».

تنهدتُ بعمق وأرخيتُ كتفيّ: «لا، بل أنا الآسفة لأنني انفعلت... الأمر فقط... لقد كان شهرًا قاسيًا».

كانت كلمة قاسٍ وصف مخفف لما أشعر به حقيقةً. لقد برز بطن مونيكا بوضوح في الأسابيع الأخيرة، وأخذ الجميع يتسابقون لإبداء إعجابهم وتدليلها. قلة قليلة يعرفون القصة الكاملة، وأنها أم بديلة لطفلي. لاحظتُ أنها لا تتبرع بذكر هذه المعلومة، وربما كان ذلك أفضل، فأنا أعلم كمّ النظرات الغريبة التي ستطاردني حين تنكشف الحقيقة.

لكن الخبر الجيد أن حمل مونيكا سينتهي قريبًا، وعندها لن أضطر للتعامل معها ثانية. سأترك الشركة إن لزم الأمر، فلن أحقق أي تقدم بوجود دينيس كمديرة لي. ربما سأكتفي بالبقاء في المنزل مع طفلي، على الأقل المال لن يكون مشكلة.

قالت شيلي: «لا بأس، أنا أتفهم ذلك.. ومونيكا.. حسنًا، إنها تتصرف بغرابة مؤخرًا، ولا ألومكِ إن شعرتِ بالقلق».

قطبتُ جبيني: «تتصرف بغرابة؟ كيف؟»

ترددت شيلي: «حسنًا.. لم أرد قول شيء، ولكن..».
قاطعتها بنفاد صبر: «يا إلهي، أرجوكِ، أخبريني فحسب».
خفضت صوتها وقالت: «الأمر هو.. أعلم أنه من الصعب عليها الاعتراف بأنها ستتخلى عن الطفل، لكنكِ لو تحدثتِ إليها، فلن تخمني أبدًا أنها ستفعل ذلك. إنها تتصرف وكأنها ستحتفظ بالطفل!»
شعرتُ بغصة في حلقي: «ماذا تقصدين؟»
خفضت شيلي صوتها أكثر: «لقد سمعتها تخوض نقاشًا طويلًا مع ميا حول أسماء المواليد، وأخبرتها أنها استقرت تقريبًا على اسم ديفيد».
وقع الاسم عليّ كالصاعقة. ديفيد هو أحد الأسماء المفضلة لدى سام، إذ كان اسم والده. لقد ظل يلحّ عليّ لاختياره رغم أنني أخبرته بأنني واعدتُ شخص بهذا الاسم سابقًا وكان وغدًا.
تابعت شيلي حديثها: «وكانت تطلب نصيحة لوسي بشأن أسرِّة الأطفال.. لقد تعمقتا في الأمر وبدأتا بتصفح المواقع الإلكترونية».
سألتها بصوت خافت: «هل.. هل يظن الناس أنها متزوجة؟».

هزت شيلي رأسها: «سمعتها تخبر أحدهم أن لديها حبيب، وأن علاقتهما جادة للغاية».

حبيب؟ علاقة جادة؟ مستحيل. الشيء الوحيد الذي أثق به هو أن مونيكا لا تملك حبيبا. فزميلتها في السكن، تشيلسي أخبرتني بذلك مسبقًا و...

تشيلسي.

خطرت لي فكرة، ربما عليّ الاتصال بتشيلسي. بدت فتاة طيبة وتعرف مونيكا جيدًا. ربما أستشف منها حقيقة ما يجري معها. هل شقتهما تعج بمستلزمات الأطفال؟ هل تتفوه بأشياء غير لائقة عن سام؟ قد تتردد تشيلسي في خيانة زميلتها، لكنني أجيد الإقناع، وسأصيغ الأمر كأنني أحاول مساعدة مونيكا.

انتبهتُ لملامح شيلي المعتذرة وهي تقول: «أنا آسفة، ربما لم يكن عليّ قول ذلك. لديكِ ما يكفيكِ من الهموم دون أن أزرع في رأسكِ شكوكًا إضافية».

أجبتها: «لا، من الجيد أنكِ أخبرتني. إذا كانت مونيكا تنوي التراجع، فأريد أن أعرف ذلك مسبقًا».

يجب أن أهاتف تشيلسي.

انتظرتُ حتى عدتُ إلى المنزل لأتصل بتشيلسي، متذكرة تحذير شيلي بأنها رأت مونيكا تتنصت خلف باب مكتبي. كما أن الرقم لم يكن معي. لحسن الحظ، سام يحرص على أرشفة جميع الأوراق في الدرج الثاني من مكتبه بنظام يثير الحنق؛ لديه ملف لكل ما يخص مونيكا بعنوان «مونيكا جونسون». كان رقم تشيلسي لا يزال هناك.

تسللتُ إلى غرفة النوم بينما كان سام يجهز العشاء، وضغطتُ الرقم. كان قلبي يقرع في صدري بعنف وأنا أضغط زر الاتصال الأخضر.

لكن قبل أن يبدأ الرنين، سمعت صوت آلي: «عفوًا، الرقم الذي طلبته غير موجود في الخدمة».

حدقتُ في الهاتف بذهول. رقم تشيلسي لم يعد يعمل. يا للمصادفة.. أمرٌ مثير للاهتمام حقًا.

دخل سام الغرفة مرتديًا مئزره المكتوب عليه «أكلتُ الفطيرة». والمطرز ببقع صلصة البيستو. كانت هناك بقعة خضراء صغيرة على ذقنه أظن أنه لم ينتبه لها. بدا فخورًا بنفسه للغاية.

قال بابتسامة: «العشاء جاهز».

لم أتحرك من مكاني.

أضاف مؤكدًا: «تذوقتُه هذه المرة، وهو صالح للأكل تمامًا، أقسم لكِ».

لم أستطع حتى أن ابتسم.

قـطّب جـبينه وهـو يـنظر لـلهاتـف فـي يـدي: «مـع مـن كـنتِ تتحدثين؟».

قلتُ: «كنت أحاول الإتصال بتشيلسي، زميلة مونيكا في السكن، لكن هاتفها مفصول».

رد ببرود: «أوه».

«ألا تعتقد أن الأمر غريب؟».

هز كتفيه: «ربما نسيت دفع الفاتورة».

ربما، لكن قلبي يخبرني بغير ذلك.

سألني: «ولماذا كنتِ تتصلين بها أصلاً؟».

تململتُ على السرير: «لأن شيلي أخبرتني أن مونيكا تتحدث عن الطفل وكأنها هي من سيربيه، حتى إنها اختارت له اسمًا».

«حقًا؟ وما هو؟».

«ديفيد».

اتسعت ابتسامته قائلًا: «يا للهول، ذوقها رفيع!».

رمقتُه بنظرة حادة: «أشعر أنك لا تأخذ الأمر بجدية. نحن نتحدث عن طفلنا، والأمر ليس مضحكًا».

جلس سام بجانبي، وصوّب عينيه البنيتين الدافئتين نحوي وقال: «أنا آسف، معكِ حق، الأمر ليس مضحكًا. لكنني بصدق لا أظن أن هناك أي احتمال لأن تحتفظ مونيكا بالطفل. كل ما تفعله هو مجرد ثرثرة».

مجرد ثرثرة. يبدو واثقًا جدًا من نفسه، أما أنا.. فلا أملك تلك الثقة.

قلتُ له فجأة: «سام؟».

رفع حاجبيه متسائلًا.

«هل أخبرتَ مونيكا أنك تريد تسمية الطفل ديفيد؟».

ارتبك قليلًا واحمرت أذناه: «أنا.. لعلني.. ذكرتُ الأمر أمامها».

طويتُ ذراعيّ فوق صدري وقلت: «فهمت. ظننت أنك قلت لي أنك لا تتحدث معها إلا عن تطورها المهني! ما الذي تتحدثان عنه أيضًا؟».

قال مدافعًا: «آبي، إنها تحمل طفلي، سيكون من الغريب ألا نتحدث عن الأمر أبدًا».

أطرقْت برأسي: «طفلك؟».

«أعني طفلنا».
«لماذا لم تقل ذلك إذن؟».
«لا أعرف.. زلة لسان فحسب».
«لأنك هكذا تفكر في الأمر.. هي تحمل طفلك أنت».
مرر سام يده في شعره بيأس: «آبي، سأذكركِ مجددًا أن هذه كانت فكرتكِ أنتِ. أنا كنتُ أريد التبني، أتذكرين؟».
«في الحقيقة، كانت فكرة مونيكا».
نهض عن السرير والشرر يتطاير من عينيه، وصوته يزداد حدة؛ ومن النادر أن يغضب سام: «حسنًا، مونيكا هي الشرير هنا، هي أسوأ إنسانة في الوجود، هل ارتحتِ؟».
نظرتُ إلى زوجي بشعره المبعثر ولحيته الخفيفة الجذابة. لم نمارس الحب منذ أسبوع، وهو رقم قياسي بالنسبة لنا. كنتُ غارقة في ضغوط العمل، وهو لم يحاول الاقتراب. وحين نظرتُ إليه الآن، أدركتُ أن شيئًا لن يحدث الليلة أيضًا.
قال سام بنفاد صبر: «هل تريدين تناول العشاء أم لا؟».
أومأتُ برأسي بصمت، وتبعته إلى غرفة المعيشة.

الفصل الخامس والعشرون

يجب أن أعثر على تشيلسي ويليامز.

الاتصال بالهاتف بات أمر خارج الحسابات، فمن الواضح أنها لم تعد تملك رقم يعمل. لكنها تسكن مع مونيكا. وبينما كنتُ أستقل المصعد إلى مكتبي، خطرت لي فكرة أن أبحث عن عنوان سكنها في قاعدة بيانات الكمبيوتر ثم أذهب لزيارتها بنفسي. ربما أفعل ذلك في استراحة الغداء، في وقت أضمن فيه غياب مونيكا.

لكن بمجرد وصولي المكتب، وجدتُ دينيس تقف عند عتبة الباب وعلى وجهها تعبير صارم.

يا إلهي، ماذا الآن؟

قالت بحدة: «أبيغيل، هل يمكننا التحدث في مكتبي؟».

أجبتها: «الآن؟».

رمقتني بازدراء: «نعم، الآن».

تبعتُ دينيس بصمت عبر الرواق الطويل المؤدي إلى مكتبها. كان وقع كعبيها قويًا، يتردد صداه في أرجاء المكان الهادئ نسبيًا.

التفتُّ حولي ولاحظتُ أن الجميع يحدقون بنا. ما الذي يحدث هنا؟

أشارت دينيس إلى الكرسي المقابل لمكتبها وقالت: «تفضلي بالجلوس».

استقررتُ في مقعدي، وكان نبض قلبي قد تصاعد لدرجة أنني صرتُ أسمع دقاته في صدري. من المستحيل أن يكون هذا خبرًا سارًا. فهي حتمًا لن تخبرني بأنني حصلتُ على ترقية أو زيادة ضخمة في الراتب.

بدأت حديثها وعيناها الزرقاوان كالثلج مثبتتان على وجهي: «كما تعلمين، أجرينا بالأمس فحصًا للمخدرات لجميع موظفي الشركة. وقد أُبلغتُ هذا الصباح بأن نتيجة فحصكِ جاءت إيجابية لمادة الميثامفيتامين».

نتيجة فحصي ماذا؟!

قلتُ وأنا ألهث: «هذا.. لا بد أن هناك خطأ ما!».

رفعت دينيس حاجبًا وقالت: «حقًا؟ لقد لاحظتُ أن سلوككِ أصبح غريبًا ومضطربًا بشكل متزايد في الأشهر القليلة الماضية. وكنتُ أشتبه منذ فترة في تعاطيكِ للمواد المخدرة. وقد أكدت نتيجة التحليل شكوكي».

شعرتُ وكأن أحدهم لكمني بقوة في معدتي. كيف يمكن أن يوجد ميث في دمي؟ هذا مستحيل! أنا لا أتعاطى هذا الهراء، بل لا أعرف حتى كيف يتعاطونه! هل يُستنشق؟ أم يُدخن؟ أم يُمضغ؟ أم يوضع في الخلاط مع الموز والزبادي؟!

الشيء الوحيد الذي كنتُ أتناوله هو حبوب النوم بين الحين والآخر، ولكنني لم ألمسها منذ أسبوع.. وعلاوة على ذلك، أنا متأكدة تمامًا أن حبوب النوم لا تحتوي على الميث، وإلا لانتفت الغاية منها.

تمكنتُ من قول: «أنا لا أتعاطى المخدرات، هذا خطأ فادح».

قلبت دينيس عينيها بضجر: «حسنًا، على أية حال، قوانين ولاية نيويورك تمنحنا الحق في وضع سياستنا الخاصة تجاه نتائج فحص المخدرات الإيجابية، وشركة ستيوارت تعتمد سياسة عدم التسامح مطلقًا. لذا، وبناءً عليه، تقرر إنهاء خدمتكِ فورًا».

أنا.. مطرودة؟

لا أستطيع تصديق ما يحدث. لم أتعاطَ المخدرات طوال حياتي، حتى إنني لم أجرب سيجارة واحدة! أنا تقليدية جدًا ومملة لمثل هذه الأمور. أعلم أن هناك شائعات عن رجال أعمال

يتعاطون الكوكايين، وأسمع عن وباء الأفيون المنتشر، لكنني لم أقترب من ذلك أبدًا! تبًا، أنا لم أدخن سيجارة عادية قط.

قلتُ بصوت مخنوق: «أقسم لكِ.. أنا لم أفعل.. أعني، لم أكن لأفعل ذلك أبدًا.. أنتِ تعرفينني يا دينيس..».

قالت المرأة التي وظفتني فور تخرجي من الجامعة قبل أكثر من عقد من الزمان وهي ترفع حاجبها: «هل أعرفكِ حقًا؟ لقد منحتكِ فرصة مذهلة يا أبيغيل، ووضعتُ ثقتي فيكِ، لكنكِ أنتِ من اختار تدمير كل شيء». ارتجف صوتها للحظة: «أنا محبطة منك بشدة».

عادت بي الذاكرة إلى اليوم الذي تلقيتُ فيه مكالمة من دينيس هولت بنفسها تخبرني بأنني مساعدتها الجديدة. بمجرد أن أغلقتُ الخط، بدأتُ أقفز في الغرفة وأصرخ كالمجنونة. كانت هي قدوتي. وفي سنواتي الأولى، كانت لطيفة جدًا معي؛ علمتني كل ما تعرفه، ليس عن مجال الإعلانات فحسب، بل عن الحياة أيضًا.

كانت تنصت إليّ حين اعترفتُ لها بأن علاقتي بحبيبي عالم الرياضيات أصبحت جادة، وقالت لي حينها: «يبدو شخصًا يستحق التمسك به يا أبيجيل».

هي من علمتني كيف أرتدي ملابسي، وكيف أبتسم، وكيف أكون واثقة بنفسي.

ما زلتُ أتذكر وقوفي مع دينيس في الحمام، ونحن نضحك كفتاتين في المدرسة بينما كنتُ أحاول لفّ شعري بطريقة معينة. أشك أن الكثيرين غيري رأوا هذا الجانب من دينيس هولت، وأنا نفسي لم أره منذ سنوات.

قلتُ بتوسل: «أرجوكِ يا دينيس. عليكِ أن تصدقيني».

لكن عندما رفعت عينيها الزرقاوين، كانت لمحة العاطفة قد تلاشت تمامًا: «أنا آسفة يا أبيغيل».

سأضطر لتخطي دينيس والتحدث مع رئيسها، لأرى ما يمكنني فعله. لكن ليس الآن، فقد وصل حارس أمن لمرافقتي إلى خارج المبنى. لم يسمحوا لي حتى بالعودة إلى مكتبي. سار الحارس بجانبي وصولًا إلى المصاعد، أمام مرأى الجميع. كنتُ أسمع همساتهم.

الكل عرف بالأمر.

أدركتُ في تلك اللحظة أنني لن أتمكن من العودة إلى وكالة ستيوارت للإعلانات أبدًا؛ فسمعتي تضررت بشكل لا يمكن إصلاحه. وأي وظيفة سأحصل عليها وهذا السجل يطاردني؟

بمجرد خروجي من المبنى، استوقفتُ سيارة أجرة لتعيدني للمنزل رغم أنني عادة ما أستقل المترو. لكن كنتُ بحاجة لسيارة خاصة، فلا أظن أنني سأتمكن من منع نفسي من البكاء طوال رحلة القطار. وبالفعل، ظللتُ أنتحب في المقعد الخلفي طوال الطريق، ولم ينطق سائق الأجرة بكلمة.

حين وصلتُ إلى الشقة، سمعتُ صوت الماء يتدفق في الحمام. لا بد أن سام لا يزال في المنزل. شكراً لله، أحتاج إلى من أتحدث معه، وهو سيعرف ما يجب فعله.

خرج من الحمام وشعره لا يزال مبللًا، ووجهه ناعمًا وتفوح منه رائحة ما بعد الحلاقة. لمعت عيناه حين رآني: «آبي! ما الذي أتى بكِ إلى المنزل الآن؟».

استغرق الأمر نصف ثانية أخرى ليلاحظ الدموع في عينيّ المحمرتين والمنتفختين. هرع نحوي عابس الجبين: «ما الخطب؟ ماذا حدث؟».

وقبل أن أتمكن من الإجابة، سأل: «هل مونيكا بخير؟».

صرختُ فيه: «هل مونيكا بخير؟! هل هذا هو أول شيء تسأل عنه حين تراني أبكي؟!».

تلعثم وهو يشعر بالحرج واحمرّ وجهه: «أنا.. ظننتُ فقط.. ظننتُ أن مكروهًا قد أصاب الطفل..».

قلتُ بحدة: «لا، مونيكا بخير، والطفل بخير.. لكنني أنا..».

قطب حاجبيه وهو ينظر إليّ: «أنتِ ماذا؟».

أجهشتُ بالبكاء: «أنا طُردت من العمل!».

جذبني إليه وضمني بقوة، رغم أن دموعي ومخاطي بدآ يلطخان قميصه الرسمي، لكنه لم يبالِ. ظل يضمني حتى توقفت كتفاي عن الارتجاف.

قال: «دينيس هذه لا تُصدق. عليكِ محاربة هذا القرار، ارفعي عليهم قضية فصل تعسفي. ما السبب السخيف الذي قدموه لطردكِ؟».

ابتعدتُ عنه وأنا أمسح عينيّ: «نتيجة فحص المخدرات كانت إيجابية.. للميثامفيتامين».

فتح فمه بذهول. أفلت ذراعيه من على كتفي وتراجع خطوة للخلف: «ماذا؟».

«أخبرتني دينيس بذلك هذا الصباح. أجروُا الفحص بالأمس ويبدو أن النتيجة كانت إيجابية».

تراجع خطوة أخرى وهو يهز رأسه: «أنتِ لا تمزحين!».

يا إلهي، هل يظن حقًا أنني أتعاطى الميث؟ مستحيل!

قلتُ وقلبي يخفق بقوة: «إنها نتيجة خاطئة يا سام! أنا ـ لا أتعاطى الميث!».

لكنه لم يقل شيئًا، واصل التحديق بي فقط.

صرختُ فيه: «سام! أنت لا تعتقد حقًا أنني مدمنة، أليس كذلك؟».

قال وهو يضيق عينيه من خلف نظارته: «لا.. ولكن.. عليكِ الاعتراف بأن هذا يفسر الكثير من سلوكياتكِ مؤخرًا. سهركِ طوال الليل، قلقكِ الدائم.. ارتيابكِ».

قلتُ بحدة: «الأرق سببه التوتر، وأنا لستُ مرتابة».

أجابني: «بل أنتِ مرتابة بالتأكيد».

«لا، لستُ كذلك!».

هز سام رأسه مجددًا: «آبي، لقد قضيتِ ليلة أمس في نوبة غضب طويلة لأنكِ لم تستطيعي الوصول لزميلة مونيكا عبر الهاتف، وظننتِ أن أمرًا كارثيًا يحدث».

«ألا ترى أن الأمر يثير الريبة بالفعل؟»

«لا، لا أرى ذلك! كما أنكِ أصبحت عاجزة عن تذكر مواعيد اجتماعاتكِ، وخلطتِ بين مواعيد مونيكا الطبية. ناهيكِ عن حديثكِ المستمر عن شكوككِ تجاهها وأنها تخطط لشيء ما..».

«لقد كادت تتسبب في طردي!»

تراجع خطوة إضافية وقال: «لا، أنتِ من تسببتِ في طرد نفسكِ».

انقبض قلبي: «سام، أقسم لك، أنا لا أتعاطى الميث».

لم ينطق بحرف.

قلتُ والدموع تفر من عينيّ ثانية: «أرجوك، يجب أن تصدقني. أنت زوجي، إذا لم تصدقني أنت، فمن سيفعل؟».

رمش سام عدة مرات وقال: «عليّ الذهاب للعمل الآن يا آبي».

سألتُه بمرارة: «هل تصدقني؟».

أطلق زفرة طويلة وقال: «نعم، أظن ذلك».

حاولتُ الاقتراب منه ثانية، لكنه تراجع بسرعة. كان من الواضح أنه، رغم ما قاله، لا يصدقني حقًا. زوجي نفسه يظن أنني مدمنة.

الفصل السادس والعشرون

أمضيتُ معظم اليوم أتجول في المدينة بلا هدف؛ أمرّ بكل متاجري المفضلة، أتأمل الملابس وأغطية الأسرة والعطور، لكني لم أشترِ شيئ، ولم أتناول حتى طعام الغداء. أرسلت لي شيلي رسائل نصية عديدة، لكني لم أرغب في تزويدها بمادة للنميمة. كل ما أردته هو أن أختلي بنفسي.

لم يعد سام إلى المنزل إلا بعد التاسعة، وهو أمر لم يعتده قط. فعادة ما يعود في الخامسة، وإذا تأخر لأي سبب كان يرسل لي رسالة. أرسلت إليه أسأله عن مكانه، لكنه لم يرد.

أتى بعد أن حلّ الظلام، شعره أشعث، تفوح منه رائحة خفيفة من الكحول، شممتُ فيه أيضًا عطر مونيكا برائحة اللافندر. وربما كان هذا من هواجس الارتياب التي تتحدث بداخلي.

سألتُه حين دخل من الباب: «هل تود تناول العشاء؟ لقد أحضرتُ بيتزا.»

تمتم قائلًا: «أكلتُ بالفعل.»

«أين؟»

هز كتفيه بلا مبالاة.

قلتُ بحدة: «في شقة مونيكا؟»
رمقني بنظرة غاضبة. ربما لم يكن يجدر بي قول ذلك، ولكن ماذا يفترض أن أقول عندما يعود زوجي متأخرًا وتفوح منه رائحة عطر امرأة أخرى؟ أنا لم أرتكب خطأ، أنا لا أتعاطى الميث، يجب عليه أن يكون متيقنًا من ذلك.
قال وهو ينزع ربطة عنقه التي كانت تتدلى مرتخية حول عنقه: «سأذهب للنوم.»
«لكن الساعة لم تتجاوز التاسعة والنصف بعد.»
«لا يهم.»
غير أنه لم يذهب للفراش مباشرة، بل دخل الحمام وسمعتُ صوت الماء يتدفق لنحو نصف ساعة. أدرتُ التلفاز على نشرة الأخبار، فهي الشيء الوحيد الذي يمكنني التركيز عليه الآن. لقد كان هذا واحدًا من أسوأ أيام حياتي.
يوم فقدنا الطفل كان سيئًا بالطبع، لكن هذا اليوم يفوقه مرارة. على الأقل، حين حدث ذلك، حظيتُ بدعم سام. لا أفهم كيف يمكنه تصديق أنني مدمنة مخدرات. فأنا لم أكن أتصرف بغرابة إلى هذا الحد.
أليس كذلك؟

وبينما كنتُ أهُمّ بالنهوض للذهاب إلى الفراش، خرج سام مندفعًا من غرفة النوم، شعره مبلل، يرتدي ملابسه الداخلية فقط، وفي يده كيس بلاستيكي.

قال بحدة: «ما هذا بحق الجحيم؟»

حدقتُ في الشيء الذي يمسكه؛ كان كيس بلاستيكي صغير بسحاب يحوي بلورات بيضاء صغيرة.

سألتُه: «هل هي مجوهرات؟»

صرخ بي وهو يهز الكيس أمام وجهي: «أتمزحين معي؟! أحقًا لا تعرفين ما هذا؟»

أخذتُ الكيس من يده. بدت كالبلورات، مثل سكر النبات أو ما شابه. ليس لديّ أدنى فكرة عن ماهيتها، إلا إذا...

همستُ بصوت متهدج: «يا إلهي، هل هذا هو الميث؟»

قال بحدة: «أنتِ أخبريني! لقد وجدتُه في درجكِ!»

«كنت تفتش في أدراجي؟»

«نعم، فعلتُ.» رمقني بنظرة غاضبة وأكمل: «لقد فشلتِ في فحص المخدرات في العمل، وتصرفاتكِ كانت جنونية مؤخرًا. لذا نعم، بحثتُ في أدراجكِ. لكني لا أظن أن هذا هو الموضوع الأهم هنا.»

قلتُ متوسلة: «أقسم لك يا سام، لم أرَ هذا الكيس من قبل.»
«إذًا لماذا كان في درجكِ؟»
«لا أدري.»
«أنا وأنتِ فقط مَن يسكن هنا. أنا لم أضعه هناك، فإن لم تكوني أنتِ، فمَن فعل؟»
انكمشتُ خوفًا من الغضب المرتسم على وجهه وقلتُ: «أنا... لا أدري. لكن عليك أن تصدقني، ليس لي علاقة به.»
شخر ساخرًا وقال: «حسنًا، إذًا المادة موجودة في تحليلكِ وفي درجكِ، ومع ذلك ليست لكِ! يمكنكِ أن تدركي لِمَ يصعب عليّ تصديق ذلك.»
«لا بد أن أحدًا ما وضعه هناك.»
«مَن؟ بابا نويل؟»
قبضتُ على يديّ بقوة وقلتُ: «لا أدري، لكني لم أرَ هذا الكيس في حياتي.»
انتزع سام الكيس من يدي ونظر إليه باشمئزاز وقال: «سألقي بهذا في المرحاض.»
صرختُ: «لا تفعل!»
هز رأسه وسأل: «ولم لا؟»

«لأنه دليل! قد تكون عليه بصمات أصابع.»

قلب عينيه بضجر وقال: «أنتِ تمزحين حتمًا. هل تعلمين ماذا سيحدث لو قُبض عليكِ ومعكِ هذا الشيء؟ ستدخلين السجن. سأتخلص منه الآن... وعذرًا، سيتعين عليكِ البحث عن جرعتكِ القادمة في مكان آخر.»

حدقتُ في أثره بذهول. نظرتُ إلى يديّ اللتين كانتا ترتجفان بشدة. لا أدري ما الذي يحدث هنا. هل من الممكن أن أكون مدمنة ولا أعلم؟ هل من الممكن أن أكون مصابة بحالة تجعلني أفقد الوعي وأعيش حياة أخرى موازية؟ هل هذا ممكن؟ لأنه محق؛ ثمة تفسير منطقي واحد لكل ما يحدث.

وهذا التفسير يجعلني أشعر بالخزي من نفسي.

الفصل السابع والعشرون

للمرة الأولى منذ وقت طويل، أنام كجثة هامدة. وهو مما أدهشني، بالنظر إلى مقدار القلق الذي لازمني طوال اليوم. فقد ظننتُ أنني سأبقى مستيقظة حتى الثانية فجرًا والأفكار تتسابق في رأسي كما هي العادة مؤخرًا، لكنني بدلًا من ذلك، وما إن لامس رأسي الوسادة، حتى غططتُ في نوم عميق دون حتى أن أتناول حبة منومة، ولم أستيقظ خلال الليل لقضاء حاجتي، وهو ما يعد معجزة بحد ذاته.

حين نهضتُ، لم يكن سام في السرير. لم ينم على الأريكة، لكنه نام في أقصى طرف السرير من جهته، وكأنه يحاول الابتعاد عني قدر الإمكان دون أن يغادر السرير تمامًا. لم يسبق لنا أن تخاصمنا بهذا الشكل طوال العقد الذي عرفنا فيه بعضنا. إنه أمر مُحبط.

ترنحت حتى وصلتُ إلى الحمام، وحين رأيتُ وجهي في المرآة فوق المغسلة، كدتُ أشهق من الرعب، فقد كان منظري مزريًا. بدا شعري كشعر «عروس فرانكشتاين» كما هي حاله دائمًا حين أفرط في النوم فيأخذ الشكل المنفوش الفوضوي، وظهرت بضع

شعرات بيضاء جديدة لم تكن موجودة في آخر مرة نظرتُ فيها إلى نفسي، وارتسمت هالات أرجوانية عميقة تحت عينيّ، وبدت وجنتاي غائرتين. بصراحة، لو عرض أحدهم صورة لامرأة تشبهني وقال إنها مدمنة ميث، لصدقت. فلا عجب أن سام كان مرتبًا في أمري.

صرفتُ نظر عن الاستحمام لأنني شعرتُ بجوع مفاجئ، فتوجهتُ نحو المطبخ بحثًا عن طعام... لكني تجمدتُ مكاني حين وقع بصري على الثنائي الجالس على أريكتي.

سام ومونيكا.

ماذا تفعل هي هنا؟

قال سام بابتسامة متكلفة واضحة: «لقد استيقظتِ أخيرًا.»

كان سام متأنقًا للعمل، يرتدي قميص أبيض ناصع مع ربطة عنق، وقد حلق لحيته بدقة. ورغم أنه لا يرتدي أيًا من ماركات برادا أو أرماني، إلا أنه كان يبدو وسيم جدًا. إنه الدكتور «أدلر» الذي تقع كل طالبات الجامعة في حبه. أما مونيكا، فكانت ترتدي فستان حمل أزرق يبرز صدرها بشكل لافت، وبدا شعرها جذاب وناعم. كانا يبدوان ثنائي رائع الجمال، بينما تذكرتُ صورتي في مرآة

الحمام وانقبض قلبي. ففوق كل ذلك، كنتُ أرتدي قميص واسع وسروال بيجاما قصير، وكلاهما لا يضيف لي أي جمال.

سألتُ: «آه... ما الذي يجري هنا؟»

قال سام: «هل يمكنكِ الجلوس لدقيقة يا آبي؟»

مررت أصابعي في شعري المتشابك فوق رأسي وقلتُ: «هل يمكنني الاستحمام أولاً؟»

قال وعيناه البنيتان تلتقيان بعينيّ، وقد خلت منهما لمسة الحنان المعتادة: «لا، يجب أن أذهب للعمل، ونحن بحاجة ماسة للتحدث إليكِ. لن يستغرق الأمر طويلًا.»

لم أكن أعلم ما الذي يودان قوله، لكن من الواضح أنه ليس أمرًا جيدًا. ومع ذلك، جلستُ على المقعد المقابل لهما. وضعت مونيكا قدمًا فوق الأخرى وهي تبتسم لي بلطف، فشعرتُ برغبة عارمة في لكمها على وجهها.

بدأ سام حديثه قائلاً: «لقد خضتُ أنا ومونيكا نقاش طويل بالأمس.» (آه! كنتُ أعلم أن رائحة عطرها كانت تفوح منه! ماذا كانت تفعل هذه المرأة مع زوجي طوال المساء؟). وتابع: «ولديها بعض المخاوف الوجيهة جدًا.»

كررتُ بذهول: «مخاوف؟»

نظر إلى مونيكا ثم مضى في حديثه: «هي قلقة بشأن التبني، بالنظر إلى مشاكلكِ الأخيرة مع... كما تعلمين، المخدرات.»

انفجرتُ قائلة: «ليس لديّ مشكلة مع المخدرات! كل هذا مجرد خطأ فادح!»

تبادلا نظرات صامتة، وكم أبغض تلك النظرات ذات المغزى بينهما، فهي بالكاد تعرفه، بينما أنا زوجته!

قال سام: «أرى أن مونيكا محقة في مخاوفها ، لذا... حسنًا، توصلنا إلى حل وسط، نود منكِ الالتحاق ببرنامج لإعادة التأهيل من الإدمان.»

فغر فاهي دهشةً: «تريدني أن أذهب إلى المصحة؟»

أومأ برأسه: «نعم، هناك الكثير من البرامج الرائعة. لقد اتصلتُ ببعضها بالأمس و...»

قاطعتُه: «لن أذهب إلى أي مصحة!» هذا جنون تام. لن أذهب إلى إعادة تأهيل وأنا لم أتعاطَ المخدرات ولو لمرة واحدة في حياتي!

وضعت مونيكا يدها على يد سام، وأردتُ حقًا القفز فوق الطاولة وخنقها بيديّ. قالت بصوت خفيض: «لقد أخبرتُك أنها لن ترغب في القيام بذلك.»

قال سام: «هذا الأمر غير قابل للنقاش يا آبي. إذا لم تفعلي ذلك، فسأسمح لمونيكا بالتحلل من عقدها.»

لا أصدق ما يحدث؛ كيف انتهى بي المطاف في هذا الموقف؟ أنا لا أتعاطى المخدرات، والطريقة الوحيدة لوجودها في بولي هي أن يكون أحدهم قد دسّها لي. ولكن كيف؟ لا أذكر مرة واحدة... مهلًا لحظة...

شهقتُ مشيرة بسبابتِي نحو مونيكا: «قهوتي! أنتِ تحضرين لي القهوة كل صباح. لا بد أنكِ تضعينها في قهوتي!»

اتسعت عينا مونيكا، بينما احمرّ وجه سام خجلًا وقال: «آبي، أرجوكِ، أنتِ تحرجين نفسكِ.»

صرختُ: «ألا ترى؟ هذا هو التفسير الوحيد!» ثم رمقتها بنظرة نارية وقلتُ: «ومن المؤكد أنها سرقت مفاتيحي من حقيبتي وصنعت نسخة منها، ثم دست كيس الميث في درجي.»

وضع سام رأسه بين يديه وقال بيأس: «آبي...»

نهضتُ من مقعدي وساقاي ترتجفان: «فتش حقيبتها يا سام، أراهنك أنك ستجد نسخة من مفاتيحي هناك.»

نهض سام هو الآخر وقال: «هل فقدتِ صوابك يا آبي؟ لن أفتش حقيبتها!»

قالت مونيكا فجأة: «لا أمانع إن أردتَ النظر في حقيبتي.»
قال سام وهو يشبك ذراعيه فوق صدره: «لا. لقد فقدتِ السيطرة على نفسكِ يا آبي، وأنا أعني ما أقول، أريدكِ أن تفكري بجدية في أمر المصحة، لأنكِ إن لم تفعلي... حسنًا، لا أدري ماذا سيحدث.»
حدقتُ فيه وسألتُه: «ماذا يعني هذا؟»
ساد صمت ثقيل بيننا للحظة، قبل أن ينظر أخيرًا إلى مونيكا ويقول: «مون، هل يمكنكِ الانتظار في الخارج؟ أحتاج للتحدث مع آبي على انفراد.»
قالت برقة: «بالطبع يا سامي. سأراك... آه، لاحقًا.»
مون! سامي! وأيضًا لاحقًا! ماذا تعني بكلمة لاحقًا؟
غادرت مونيكا الشقة وأغلقت الباب خلفها بهدوء، لكنها لم توصده، رغم أنها كانت تستطيع فعل ذلك، لأنني متيقنة تمامًا من وجود مفاتيحنا في حقيبتها اللعينة. كانت تعلم أن سام لن يوافق أبدًا على تفتيشها. يا لها من ماكرة!
ساد هدوء تام حين انفردنا. ورغم كل شيء، كان سام يبدو جذابًا جدًا بقميصه وربطة عنقه. تمنيتُ لو نضع موضوع

المخـدرات هـذا جـانـبًا ويـقبلني، لـكني بـدأتُ أتـساءل إن كـان سيقبلني ثانية.

أمسك سام بإحدى يديّ مما منحني بصيص أمل وقال بنبرة واعدة: «آبي، لقد ذهبت مونيكا الآن، ونحن وحدنا. أرجوكِ، أخبريني الحقيقة.»

«سام...»

«أرجوكِ.» رمش عدة مرات وكأنه يحاول حبس دموعه وأكمل: «لن أغضب منكِ، أريد مساعدتكِ يا آبي. فقط... كوني صادقة معي، فأنا أستحق ذلك بعد كل هذه السنوات.»

يا للمفارقة! لقد جعلني أتمنى لو كنتُ مدمنة ميث بالفعل لأرضيه.

قلتُ: «أنا أقول لك الحقيقة، مونيكا هي مَن كانت تدس لي المخدرات.»

تمتم تحت أنفاسه بغضب: «سحقاً!» ثم أطرق برأسه وقال: «أنتِ تدركين موقفي يا آبي، أليس كذلك؟ هذا ليس مجرد تبني عادي، هذا طفلي.»

«طفلنا.»

قال بحدة: «لا، بل طفلي أنا، هذا نصف حمضي النووي، ابني. إذا قررتِ أنكِ لا تريدين القيام بذلك، أو إذا تراجعت مونيكا عن العقد، وهو حق لها بالنظر إلى الظروف، فسأظل ملزمًا بالبقاء بجانبها. لن أتخلى عن هذا.»

شعرتُ برغبة في التقيؤ وسألتُه: «ماذا تقصد بكلامك هذا؟»

قال: «أقصد، أرجوكِ فكري بجدية في برنامج إعادة التأهيل هذا.»

«سام...»

كرر ثانية: «فكري في الأمر.» ثم أطلق زفرة طويلة وقال: «يجب أن أذهب للعمل، لكننا سنكتمل حديثنا لاحقًا، حسنًا؟»

أومأتُ برأسي، ولم أجرؤ على الكلام. أدركتُ في تلك اللحظة أنني لن أستطيع إقناع زوجي بأنني لستُ مدمنة، ولا أرى أي مخرج من هذا المأزق.

الفصل الثامن والعشرون

لا أحد يصدقني بشأن مونيكا. لا أحد على الإطلاق.

سام متيم بها، ويصدق كل كلمة تنطق بها دون أدنى تشكيك.

ورئيستي السابقة دينيس ترى فيها معجزة، والأرجح أنها ستحل محلي عما قريب.

لا بد لي من إيجاد وسيلة لإثبات أن مونيكا ليست بذلك النقاء الذي تدعيه. أحتاج إلى دليل ملموس يدينها، ولكن أين أجده؟ الشخص الوحيد الذي استهدفته هو أنا. حسنًا، باستثناء... جيرتي.

حين زارتني مساعدتي السابقة، ذكرت أنها شعرت وكأن أحد دفعها على الدرج. ادعت حينها أنها تمزح، لكني لستُ متأكدة من ذلك. ماذا لو كانت دُفعت حقًا؟ ماذا لو أرادت مونيكا إزاحتها من الطريق لتفوز بدور مساعدتي الجديدة؟

إنها محاولة يائسة، لكن ليس لدي ما هو أفضل لأفعله اليوم.

بحثتُ عن رقم منزل جيرتي في هاتفي المحمول. وحين اتصلتُ بها، رن الهاتف عدة مرات، فبدأ القلق يساورني من أن تكون مونيكا قد تخلصت منها لكي تمحو أي خيط قد يكشفها.

واو، لقد أصبحتُ مرتابة حقًا.

صاح صوت جيرتي عبر الهاتف: «مرحبا؟» حين تتحدث جيرتي عبر الهاتف، تبدو عاجزة عن التحكم في نبرة صوتها. كان هذا الأمر يثير جنوني في السابق، لكني أفتقده الآن بشدة، فأنا أفضل صياح جيرتي على كفاءة مونيكا المصطنعة في أي وقت.

«من معي؟»

قلتُ: «مرحبا جيرتي. أنا آبي.»

«مَن؟»

هذا أمر آخر، يبدو أن جيرتي لا تسمع شيئًا مما يقال لها عبر الهاتف، وهو ما قد يفسر سبب صراخها.

«آبي أدلر! من العمل! آبي!»

ساد صمت طويل، ثم قالت: «أوه! آبي! كم يسعدني سماع صوتك يا عزيزتي!»

قلتُ: «اسمعي يا جيرتي، كنتُ أتساءل إن كان بإمكاني طرح بضعة أسئلة عليكِ؟»

«ماذا؟»

جززتُ على أسناني وقلتُ: «هل يمكننا اللقاء في مكان ما يا جيرتي؟ سأحضر إلى أي مطعم تختارينه.»

«أوه، هذا لطف منكِ، لكني تناولتُ الغداء للتو يا عزيزتي!»
قلتُ بصبر نافد: «جيرتي، أنا بحاجة فقط للتحدث إليكِ. قهوة ربما؟»
«أوه! حسنًا، سيكون ذلك رائعًا!»
تنفستُ الصعداء. إنه احتمال ضعيف، لكن لعل جيرتي تذكر رؤية مونيكا في بيت الدرج ذلك اليوم. لا أدري إن كان أحد في العمل سيصدق ذلك، لكن ربما يصدقني سام. أنا في أمس الحاجة لضمه إلى صفي. أنا لستُ مرتابة بشأن مونيكا. لستُ كذلك.
اختارت جيرتي مقهى صغير في آخر الشارع الذي تقطن فيه. وصلتُ قبلها وطلبتُ لنفسي قهوة سوداء، رغم أن ما كنتُ أرغب فيه حقًا هو كأس قوية من الويسكي، لكن من الأفضل ألا أسكر في منتصف النهار. كما أنني أشك أن هذا المقهى يقدم الخمر أساسًا.
جلستُ إلى طاولة مستديرة صغيرة بين رجل ذي لحية صغيرة يكتب بحدة على حاسوبه المحمول، وامرأة مسنة تحدق بشرود عبر النافذة. أخذتُ رشفة طويلة من قهوتي السوداء، وارتجفتُ من مرارة طعمها.

وصلت جيرتي إلى المقهى بعد بضع دقائق، تتوكأ بثقل على عصاها رباعية القوائم. كانت تعرج بشدة لدرجة جعلتني أرغب في الإجهاش بالبكاء. قبل سقوطها على الدرج، كانت كتلة من النشاط تدب في أوصال المكتب. من الواضح أن إصابتها نالت منها بالفعل، وتساءلتُ إن كانت ستعود يومًا لسابق عهدها.

حين وصلت إلى طاولتنا، نهضتُ وعانقتها. ربما طال العناق أكثر من اللازم، لدرجة دفعتها للتعليق: «هل كل شيء على ما يرام يا عزيزتي آبي؟ تبدين حزينة للغاية»

أخذتُ نفس عميق وأنا أجاهد لمنع دموعي، فهذه أول كلمات طيبة أسمعها طوال اليوم. «سأكون بخير. كيف حالكِ أنتِ؟»

ابتسمت جيرتي وربتت على شعرها الأبيض المنفوش: «أوه، تعلمين... للتقاعد فوائده. أصبحتُ أقضي وقتًا أطول مع حفيدي الصغير. يا له من مشاكس!»

«هذا رائع.»

تنهدت قائلة: «قضينا ثلاث ساعات أمس نلعب بمكعبات الليغو! لم أظن أنني قادرة على اللعب بها كل هذا الوقت! إنها ممتعة نوعًا ما في الواقع. يا لها من فكرة رائعة للعبة، رغم أنني لستُ

واثقة كيف تمكنوا من صنع كل هذه الأفلام عنها. أعني، إنها مجرد مكعبات، أليس كذلك؟»

ابتسمت مجبرة: «بلى.»

«على أية حال، ستكونين مشغولة جدًا مع ذلك الطفل الجديد يا آبي! أنا سعيدة من أجلكِ.»

شعرتُ بغصة في حلقي. لا تبكي. لا تبكي يا آبي.

سألتني: «وكيف حال زوجكِ صامويل؟ إنه رجل لطيف للغاية. لا بد أنه متحمس جدًا أيضًا»

أعلم أنها تحاول أن تكون مهذبة، لكني لم أعد أحتمل.

قلتُ: «اسمعي، هناك شيء أريد أن أسألكِ عنه.»

وضعت جيرتي يدها المجعدة على يدي وقالت: «بالطبع يا عزيزتي. ما هو؟»

أخذتُ نفس عميق: «هل تذكرين اليوم الذي سقطتِ فيه على الدرج في العمل؟»

امتقع وجهها: «بالطبع أذكر. من الصعب نسيان أمر كهذا.»

شعرتُ بوخزة ذنب؛ فآخر ما أريده هو نكأ جراح ذكرياتها السيئة، لكني بحاجة للمعرفة. «لقد أخبرتِني أنكِ ظننتِ أن أحدًا دفعكِ.»

ضحكت بخفة وقالت: «لم أكن أعني ذلك حرفيًا. كان الأمر مجرد... تدافع معتاد. أرِني شابًا واحدًا لا يتدافع ولا يزاحم!»

قلتُ: «لو أريتكِ صورة، هل يمكنكِ إخباري إن كان صاحبها مألوفًا لكِ؟»

لم تحظَ جيرتي بفرصة لقاء مونيكا من قبل. فإذا تعرفت على الصورة، فهذا يعني أن ثمة احتمال لوجود مونيكا في بيت الدرج ذلك اليوم. وربما ينشط ذلك ذاكرتها بشأن تفاصيل أخرى.

كأن تتذكر أن مونيكا هي من دفعتها.

أخرجتُ هاتفي وعرضتُ الصورة الوحيدة التي أملكها لـ مونيكا، والتي التُقطت في غرفة الانتظار عند أول موعد لنا مع طبيبة النساء. أردتُ التقاط صورة لتوثيق الحدث برمته. بالنظر إلى الوراء، يبدو الأمر غبيًا للغاية. مَن كان ليعلم أن الأمور ستؤول إلى هذا المصير المروع؟

حسنًا، باستثناء سام، وشيلي، ووالدتي... في الواقع، الجميع كان يعلم ما عداي.

مررتُ الهاتف لها عبر الطاولة، بدأت تبحث عن نظارة القراءة الخاصة بها. يا إلهي، كيف نسيت أمر نظارة القراءة الخاصة بـ جيرتي؟ لديها تلك النظارة الضخمة ذات الإطار الأرجواني التي

تخبئها دائمًا في حقيبتها. وكلما طُلب منها قراءة شيء، تستغرق نحو خمس ساعات لإخراج تلك النظارة الغبية. بدأتُ أتذكر كم كانت جيرتي تثير حنقي.

أخيرًا أخرجت نظارتها وراحت تحدق عبرها في الصورة على هاتفي. ضيقت عينيها قليلًا، ثم رفعت الهاتف في الهواء لتحصل على مزيد من الضوء. ثم قلبته. وبعد حوالي ستين ثانية، كنتُ على وشك هزها بعنف.

قلتُ: «ها؟»

اعترفت جيرتي: «تبدو ملامحها مألوفة بعض الشيء.»

«إذًا تظنين أنكِ رأيتها من قبل؟»

«نعم، أظن ذلك.»

تسارعت دقات قلبي: «هل تظنين أنها الشخص الذي دفعكِ على الدرج؟»

رفعت جيرتي بصرها بحدة، وخلعت نظارتها الضخمة وعقدت حاجبيها: «آبي، هل أنتِ بخير؟»

«لا!» وهنا لم أستطع كبت مشاعري أكثر، وانخرطتُ في نوبة بكاء مريرة. وضعتُ في هذا اللقاء آمال عريضة، لكن يا لحماقتي. كيف لـ جيرتي أن تتذكر شيئًا حدث قبل عام، وهي

التي لم تكن تتذكر حتى ضرورة الضغط على زر الإرسال في جهاز الفاكس؟

قلتُ والدموع تنهمر: «لستُ بخير. أحدهم دسّ لي مخدر في قهوتي في العمل فطُردتُ، وزوجي يظن أنني مدمنة و...»

اتسعت عيناها، وحدقت بي بذهول للحظة، لكنها سحبتني لعناقها وقالت: «سيكون كل شيء على ما يرام يا آبي. أعدكِ بذلك.»

«لا، لن يكون! كيف يمكن أن يكون بخير؟»

قالت بنبرة مقنعة لدرجة كدتُ أصدقها: «ثقي بي. أنتِ إنسانة خيرة يا آبي. والجميع يعلم أنكِ لم تفعلي شيئًا خاطئًا. ستنجلي الغمة في النهاية.»

وبينما كانت غيرتي تعانقني، سمعتُ طنين هاتفي في حقيبتي. ابتعدتُ عن حضنها وأخرجتُ الهاتف، اتسعت عيناي ذهولًا حين رأيتُ الاسم على الشاشة.

دينيس هولت تتصل.

الفصل التاسع والعشرون

لماذا تتصل بي دينيس هولت؟ لا يبدو الأمر منطقيًا، هذه المرأة طردتني بالفعل، فهل تريد طردي مرة أخرى؟

لا، الأرجح أنه أمر تافه، كتعقيد ما يتعلق بشيك مستحقاتي النهائية. ومع ذلك...

قلتُ لجيرتي التي ارتسمت الحيرة على وجهها: «عذرًا... سأخرج للرد على هذه المكالمة.»

هرعتُ خارج المقهى وهاتفي بيدي، ومررتُ إصبعي للرد بمجرد خروجي. كان قلبي يتسارع بالفعل. «مرحبا؟»

«أبيغيل؟» لا يمكن أن تخطئ الأذن صوت دينيس المقتضب. تخيلتُ عينيها الزرقاوين كالثلج ترمقانني بنظرات حادة كالخناجر من الطرف الآخر للمدينة.

«هذه دينيس هولت.»

«أجل، أعرف.»

قالت دينيس: «حسنا.» ثم ترددت، وهو أمر لا يشبه دينيس أبداً؛ فهي لا تتردد، ولم يسبق لها أن شككت في أي قرار أو فكرة خطرت لها طوال حياتها، أو هكذا كانت تحب أن توهم العالم.

«اسمعي يا أبيغيل... أنا... ربما نكون قد ارتكبنا خطأ...»

كاد الهاتف يسقط من يدي. خطأ؟ دينيس هولت ارتكبت خطأ وتعترف به؟

لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا. لا بد أنها ضرب من الهلوسات التي يسببها الميث. يجب أن أقرص نفسي لأتأكد أنني لا أحلم.

قلتُ: «كل ما أعرفه هو أنني لم أتعاطَ المخدرات يا دينيس، أقسم بحياتي.»

تنهدت عبر الخط وقالت: «نعم... أخشى أن الأمر قد أصبح أكثر تعقيدًا من ذلك.»

انحبست أنفاسي في حلقي وسألتُ: «كيف ذلك؟»

قالت ببطء: «حسنا، لقد عينتُ مونيكا مساعدة شخصية لي بعد مغادرتكِ، و... ضبطتُها هذا الصباح تعبث في مكتبي حين كنتُ خارج الغرفة. لم أصدق عينيّ.»

«وماذا قالت؟»

شخرت دينيس ساخرة: «قالت إنها كانت تبحث عن شريط لاصق، تخيلي! لم أقل شيئًا، لكن الموقف برمته جعلني أشعر بعدم ارتياح شديد. لذا، وبينما كانت في استراحة الغداء، فتشتُ مكتبها.»

كادت ضحكة تفلت مني عند تخيل دينيس وهي تفتش مقصورتي الصغيرة. ليس أن الأمر مضحك. «وماذا وجدتِ؟»

«حسنًا، الجزء الذي يخصكِ يتعلق بزجاجة دواء.»
قطبتُ جبيني: «زجاجة دواء؟»
«كانت لديها زجاجة دواء يُدعى أديرال. بحثتُ عنه وتبين أنه في الأساس شكل من أشكال الأمفيتامين.» ثم تنحنحت وأكملت: «ألم تكن مونيكا تحضر لكِ القهوة كل صباح؟ وكانت تحضر غداءكِ أيضاً، أليس كذلك؟»
همستُ: «نعم.»
حتى اللحظة، كان الأمر مجرد تخمينات، لكن اتضح أنني كنتُ محقة؛ فحص المخدرات لم يكن خاطئًا. لقد خدرتني مونيكا لتضمن طردي.
تأوهت دينيس: «هذا الوضع بأكمله كارثة إدارية. لا أدري ما سنفعل، بالنظر لحملها واتفاقكِ الصغير معها. يمكنها أن تقاضينا وتكبدنا خسائر فادحة.»
تمتمتُ: «آسفة.»
صمتت للحظة، وحبستُ أنفاسي متسائلة إن كانت ستلقي عليّ إحدى محاضرات دينيس هولت الشهيرة.
قالت أخيرًا: «لا، أنا أتفهم... لقد كنتِ تمرين بظروف صعبة. وأنا... ربما كان يجدر بي التعامل مع الأمر بشكل أفضل. بصفتي رئيستكِ... وبصفتي صديقتكِ.»

تهدلت كتفاي. لم أكن لأسمي دينيس صديقتي ولو بعد مليون سنة. كنتُ أكرهها. لكن قبل أن تدق مشاكل الخصوبة إسفينًا في علاقتنا، كنا صديقتين. لا، بل أكثر من ذلك؛ كانت مرشدتي، والشخص الذي أعجبني أكثر من أي أحد قابلته في حياتي.

قالت: «اسمعي، أريد التحدث معكِ وجهًا لوجه بخصوص هذا الشأن. علينا وضع استراتيجية للتعامل مع الموقف، ومساعدتكِ ستكون... حسنًا، سأكون ممتنة لها.»

قلتُ بلهفة: «نعم، بالطبع.»

«هل يمكنكِ المجيء للمكتب الليلة؟»

«أكيد. في أي وقت؟»

«الثامنة ستكون مناسبة، تعلمين أن الجميع سيكونون قد غادروا بحلول ذلك الوقت.» وكدتُ أسمع الابتسامة في صوتها وهي تضيف: «أولئك المتكاسلون يغادرون دائماً بحلول السابعة.»

تذكرتُ كل تلك الأمسيات المتأخرة في مكتب دينيس مع وليمة من الطعام الصيني ممدودة على مكتبها بينما نعمل. «هذا مؤكد.»

«إذاً أراكِ الليلة؟»

«سأكون هناك.»

ترددت دينيس لحظة أخرى قبل أن تقول: «لا تقلقي يا أبيغيل. سنصلح هذا الأمر.»

بمجرد أن أنهيتُ المكالمة مع دينيس، اختلقتُ الأعذار لجيرتي وغادرتُ المقهى. كان عقلي يدور بلا توقف. وربما كان يدور لأن مونيكا كانت تدس لي الأمفيتامين في قهوتي.

حين عدتُ للمنزل، أرسلتُ رسالة لسام: «علينا التحدث حين تعود للمنزل.»

فرد: «حسنًا.»

أردتُ أن أنقل له كل ما قالته لي دينيس، لكن ليس عبر الهاتف. أردتُ إخباره وجهًا لوجه. لكن بحلول السابعة والنصف، لم يكن سام قد عاد بعد. لم أكن أعلم مكانه، ولم أرغب في التفكير في الأمر. قررتُ التعامل معه بعد نقاشي مع دينيس. أحتاجه أن يصدقني، أكثر من أي شيء آخر.

كانت الساعة تقارب الثامنة حين وصلتُ لمبنى المكاتب، وكان معظم الناس قد غادروا. خطر لي وأنا أحوم خارج المبنى أنه بما أن الأمن قد رافقني للخارج سابقًا، فربما توجد تعليمات تمنع دخولي. وفوق ذلك، لم أكن أرتدي ملابس مناسبة للعمل، كنتُ أرتدي قميصا أنيقا وسروال، لكنه ليس الزي الرسمي القوي الخاص بـ آبي أدلر.

حسناً، لا خيار أمامي الآن.
دخلتُ المبنى بخطوات واثقة؛ فكما قلتُ سابقًا، الثقة تفتح الأبواب. تعرفتُ فورًا على باتريك من خلال نوبات عملي المتأخرة في شركة ستيوارت. إنه حارس الأمن في معظم الليالي، شاب طويل ونحيل ذو ابتسامة مريحة. انتظرتُ أن يوقفني، لكنه بدلًا من ذلك منحني ابتسامة عريضة.
لوح لي قائلًا: «مرحباً آبي! تعملين لوقت متأخر مجدداً، ها؟»
قلتُ: «أجل، كذلك.»
غمز لي وقال: «حسنًا، لا تتأخري كثيرًا.»
كنتُ أظن سابقًا أن باتريك معجب بي، قبل أن تتحطم ثقتي بنفسي بسبب تلك المرأة التي تحاول سرقة وظيفتي وزوجي. لكن ربما أستطيع استعادتها، فدينيس أخيرًا في صفي للمرة الأولى منذ وقت طويل. يحدوني الأمل في أن أخرج من هذه المحنة محتفظة بمهنتي وزواجي.
حين صعدتُ للطابق الخاص بشركة ستيوارت للإعلان، كان الهدوء يلف المكان. الجميع غادروا، وهذا ليس مفاجئًا. فكما أشارت دينيس، كنا الوحيدتين اللتين تعملان بانتظام حتى وقت متأخر. طقطق كعبي على الأرضية وأنا أقطع الطريق المألوف نحو مكتبها في الزاوية.

كان الباب يحمل اسم "دينيس هولت" بحروف ذهبية لامعة. كنت عادة ما أبقي بابي مفتوحًا قليلًا، لكن دينيس تبقي بابها مغلقًا دائمًا بإحكام . لذا طرقتُ الباب.

لا رد.

هل غادرت؟ لا، مستحيل. إذا كان هناك شيء واحد يمكن قوله عن دينيس، فهو أنها دقيقة وملتزمة. لن تطلب من شخص الحضور لاجتماع ثم تخلف وعدها؛ هذا ليس طبعها.

بدافع الفضول، جربتُ المقبض، فانفتح. ربما ذهبت إلى الحمام. دفعتُ الباب وانتظرتُ في الداخل.

غير أن دينيس لم تكن في الحمام. كانت جالسة على مكتبها، ورأسها بين ذراعيها. كأنها تأخذ قيلولة أو تبكي أو شيئ من هذا القبيل.

قلتُ: «دينيس؟»

لم تجب.

ما الذي يحدث هنا بحق الجحيم؟ من المستحيل أن تأخذ دينيس قيلولة على مكتبها؛ كنت لأصدق طيران خنزير أمام النافذة قبل أن أصدق هذا. لكن لماذا لا ترفع رأسها؟ ولماذا لا تبدي أي رد فعل لوجودي أمامها؟

كررتُ: «آه، دينيس؟»

لا إجابة.
اقتربتُ من المكتب ووضعتُ يدي على كتفها، لكنها لم تبدِ أي رد فعل. هززتها هذه المرة، وبدلًا من أن تعتدل في جلستها، هوت إلى الأرض.
وحينها رأيتُ كل تلك الدماء.

كان الشريط الأصفر يطوق مكتب دينيس، وقد سد رجال الشرطة المداخل وهم يهرعون الآن في كل مكان. أنا جالسة على مقعد مكتبي، أضم نفسي عجزة عن التوقف عن الارتجاف.
لقد ماتت دينيس. لا أدري تمامًا ما أصابها، لكني حين قلبتُ جثتها على الأرض محاولة مساعدتها، وجدتُ عينيها الزرقاوين الشاخصتين تحدقان في العدم. لستُ طبيبة، لكني أدركتُ في تلك اللحظة أن الوقت قد فات على طلب الإسعاف.
قد يبدو الأمر شنيعًا، لكني للحظة فكرتُ في الفرار، فبعد كل تلك الضغينة التي كانت بيني وبين دينيس، كان مسرح جريمة قتلها هو آخر مكان أود أن أُضبط فيه. لكن باتريك رآني وأنا أدخل، ولن يبدو شيء أدل على الذنب من الهرب، فضلًا عن تلك الدماء التي تلطخت بها ثيابي.

وغير ذلك، لم أستطع تركها هكذا. كانت دينيس قدوتي في يوم من الأيام، وكانت تحاول مساعدتي. لا يمكنني ترك جثتها ملقاة هناك طوال الليل تتعفن على أرض مكتبها. فهي تستحق ختام أفضل من ذلك.

«سيدة أدلر؟»

كان صوت محققة ذكرت لي اسمها لكني نسيته فورًا. وقفت أمامي وهي ترفع كيسًا بلاستيكيًا يحوي جسم معدني لامع.

أجبتُ بصعوبة: «نعم؟»

سألتني: «هل يبدو هذا الجسم مألوفاً لكِ؟»

تمتمتُ: «ليس تماماً.»

قالت: «ألا يمكنكِ التدقيق فيه أكثر؟»

رحتُ أحدق في ذلك الجسم الملطخ بالدماء داخل الكيس. استغرق الأمر ثانية حتى ميزتُ ماهيته؛ إنه فتاحة رسائل، نُقش عليها اسم أبيغيل. شهقتُ قائلة: «هذا ملكي!»

حسنًا، يبدو أن الأمور تزداد سوءً. بدأتُ أحنّ للأيام التي كانت فيها مشكلتي الوحيدة هي تهمة تعاطي الميث.

عادت المحققة للتحدث مع الآخرين. لم تكن تعجبني نظراتهم المصوبة نحوي وهم يتكلمون، وها هم الآن يشيرون إليّ. رائع حقاً! يا إلهي، ماذا لو اعتقلوني؟

عادت المحققة إليّ ثانية، وقلبي يخفق بشدة في صدري. سألتُها بصوت متحشرج: «هل أنا قيد الاعتقال؟»

صمتت طويلاً قبل أن تجيب: «لا، نود فقط طرح بعض الأسئلة عليكِ في القسم.»

ابتلعتُ ريقي بصعوبة وسألتُ: «هل يجب أن... هل يجب أن أحضر محامياً؟»

قالت: «يمكنكِ ذلك إن شئتِ، لكنا سنكتفي بالأسئلة. نود معرفة قاتل السيدة هولت بأسرع وقت، لذا سنقدر تعاونكِ معنا.»

قلتُ بجمود: «حسناً، سآتي معكم.»

سألتني: «هل تودين أن نتصل بأحد ليقلكِ من القسم؟»

قلتُ: «زوجي.»

وبينما كنتُ أملي عليها رقم سام، لم أتخيل ما قد يقوله حيال كل هذا؛ فقد كان تعاطي المخدرات سيئاً بما يكفي، والآن أُضيفت إليه تهمة قتل محتملة.

من الواضح أنني ضحية فخ محكم. وإن كان قد خالجني أدنى شك في ذلك، فقد بددته فتاحة الرسائل تلك. ثمة مَن أراد توريطي في جريمة قتل، شخص خشي أن تكون دينيس قد عرفت أكثر مما ينبغي. وأخشى أن ذلك الشخص أوشك أن ينال مراده

الفصل الثلاثون

في قسم الشرطة، أعادت المحققة سوييني التعريف بنفسها، ثم أجلستني في غرفة استجواب لم تكن، برغم مسماها، بالرهبة التي تخيلتها؛ إذ لم تعدُ كونها حجرة صغيرة طُليت جدرانها بلون أزرق سماوي، تتوسطها طاولة معدنية يحيط بها كرسيان بلاستيكيان. ومع أني لا أرغب في البقاء هنا مدة طويلة، إلا أنها لم تثر في نفسي الفزع.

قبالتي جلست سوييني، وعلى وجهها مسحة من الود يكللها ابتسامة جذابة، وأحسبها لم تكن عفوية، بل لعلهم يرجون بذلك أن أزل بكلمة تدينني؛ لكني لن أفعل، فما قتلت دينيس قط.

بدأت سوييني حديثها قائلة: «سيدة أدلر،» ثم ترددت قليلاً وأردفت: «هل يمكنني مناداتك باسم آبي؟»

أجبتها: «أجل.»

قالت والابتسامة لا تفارق وجهها: «حسنًا يا آبي، كنت أرجو أن توضحي لي بعض الأمور.»

«لا بأس.»

شابكت أصابعها فوق الطاولة وسألت: «لقد فصلتكِ السيدة هولت من العمل بالأمس، أليس كذلك؟»
فأومأتُ برأسي.
«وما كان سبب الفصل؟»
فكرت في الكذب، لكني وجدته ضربًا من الرعونة، إذ يسهل تقصي الحقيقة. فأجبت: «خضعتُ لفحص مخدرات جاءت نتيجته إيجابية لمادة الميث، غير أنه خطأ في الفحص؛ فأنا لا أتعاطى أي نوع من المخدرات.»
قالت سوييني: «فهمت.» ثم تبدل شيء في نظرتها وأكملت: «بما أنكِ فُصلتِ من العمل، فما الذي جاء بكِ إلى مبنى الشركة؟»
«طلبت مني دينيس الحضور.»
«ولأي غرض؟»
«قالت إنها تظن أن أحدهم قد تلاعب بنتائج فحصي، وأرادت مناقشة الأمر.»
رفعت سوييني حاجبها مستنكرة وسألت: «أهي من هاتفتكِ وقالت ذلك؟»
«أجل.»

«وهل ذكرت مَن تتهمه بالتلاعب؟»

تـرددتُ هـنيهة قـبل أن أومـئ بـرأسـي: «مـونـيكا جـونـسون، مساعدتي الشخصية السابقة.»

«أرى ذلـك.. ولِـمَ ظـنت السـيدة هـولـت أن السـيدة جـونـسون تلاعبت بالفحوص؟»

«لأنها وجدت زجاجة دواء أديرال في مكتب مونيكا.. أو السيدة جونسون. وهي مادة من الأمفيتامينات، فاعتقدت السيدة هولت أن السيدة جونسون كانت دسته في قهوتي.»

«ولـمَ كـانـت السـيدة هـولـت تـفتش مـكتب السـيدة جـونـسون أصلاً؟»

ضـغطتُ عـلى يـديّ بـقوة وقـلت: «أخـبرتـني أنـها رأت مـونـيكا تتلصص حول مكتبها، فأرادت التأكد من أنها لم تسرق شيئ.»

أمالت سوييني رأسها بتفكير وقالت: «إن دواء أديرال يـوصف عـادة لـعلاج اضطراب تشتت الانـتباه وفـرط الحـركـة؛ فـما الـذي جـعلها تجـزم بـأن السـيدة جـونـسون كـانـت تـسممكِ؟ ألـم يـكن احتمالًا أن يكون دواءً موصوفاً لها؟»

«أنا.. لستُ متأكدة.»

وتابعت سوييني: «وهل تعلمين أن دواء أديرال من المستبعد جدًا أن يُظهر نتيجة إيجابية لمادة الميثامفيتامين في فحص البول؟»

لم أكن أعلم ذلك.

لم تنتظر سوييني جوابي، بل انتقلت سريعًا إلى خط آخر من الأسئلة، مما أشعرني بالقلق من أن إجاباتي السابقة لم تكن في صالحي. قالت: «تقولين إن السيدة هولت هاتفتكِ..»

«بلى، والاتصال مسجل في سجل هاتفي.»

«أيمكنني رؤيته؟»

أخرجتُ الهاتف من حقيبتي؛ فعلى الأقل أملك دليلًا على اتصال دينيس. عرضتُ سجل المكالمات على سوييني، فراحت تتفحصه بإمعان.

سألتني: «هل شهد أحد هذا الاتصال؟»

«لا.» تذكرتُ كيف هرعتُ خارج المقهى بمجرد رؤية اسمها.

«لكنها هاتفتني، والاسم ظاهر على الشاشة كما ترين.»

قالت سوييني: «حسنًا، والسؤال هو: ماذا قالت؟»

«لقد أخبرتكِ بما قالت.»

«أجل، فعلتِ.»

ماذا تقصد بقولها هذا؟

«وهل ذكرت السيدة هولت شكوكها حول السيدة جونسون لأحد غيركِ؟»

اعترفتُ قائلة: «لا، لا أظن ذلك.»

«ألا ترين ذلك غريبًا؟ لو اعتقدتِ أن أحد موظفيكِ يسمم زميلاً له، ألا تذهبين فوراً إلى الموارد البشرية؟»

تصصب عرق كفيّ فجأة: «ظننت أن الأمر قد يكون شائكًا لأن.. مونيكا حامل.»

أعلم أن الحقيقة ستتكشف عاجلاً أم آجلاً، لكني لا أستطيع إخبار المحققة الآن أن مونيكا هي رحمنا البديل؛ فلا أتخيل كيف سيجعلني ذلك في نظرهم. سأتعامل مع الأمر حين يقع.

قالت سوييني: «والآن يا آبي، متى كانت آخر مرة رأيتِ فيها فتاحة الرسائل تلك؟»

عقدتُ حاجبيّ وقلت: «قبل بضعة أسابيع؟ ظننتُ أني فقدتها.»

«فقدتِها؟ أكنتِ تخرجينها من مكتبكِ؟»

«لا، لكنها لم تكن في الدرج حيث أضعها عادة. لعل أحدًا استعارها.» (أو سرقها ليؤطرني في جريمة قتل).

سألت المحققة: «قبل فصلكِ بالأمس، كيف تصفين علاقتكِ بالسيدة هولت؟»

«كانت جيدة.»

«أكنتِ على وفاق معها؟»

«إلى حد ما.» شعرتُ بغصة في حلقي وكأني أختنق. «لكل منا خلافاته، أليس كذلك؟»

فابتسمت وقالت: «هذا صحيح.»

كم سيستغرقها الوقت حتى تسمع قصة رسالة البريد التي نعتها فيها باللعينة؟

سألت: «أمن المعتاد أن تبقى السيدة هولت في العمل حتى ذلك الوقت المتأخر؟»

«أجل، في الغالب.»

«وهل يكون المكتب خاليًا حينها؟»

«تقريبًا، ولهذا أرادت الاجتماع في الثامنة.»

«أطلبتِ أنتِ من السيدة هولت مقابلتها؟»

قطبتُ جبيني وقلت: «لا، بل هي من طلبت مني.»

«إذًا لم ترسلي لها بريد إلكتروني تطلبين فيه التحدث إليها؟»

«كلا..»

تسارعت دقات قلبي حين مدت المحققة سوييني يدها إلى الجيب الداخلي لسترتها، وأخرجت ورقة مطوية فضتها بعناية ثم راحت تتفحص محتواها، وقالت: «إذًا، أنتِ لم ترسلي بريد إلكتروني للسيدة هولت تقولين فيه: لديّ من المعلومات عنكِ ما قد يدمر حياتكِ. وإن شئتِ ألا يفتضح أمركِ، فأقترح أن تقابليني الليلة في تمام الثامنة؟»

حدقتُ فيها بذهول وقلتُ: «كلا، لم أفعل ذلك مطلقًا.»

مررت الورقة المطبوعة عبر الطاولة لأتمكن من فحصها بدقة، فرأيتُ عنوان بريدي الإلكتروني في الأعلى مرسلاً إلى دينيس، وتحته تلك الكلمات التي قرأتها سوييني للتو.. كلمات تهديد لم أكتبها قط. إلا إن كنتُ قد فقدتُ عقلي.

قلتُ بأقصى ما أوتيتُ من يقين: «أنا لم أكتب هذا البريد.»

سألتني: «هل تسمحين لنا بالدخول إلى حساب بريدكِ الخاص بالعمل لنبحث فيه؟»

أجبتُ: «نعم، بكل تأكيد.»

لكن شعورًا بالغثيان خالجني حيال ما قد يجدونه؛ إذ طرأ على بالي الآن أنني لستُ الوحيدة التي تملك صلاحية الدخول إلى بريدي، فمساعدتي السابقة كانت تملكها أيضًا.. مونيكا.

كنتُ على وشك إخبار سوييني بهذا التفصيل، لكنها مالت نحو الأمام وكأنها تبثني سرًا، ومنحتني ابتسامتها المضللة قائلة: «اسمعي يا آبي، أعلم أن فقدان وظيفتكِ بالأمس كان أمر شاق للغاية، وهو أمر يحطم أي إنسان. وحين يقع المرء في مثل هذا الموقف، قد يقدم على أفعال يائسة.»

تسمرتُ مكاني. ماذا تحاول أن تقول؟

تابعت سوييني: «أنا أتفهم ذلك؛ فإيجاد وظيفة أخرى في ظل هذا الاقتصاد أمر صعب، فكيف والاتهامات بتعاطي المخدرات تلاحقكِ؟ وحتى لو لم يكن الخطأ خطأهم، يميل المرء عادةً إلى لوم الشخص الذي دمرّ مستقبله.»

قلتُ متعثرة: «أنا.. أنا لم أقتل دينيس..»

رفعت حاجبًا وقالت: «أحقًا؟ سأكون صادقة معكِ يا آبي؛ الأدلة ضدكِ الآن دامغة، وأضمن لكِ أنكِ ستدخلين السجن بسبب هذا. لكن إن اعترفتِ الآن، فربما نتوصل إلى تسوية.»

حدقتُ فيها وقلتُ: «أنا لم أقتلها.»

رمقتني بنظرة رثاء وقالت: «أنا أعمل في هذا المجال منذ زمن طويل يا آبي، وأخبركِ بما سيحدث. تبدين إنسانة طيبة ارتكبت خطأ فادح، وأنا أريد مساعدتكِ.»

كررتُ قولي: «أنا لم أقتلها.»
قالت وهي تصوب نظراتها نحو عينيّ: «كلانا يعلم أن هذا كذب. إن اعترفتِ الآن، يمكنني أن أعرض عليكِ صفقة، لكن بمجرد مغادرتكِ هذه الغرفة، ستسقط الصفقة. وحين نعتقلكِ، ستكون التهمة هي القتل العمد من الدرجة الأولى، وعقوبتها السجن المؤبد.»
شعرتُ بوعكة شديدة، وكأنني سأتقيأ فوق هذه الطاولة النظيفة، فهي تظن أنني قاتلة، والشرطة كلها يظنون ذلك، وكذلك سيفعل العالم أجمع.
قلتُ: «أريد التحدث إلى محامٍ.»
كانت الساعة تقارب منتصف الليل حين غادرتُ قسم الشرطة. لم يعتقلوني، وهو ما اعتبرتُه بادرة خير؛ فربما لا يملكون أدلة كافية، ولعل ذلك هو السبب في ضغطهم الشديد لانتزاع اعتراف مني. فبعد سوييني، جاء محقق آخر ثم ثالث، لكني لزمتُ الصمت؛ فلن أنطق بكلمة واحدة دون وجود محامٍ.
رافقني أحد الضباط إلى غرفة الانتظار بالقسم، حيث توجد صفوف من المقاعد البلاستيكية غير المريحة. تخيلتُ أن هذه المقاعد تكون ممتلئة بالناس نهارًا، أما الآن، فلم يكن هناك سوى

قلة، من بينهم رجل يبدو فاقدًا للوعي من أثر الثمالة. وفي منتصف الصف الثاني، لمحتُ وجه مألوف، يجلس مطرق الرأس يضع جبهته بين يديه.

إنه سام.

نادى الضابط: «سيد أدلر؟ ها هي ذي.»

رفع رأسه، وكانت الهالات الأرجوانية تحت عينيه تشبه تلك التي رأيتها في وجهي صباحًا. لم يبتسم حين رآني، بل لم ينظر إليّ أصلًا. وقف بجهد وهو يتحسس سترته.

قال بصوت مبحوح: «ركنتُ السيارة في نهاية الشارع.»

تمتمتُ: «حسنًا.»

تبعته بصمت حتى وصلنا إلى سيارته الهايلاندر. لا أدري ما الذي أخبروه به تحديداً، لكن من رد فعله، يتضح أنه سمع الكثير من التفاصيل. تساءلتُ إن كانوا قد استجوبوه، وإن فعلوا، فماذا قال لهم؟

"زوجتي تعاني من مشكلة مع المخدرات.. حاولتُ مساعدتها لكنها ترفض الاعتراف.. كانت تكره رئيستها وربما قتلتها„

لم نتبادل كلمة واحدة طوال الطريق إلى السيارة. وحين صعدنا، توقعتُ أن يشغل المحرك، لكنه بدلًا من ذلك ألقى برأسه على مسند المقعد، وكانت عيناه زجاجيتين غائبتين.

ناديتُه: «سام.»

فرك وجهه بيديه وسأل: «ماذا؟»

لم أكن أدري ما أود قوله. أردتُ سؤاله إن كان يظنني قتلتُ دينيس، لكني خشيتُ الإجابة؛ فقلتُ: «هل استجوبتك الشرطة؟»

هز رأسه نافيًا وقال: «أخبروني فقط بما حدث. أرادوا استجوابي لكني رفضت؛ فلن أتحدث إلى أحد دون محامٍ، وأتمنى لو أنكِ فعلتِ الشيء نفسه.»

تنفستُ الصعداء وقلتُ: «أجل.. لم أدرك سوء الموقف إلا حين أصبحتُ بالداخل.»

قال: «سنجد لكِ محامي غدًا.»

خالجني بصيص من الأمل؛ فقوله سنجد بصيغة الجمع يعني أنه ما زال معي في خندق واحد، ولم يحزم أمتعتي ليلقي بها من النافذة بعد.

قلتُ: «أنا لم أقتلها، أقسم لك.»

لم ينبس ببنت شفة.
فسألتُه: «لم أفعل. هل تظن حقًا أنني فعلتها؟»
هـز رأسـه وقـال: «لـو سـألـتِني قـبل بـضعة أشهـر، لـقلتُ كـلا، مستحيل، ولا بأي حال من الأحوال. أما الآن...»
صـحتُ والـدمـوع تـطفر مـن عـينيّ: «سـام! أتـقول إنـك تـظنني قاتلة؟ أتصدق حقًا أنني قد أفعل ذلك؟»
سكت للحظة، ثم فرك وجهه مجددًا وقال: «لا.. أظنني لا أصدق ذلك.»
تهدلت كتفاي ارتياحًا؛ فهو يصدقني. «أعتقد أن أحدهم أوقع بي يا سام. يبدو أن شخص ما أرسل بريد إلكتروني..»
قاطعني: «لا أريد التحدث في الأمر.»
«ولكن يجب أن تعرف أن..»
قال وحنجرته تتحرك بصعوبة: «لا أريد سماع شيء الآن. كل ما أريده هو العودة للمنزل، حسنًا؟ سنتحدث غدًا.»
خيم الصمت على السيارة، ولم أنطق بكلمة أخرى. ورغم ادعاء سام بأنه يصدقني، إلا أن الشك يساورني في ذلك. فعلى أقل تقدير، أصبح يرتاب فيّ. لطالما شعرتُ أن سام هو الرجل الذي

سيبقى بجانبي مهما حدث، لكنني بطريقة ما، وفوق ثمانية أشهر قصيرة، فقدت ذلك اليقين.

الفصل الواحد والثلاثون

«هذه التهم سخيفة تمامًا؛ ما تحتاجين إليه هو محامٍ بارع.»

كانت أمي، وعلى النقيض التام من زوجي، مؤمنة ببراءتي إيمانًا مطلقًا، لدرجة أنها تعتقد أن الشرطة ستواجه دعوى قضائية بتهمة الاعتقال التعسفي إن تجرؤوا على القبض عليّ. فأمي تهوى الدعاوى القضائية. ففي العام الماضي، لم تعجبها بذلة نسائية اشترتها من متجر ساكس فيفث أفينيو، فاتصلت بمحاميها لترى إن كان بإمكانها مقاضاة المتجر! (وكان الجواب لا، لكنها استطاعت استبدالها، ولا يدرك أحد لِمَ لم تفعل ذلك منذ البداية).

جلسنا في مطعم صغير لا يبعد عن بنايتي سوى زقاق واحد، حيث دعتني أمي لتناول الغداء. كان المكان مزدحم بالزوار في ساعة الذروة، لكن أمي دسّت ورقة نقدية من فئة لا أعلمها في يد المضيفة، فظفرنا بطاولة بسرعة فائقة. سررتُ بضجيج الأحاديث الخافت في المطعم؛ فلم أكن أرغب أن يتسمع أحد لما نقوله.

قلتُ: «لقد دبر لي سام محامي بالفعل.»

شخرت ساخرة. لا يزال سام في نظرها ذلك الفتى ذو الستة وعشرين ربيعًا الذي صدم صندوق بريدها بسيارته الهوندا القديمة المتهالكة فأسقطه أرضًا. لن أنسى أبدًا نظرة الانكسار على وجهه حينها وكأنه أدرك أن ذلك الفعل وحده قد رسّخ كراهيتها له إلى الأبد.

قلتُ: «المحامي بارع جدًا،» وأضفتُ، لأني أعلم أن هذا سيزيد من احترامها له: «وسيكلفنا مبلغ طائل.»

صححت لي وهي ترمقني من فوق حافة كأس الماء: «تقصدين سيكلفكِ أنتِ»

«أنا وسام لا نفكر في أموالنا بهذه الطريقة.»

ضحكت وقالت: «حسنًا، هذا يناسبه تمامًا، أليس كذلك؟»

«كفى يا أمي، أنتِ تعلمين أن سام لا يكترث للمال.»

«يا آبي، الجميع يكترثون للمال.»

جززتُ على أسناني ورحتُ أعبث بمنديل المائدة فوق حجري. لستُ بصدد افتعال نوبة غضب في هذا المطعم، رغم أن الفكرة تغريني.

قالت أمي: «حسنًا، حدثيني عن هذا المحامي البارع الذي اختاره لكِ سام.»

تظاهرتُ بأني لم ألحظ نبرة التهكم في سؤالها: «إنه يعمل في المحاماة الجنائية منذ ثلاثين عام، وسجله في القضايا حافل بالنجاحات. يقول سام إنه الأفضل على الإطلاق.»
لكن أمي لم تكن تنصت؛ إذ شتتها شيء ما في الطرف الآخر من الغرفة. تتبعتُ نظراتها نحو رجل وسيم يرتدي حلة رسمية مقلمة وربطة عنق حمراء، يجلس وحيدًا على طاولة لشخصين، وعيناه مسمرتان في هاتفه الذكي.
سألتني أمي: «ما رأيكِ فيه؟»
رفعتُ حاجبي متعجبة: «ماذا تقصدين؟»
عدّل الرجل ياقة سترته المقلمة؛ وأحسبها من ماركة بريوني الفاخرة. رفع عينيه وضبطني وأنا أحدق به، فسرى الدفء في وجنتيّ. وقبل أن أشيح بنظري، غمز لي.
صاحت أمي بظفر: «لقد غمز لكِ!»
«وماذا في ذلك؟»
«يجب أن تذهبي للتحدث إليه.»
حدقتُ فيها بذهول: «لن أفعل ذلك أبدًا!»
«ولِمَ لا؟»
«لأني متزوجة من رجل آخر!»

«أجل، ولكن من الجيد أن يكون لديكِ بديل، أليس كذلك؟»

تمنيتُ لو أستطيع القول إن هذه هي المرة الأولى التي تتفوه فيها أمي بشيء كهذا منذ زواجي بـ سام. أنا لا أفهمها، وبصراحة، سئمتُ من هذا الأسلوب.

اندفعتُ قائلة: «لماذا تكرهين سام إلى هذا الحد؟»

بوغتت بالسؤال فرمشت عدة مرات: «أنا لا أكره سام.»

«إذاً لماذا تقترحين عليّ مواعدة رجل آخر؟»

فكرت أمي في السؤال، وأخذت رشفة أخرى من الماء وهي لا تزال تتأمل إجابتها. قالت أخيرًا: «لطالما ظننتُ أنكِ تستحقين الأفضل. أنتِ ثرية، وجميلة، ولديكِ حياة مهنية مذهلة. كان بإمكانكِ الحصول على أي رجل تتمنينه.»

«لكني أردته هو، وهو زوج رائع.»

«حقًا؟»

كتمتُ رغبتي في ضرب الطاولة بقبضتي. «بكل تأكيد، وقد دبر لي محامي فذ، وسيساعدني في إصلاح هذا الخطأ الفظيع.»

قالت أمي: «أرجو أن تكوني على صواب.»

الفصل الثاني والثلاثون

«خمس عشرة سنة ستكون هدية يا أبيغيل.»

كانت كلمات محاميّ روبرت فريش تتردد كصدى في أذني، وكادت جدران مكتبه تطبق عليّ، بينما ابتسامة أوباما في الصورة المعلقة تسخر مني. هذا غير معقول. خمس عشرة سنة. لا، مستحيل.

قلتُ للمرة التي تبدو كالألف: «لم أفعلها.»

تنهد فريش. من الواضح أنه لا يصدقني. رغم أنه أحد أمهر المحامين الجنائيين في المدينة، إلا أنني في تلك اللحظة، كنتُ لأستبدله بمحام مبتدئ يصدق روايتي على الأقل. لكن لا أحد يصدقني؛ لا سام، ولا فريش، حتى شيلي صديقتي المقربة لم تعد ترد على مكالماتي.

أما مونيكا... حسنًا، هي الوحيدة التي تعرف الحقيقة.

لقد قتلت دينيس وخططت لإلصاق التهمة بي لتكون المسمار الأخير في نعشي. لم يكفها طردي من العمل بسبب المخدرات

التي دستها لي في عينة الفحص، ولم يكفها تبادل الرسائل مع زوجي صباح مساء. كل ذلك لم يكن كافيًا لها، فهي تريد وضعي خلف القضبان، حيث تنعدم فرصتي في استعادة ما هو حقي.

قال سام أخيرًا: «أعتقد أن عليكِ قبول الصفقة. هذه أفضل فرصة لكِ.»

«لن أقضي بقية حياتي في السجن بسبب شيء لم أفعله!»

«إنها ليست بقية حياتكِ.»

هل يمزح معي؟ «إنها خمس عشرة سنة!»

عمري الآن سبعة وثلاثون عامًا. بعد خمس عشرة سنة سأكون في الثانية والخمسين. ستضيع أي فرصة للأمومة إلى الأبد، وستنتهي مسيرتي المهنية، وزواجي...

حدق سام أمامه في مكتب فريش، رافضًا النظر إليّ. إذا دخلتُ السجن، سينتهي كل شيء بيننا. بعض الناس ينجحون في الحفاظ على زواجهم رغم السجن، لكننا لن نكون منهم؛ فهو يظنني وحشًا. إذا قبلتُ صفقة الإقرار بالذنب هذه، سينتهي به المطاف بالعيش مع مونيكا. ربما ليس فورًا، لكن في نهاية المطاف سيربيان ابنهما معًا، ويعيشان في سعادة أبدية.

ربما يجدر بي تركهما يحظيان بتلك السعادة. لقد تمسك سام بي خلال كل مشاكل العقم، رغم علمه أن الخطأ مني. إنه رجل طيب ويستحق أن يكون سعيدًا.

لكن ليس مع مونيكا.

حتى لو تغاضيت عن كل ما فعلَته بي، رغم صعوبة ذلك، لكن إن كنتُ أهتم لأمر سام حقًا، فلا يمكن أن أتركه يتورط مع مونيكا. إنها مريضة نفسية، إنها قاتلة. في اللحظة التي يحرق فيها خبز توست، ربما تطعنه في صدره.

قال لي فريش: «فكري في الأمر يا أبيغيل. هذا الخيار لن يظل متاح للأبد. الشرطة تملك أدلة قوية ضدكِ.»

كان رأسي يدور وأنا جالسة في سيارة سام عائدين لشقتنا. عليه الذهاب للعمل الآن، أما أنا فسأبقى في المنزل، كوني أصبحتُ حبيسة المنزل كل يوم. انتظر حتى قطعنا منتصف الطريق قبل أن يقول: «أعتقد أن عليكِ قبول الصفقة.»

«أجل، أعرف رأيك.»

«فريش يعي ما يقول.»

حدقتُ عبر النافذة في واجهات المتاجر التي تمر مسرعة. سأفتقد هذا المنظر إن دخلتُ السجن. حينها، لن أرى حولي سوى القضبان وساحة السجن والحراس و...

يا للروعة، أنا أبكي الآن.

لان صوته وقال: «آبي... لا تبكي.»

كلا، ظللتُ أبكي، لم أكن قادرة على التوقف.

ياللسخافة، أنا لستُ بكّاءة بطبعي. ربما أبكي مرة واحدة في السنة، نوبة بكاء ملحمية لأخرج كل إحباطي، ثم أكون بخير لبقية العام. أكره فقدان السيطرة الذي أشعر به عند النحيب. لكن مؤخرًا، أصبحت وكأني صنبور يسرب الماء، فكل ما أفعله هو البكاء.

ربما يظن سام أن السبب هو الميث، وربما يكون كذلك بالفعل.

قال بلطف: «اسمعي، إن كنتِ تريدين الذهاب للمحكمة، فلنفعل ذلك. حسنًا؟»

مسحتُ عيني بظهر يدي وقلت: «لو دخلتُ السجن، ستنتقل للعيش مع مونيكا.»

«لا، لن أفعل.»

«بل ستفعل.»

«توقفي عن قول ذلك. لن أفعل.»

لا أصدقه. أرى في عينيه أنه انتهى مني، وقد تلاشى كل اللطف منهما. ومن يلومه؟ فهو يظن أنني ارتكبتُ أشياء فظيعة.

مسحتُ عينيّ مرة أخرى بكم قميصي، وعدتُ أحدق من النافذة، حاولت عدم التفكير فيما سيحدث في الأيام القليلة القادمة. السجن. لم يكن عقلي يستوعب الفكرة.

تسائلت إن كانوا سيقيدون يديّ. هل يفعلون ذلك دومًا؟ وإن وافقتُ على الذهاب بهدوء، هل يتحتم عليهم وضع الأصفاد؟ لا أريد أن تكبل يداي، فالأمر يبدو من القرون الوسطى. ربما عليّ أن أذهب إلى مركز الشرطة وأسلم نفسي. في الواقع...

مهلًا.

يا إلهي!

صحتُ: «سام! أوقف السيارة!»

سأل: «ماذا؟ لماذا؟»

لحسن الحظ، كان يبطئ بالفعل للتوقف عند إشارة حمراء. بمجرد توقفه تمامًا، فتحتُ الباب وقفزتُ خارج السيارة دون أي تفسير. أنا واثقة أنه يعزو تصرفي هذا لسلوكي المضطرب بفعل المخدرات. لا بأس. هذا أهم من احتمالية أن تتراجع مكانتي

أكثر من ذلك في نظر سام. فلا يمكن للمرء أن ينزل لأقل من الصفر على أي حال. أو ربما يمكن؟ الأرقام السالبة وما إلى ذلك، وسام أدرى بتلك الأمور.

بمجرد نزولي، انطلقتُ أركض في شارع برودواي بأقصى سرعتي. لم يكن الأمر سهلًا وأنا أرتدي حذاء بكعب، لكن إن فقدت أثر تلك الفتاة، فلن أسامح نفسي أبدًا. هذه فرصتي الوحيدة لتبرئة اسمي.

ناديتُ بأعلى صوتي حين أصبحتُ قريبة بما يكفي لتسمعني:

«تشيلسي!»

لم تلتفت الفتاة. كانت الرياح تعبث بشعرها الأشقر وهي تخطو بثبات في الشارع، ممسكة بكيس من متجر هوت توبيك. انقطعت أنفاسي من مطاردتها، وفوق ذلك، علق كعبي في شق بالرصيف وكدتُ أطير في الهواء، لكنني تمكنت بأعجوبة من استعادة توازني.

استغرقني الأمر ثانية أخرى لأقترب بما يكفي وأمسك ذراعها.

لهثتُ: «تشيلسي.»

استدارت، ورمشت عيناها الزرقاوان بدهشة. إنها الفتاة نفسها، تلك التي حدثتني عن مدى روعة مونيكا جونسون ونبلها، ثم أُغلق خط هاتفها فجأة بلا تفسير.

قالت: «عفوًا؟»

كنتُ لا أزال ألهث محاولة التقاط أنفاسي. يا إلهي، لياقتي سيئة حقًا. من الجيد أن أمامي خمس عشرة سنة في السجن لأستعيد لياقتي. أليس هذا ما يفعله الناس في السجن غالبًا؟ يتدربون ويوشمون جماجم على أجسادهم؟

قلت: «أنا آبي أدلر. نحن... تحدثنا قبل فترة عن مونيكا جونسون.»

رمشت بضع مرات أخرى وقالت: «مَن؟»

ماذا؟

كررتُ: «مونيكا جونسون. رفيقتكِ في السكن.»

هزت رأسها نافية، قطبت جبينها كأنها تحاول التذكر بجدية. بدأتُ أظن أنني فقدتُ صوابي حقًا. هل تخيلتُ المحادثة برمتها؟ هل كان الأمر كله خيال من تأثير الميث؟

لكن فجأة أشرقت عيناها: «آه! أنتِ تلك السيدة التي أرادت الطفل!»

لستُ مجنونة. الحمد لله.

سألتني: «إذن، كيف سارت الأمور؟»

«أفترض أنكِ لم تعودي تسكنين مع مونيكا.»

حكت أنفها المرفوع بيديها الحرة وقالت: «الحقيقة هي...»

رفعتُ حاجبيّ منتظرة.

ابتسمت بوقاحة وقالت: «لم أكن أنا ومونيكا رفيقتين في السكن قط. هي فقط طلبت مني أن أقول ذلك.»

ماذا؟

ضيقتُ عينيّ وسألتها: «إذًا كيف تعرفين مونيكا؟»

هزت كتفيها: «كنا صديقتين إلى حد ما في الجامعة. ليس حقًا، في الواقع كنتُ مقربة أكثر من رفيقتها في السكن.»

«ولماذا لم تعطني رقم رفيقتها الحقيقية لأتحدث إليها؟»

ضحكت بصوت عال لدرجة جعلت المارة يلتفتون إلينا: «أوه، لم تكن لترغب في ذلك.»

انقلبت معدتي وشعرت بالغثيان. لقد كان الهدف من خطة سام أن نتحقق من خلفية مونيكا ومعرفة ما إن كانت مضطربة، لكنها أعطتنا أصدقاء وعائلة وهميين. لم أحاول الاتصال بوالدتها مرة أخرى، والآن أتساءل إن كانت المرأة التي كلمتني والدتها حقًا.

ربما لهذا قالت مونيكا إنها تشجع فريق ريد سوكس، لأنها كانت تكذب بخصوص كونها من إنديانا.

سألتُ: «إذًا، رفيقتها في السكن لم تكن تحبها؟»

شخرت تشيلسي: «هذا وصف مخفف للحقيقة.»

«وأنتِ أيضًا لم تكوني تحبينها، أليس كذلك؟»

«لا، ولكن...»

«ولكن ماذا؟»

أطرقت برأسها وقالت: «دفعت لي مونيكا مائتي دولار لأقول إنني رفيقتها في السكن وإنها رائعة.»

يا إلهي. لم يكن الأمر أن مونيكا وقعت في حب سام بعد حملها، لقد كانت تخطط لخداعي منذ البداية.

هل كانت مونيكا هي من دفع جيرتي على الدرج؟ هل كانت تحاول إبعاد مساعدتي لتتسلل إلى حياتي؟ ما الذي كان يدور في رأسها؟ بحق الجحيم، لماذا فعلت ذلك؟ ولماذا أنا؟

رأت تشيلسي أو أيًا كان اسمها الحقيقي، تعابير وجهي فجفلت وقالت: «اسمعي، أنا آسفة. لم أظن أن ما قلته ذلك اليوم سيؤثر بهذا الشكل. كما أنني ممثلة مفلسة، وكنتُ بحاجة ماسة للمال.»

رغم استيائي الشديد من هذه الفتاة وما فعلته قلت: «ليس ذنبك.»

لقد دُمرت حياتي بالكامل مقابل مائتي دولار، ألم يكن بوسعها التفاوض على خمسمائة على الأقل؟

«لكني بحاجة لمساعدتكِ.»

قالت: «أكيد. أيا كان ما تريدين.»

الفصل الثالث والثلاثون

أول ما حصلت عليه من تشيلسي، التي تبين أن اسمها الحقيقي تايلور رينولدز، كان رقم هاتفها الفعلي. لم يصدق سام كلمة مما أخبرته به عن مونيكا سابقًا، لكن ربما يصدق شخصًا آخر. كل ما أريده الآن هو إقناعه ببراءتي، ولن أتمكن من تجاوز هذه المحنة إن لم يصبح سام في صفي.

أما الأمر الثاني الذي فعلته تايلور من أجلي، فكان أنها أخرجت هاتفها واتصلت بسينثيا هولواي، رفيقة سكن مونيكا السابقة. قد تكون معلومات تايلور تدين مونيكا إلى حد ما، لكن يبدو أن في جعبة سينثيا الكثير لتقوله. لو استطعت إثبات أن مونيكا مختلة -وأنا موقنة بذلك- فربما أنجو بنفسي. ربما.

قلت لتايلور وهي تبحث عن رقم سينثيا في هاتفها: «أنا ممتنة لكِ حقًا».

تذكرت الأيام التي كنت أحفظ فيها أرقام جميع أصدقائي، أما الآن فمن حسن حظي أني أعرف رقمي.

ردت بابتسامة: «لا عليك».

بدت مفتونة بالأمر برمته، ولعلي أمنحها قصة ترويها لأصدقائها الليلة.

وقفنا معًا في شارع برودواي، نتنحى جانبًا لنفسح الطريق للمارة المحمّلين بأكياس التسوق. عثرت على الرقم وضغطت زر الاتصال. وقفت بجانبها، أشعر بألم فقاعة في إصبع قدمي الكبير. هذه آخر مرة أركض فيها بالكعب العالي. فإذا كان مصيري هو الأشغال الشاقة، فيجب أن تكون قدماي في حالة جيدة.

لا، لا يصح التفكير بهذه الطريقة. سأصلح هذا الأمر.

تهلل وجه تايلور وقالت: «سينثيا؟ مرحبًا، أنا تايلور! كيف الحال؟»

ثم، أقسم أنهما راحتا تتجاذبان أطراف الحديث لنحو خمس دقائق، وكأني لا أقف بجوار تايلور وحياتي كلها على المحك. كنت متأكدة أنها نسيت وجودي تمامًا. وحين شرعت تسرد تفاصيل مشترياتها من التخفيضات، نكزتها في كتفها وتنحنحت بصوت عالٍ.

قالت تايلور: «آه! اسمعي يا سين، أتذكرين مونيكا جونسون؟»

حتى من مسافة قدم، سمعت الصوت على الطرف الآخر يقول: «يا إلهي».

قهقهت تايلور: «معي سيدة هنا تواجه مشكلات عويصة مع مونيكا، وتود التحدث إليك».

أضفت: «شخصيًا، إن أمكن».

قالت تايلور: «أجل، شخصيًا». أنصتت لحظة ثم تفحصتني بنظراتها وقالت: «لا، لا تبدو مجنونة.. أعني أنها تبدو لطيفة. يبدو أن مونيكا ألحقت بها الأذى».

انتظرت وأنا أبدل ثقلي بين قدمي. آمل أن توافق هذه المرأة على الحديث معي. إن استطعت جعل رفيقة سكن قديمة لمونيكا تتحدث عن مدى اضطرابها، فعلى الأقل قد يفكر سام في صدق كلامي. أعلم أن من الصعب عليه أن يسيء الظن بها وهي تحمل طفله، لكن لا بد أنه سيحكم عقله إن رأى الأدلة أمام عينيه.

لا بد.

أبعدت تايلور الهاتف عن أذنها وقالت: «تقول سينثيا إن عليها الذهاب للعمل بعد ساعة، لكنها متاحة حتى ذلك الحين. إنها تسكن في ويست فيلج».

أومأت برأسي وقلت: «أعطني عنوانها».

استغرقت الرحلة بسيارة الأجرة نصف ساعة إلى شقة سينثيا، وطلبت من السائق أن يسرع طوال الطريق، واعدة إياه بدفع الغرامة إن حصل على مخالفة. كل من أعرفهم يظنون مونيكا قديسة، وسيكون من الإنصاف مقابلة شخص يدرك حقيقتها. آمل أن يكون الأمر كذلك. أما إذا كانت قصص سينثيا تقتصر على أن مونيكا تلتهم رقائق الإفطار ولا تشتري غيرها، فسأشعر بخيبة أمل.

كانت سينثيا تسكن في بناية من الطوب البني في ويست فيليج حيث تتلوى سلالم النجاة عبر واجهتها. عثرت على اسم هولواي وضغطت الزر. بعد لحظة انطلق طنين عالٍ وفُتح باب البناية.

تقع الشقة في الطابق الرابع، وكان من العشم الزائد أن آمل بوجود مصعد. صعدت السلالم لاهثة، والبثور تتضاعف على أصابعي المسكينة، لكني تجاهلت الألم، علي أن أتحدث مع هذه المرأة، هي مفتاح كل شيء، أنا واثقة من ذلك.

تبين أن سينثيا هولواي فتاة ضئيلة الحجم تقارب مونيكا في الطول، بقصة شعر قصيرة سوداء جريئة، وحلقة في أنفها. ابتسمت باتساع حين فتحت الباب كاشفة عن سن نابي أعوج وقالت: «إذًا، أنتِ إحدى ضحايا مونيكا، هاه؟»

قلت وأنا أجاهد لالتقاط أنفاسي: «أنا آبي».

أومـأت ونـظرت نـحو داخـل الـشقة: «رفـيقتي الأخـرى إيـلي موجودة أيضًا، وتريد المشاركة في فضح مونيكا».
جاء صوت آخر من الداخل: «هل سنحكي قصصًا عن مونيكا؟»
وظهرت فتاة بشعر بني فاتح مرفوع بإهمال، وهي تمسح يديها ببنطالها الجينز الضيق: «هل يمكن أن أبدأ أولاً؟»
غمزت لي سينثيا وقالت: «تفضلي بالجلوس يا آبي».
جلست على مقعد بين باج وسط غرفة المعيشة. لا أدري إن كنت جلست على مقعد كهذا من قبل. غصت بحذر وسطه متمسكة بحقيبتي، وفورًا ابتلعتني الحبيبات. لا أدري كيف سأنهض من هذا الشيء السخيف، لكنه مريح على أي حال.
سألتني سينثيا وهي تجلس على مقعد خيزران مستدير: «كيف تعرفتِ على مونيكا يا آبي؟»
القصة الكاملة تستغرق وقتًا أطول مما أملك، لذا من الأفضل أن أختصر: «عملت معها.. إلى أن ورطتني في مشكلة مع رئيستي وفقدت وظيفتي».
تبادلت الفتاتان النظرات وعلقت إيلي: «يبدو كأحد أساليب مونيكا المعتادة»
سعلت في يدي وسألت: «إذًا.. كيف كانت تجربتكم معها؟ هل كانت.. رفيقة سكن صعبة؟»

ضحكت سينثيا بمرارة: «كلمة صعبة لا تفي بالغرض. كانت مختلة. بصراحة، كنت أخشى في النهاية أن تقتلنا ونحن نيام».

خفق قلبي في صدري. حسنًا، يبدو الأمر مبشرًا.

قلبت إيلي عينيها وقالت: «لم تكن لتقتلنا ونحن نيام». كتمت رغبتي في إخبارها بما أعرف، وتابعت هي: «لكن نعم، كانت مجنونة».

شرحت سينثيا: «كانت سنتنا الأخيرة في الجامعة، واستأجرت هذا المكان مع إيلي وصديقة أخرى.. لكن في اللحظة الأخيرة قررت صديقتنا الانتقال للعيش مع صديقها. وضعت إعلان في صحيفة الجامعة، وبعد أسبوع انتقلت مونيكا للعيش معنا».

عضضت شفتي وسألت: «و.. وهل كانت... سيئة؟»

قالت سينثيا: «كانت طبيعية تمامًا لأسبوعين، ثم بدأ الجنون.» أخت تحك ركبتها بتفكير. «كانت تتهمي مثلًا بإنهاء علبة الزبادي الخاصة بها أو أي هراء من هذا القبيل. أمر بسيط، أليس كذلك؟ بالمناسبة، لم ألمسها، فأنا أكره ذلك الزبادي السخيف لأنه يصيبني باضطراب في معدتي. لكنها كانت تستشيط غضبًا، وتبدأ في نبش القمامة بحثًا عن العلب الفارغة، ثم تندفع خارجة تاركة النفايات مبعثرة على الأرض. أخبريني.. مَن يفعل ذلك؟»

مالت إيلي للأمام وهي تندمج في الحكاية: «آه، وكانت تتهمنا باقتحام غرفتها، رغم أنها كانت تضع قفلًا على بابها، فكيف لنا أن ندخل أصلًا؟ لكنها كانت مقتنعة تمامًا، وقالت إنها ستضع كاميرا هناك لتعرف إن دخلنا.»

هزت رأسها متابعة: «كما كانت تغضب بجنون، نكون جالسين هنا مع بعض الأصدقاء، فتخرج فجأة وتبدأ في الصراخ علينا بأعلى صوتها.»

أضافت سينثيا: «لا تنسي كم استدعت لنا الشرطة مرارًا. كانت تظن أننا نحدث ضجيج، وبدلًا من أن تطرق بابنا وتطلب خفض الموسيقى، كانت تهاتف الشرطة وتقدم شكوى إزعاج. كدتُ أصاب بنوبة قلبية حين ظهر رجال الشرطة عند بابنا.. وقد تكرر ذلك أكثر من مرة!»

قالت إيلي: «أو تشتكينا لمدير البناية.»

اقشعر بدن سينثيا، «أوه، وكادت تتسبب في طردي من عملي كذلك؛ فقد هاتفت مديري وأخبرته أني أسرق الأدوات المكتبية.»

ابتسمت إيلي بخبث: «حسنًا، لقد كنتِ تسرقينها بالفعل.»

«نعم، لكن لم يكن عليها الوشاية بي!» ضربت سينثيا بقبضتها على طاولة القهوة. «مَن يفعل ذلك حقًا؟ واجهتها بالأمر فقالت ببرود: "السرقة خطأ، وأنتِ تستحقين أن تُضبطي".»

«مونيكا المجنونة.»

«أجل، مونيكا المجنونة.» وفجأة اتسعت عينا سينثيا: «وماذا عن تلك الرائحة؟»

شهقت إيلي: «صحيح! لقد نسيتُ ذلك تمامًا!» ثم التفتت إليّ قائلة: «إليكِ أكثر الأمور رعبًا، كانت تواعد شابًا لبضعة أشهر، وكانت علاقتهما مضطربة جدًا، كانا يتشاجران باستمرار، وصراخهما لا ينقطع، وكنا نسمع كل شيء عبر الجدران. وفجأة، في أحد الأيام، وقع شجار عنيف بينهما، وسمعنا صوت ارتطام قوي ثم توقف الشجار فجأة.»

تابعت سينثيا: «وبعد ذلك، خلال الأسبوع التالي، بدأنا نلاحظ رائحة كريهة تنبعث من غرفتها. رائحة شنيعة كأن شيئًا يتعفن بالداخل. كنتُ موقنة أنها قتلت الرجل وتركت جثته تتعفن في غرفتها.»

«لم تقتله.»

«بل قتلته!»

لو كنتُ طرفًا محايدًا يسمع هذه الحكاية، لقلتُ إنهما تبالغان، لكني بما أعرفه الآن عن مونيكا، أراهن أنها قتلت ذلك المسكين، ولعله الآن يقبع في قاع نهر هودسون.

قالت سينثيا: «حاولنا البحث عنه في الصحف، لكنا لم نكن نعرف اسمه.. لذا لم نتمكن من اثبات شيء. لكني واثقة أنها قتلته.»

قلبت إيلي عينيها: «كانت مختلة لكنها لم تكن قاتلة.»

«حسنًا، وماذا عن ذلك الوتد الذي وجدناه تحت سريرها؟»

التفتت سينثيا إليّ ثانية: «بعد أن انتقلت، وجدتُ يد مكنسة كانت قد نحتتها على شكل وتد مخبأة تحت السرير. أقسم لكِ أنها كانت تخطط لغرزه في صدرينا. نحن محظوظتان لأننا ما زلنا على قيد الحياة.»

عضضتُ شفتي محاوِلة تقدير إن كان هذا كافيًا. نعم، هذه الحكايات تُظهرها بمظهر المختلة، لكنه ليس دليلًا قاطعًا. لا أدري إن كانت شهادة هاتين الفتاتين المستهترتين كافية لإقناع سام بأي شيء، وهذا هو الهدف من وجودي هنا، أن أكسبه في صفي.

قالت سينثيا: «آه، والأسوأ من ذلك كله كانت والدة مونيكا. يا إلهي، تلك المرأة كانت مريبة جدًا، وكانت هنا طوال الوقت تقريبًا.»

وافقتها إيلي: «أجل، كانت الأسوأ! سينثيا، هل أخبرتكِ عن تلك الليلة التي خرجتُ فيها من غرفتي لأشرب الماء، فوجدتُ والدة مونيكا.. واقفة هكذا أمام بابي مباشرة. كانت الساعة الثانية صباحًا!»

قالت سينثيا: «لكنها كانت طباخة بارعة، ألم تذوقي البراونيز التي تصنعها؟»

«أبدًا! لن آكل شيئ طهته تلك المرأة! لعلها دسته بالسيانيد!»

بدأ رأسي يدور. لقد تحدثتُ عبر الهاتف مع امرأة تُدعى جين جونسون ادعت أنها والدة مونيكا، لكني أرتاب الآن في أن جين جونسون لم تكن إلا شخصية وهمية كتشيلسي ويليامز. سألتُ: «إذًا والدة مونيكا لم تكن تعيش في إنديانا؟»

ضحكت إيلي: «ليتها كانت كذلك! مونيكا أصلًا من بوسطن، لكن عائلتها انتقلت للمدينة ولديهم منزل في الأحياء الراقية. أو على الأقل كان لديهم آنذاك.»

والدة مونيكا، والدتها الحقيقية، وليست تلك المزيفة التي كلمتها العام الماضي والتي تقاضت على الأرجح مائتي دولار. أراهن أن ما ستقوله والدتها الحقيقية سيكون أكثر إقناعًا بكثير من كلام هاتين الفتاتين.

قلتُ: «هل لديكِ رقم هاتف والديها؟»

أجـابـت سـينثيا: «لا،» هـبط قـلبي، لـكنها أردفـت: «لـكن لـدي عنوانهما. كنا نضطر إلى إعادة توجيه بريد مونيكا إليهما لفترة»

حسنًا، هذا سيفي بالغرض.

الفصل الرابع والثلاثون

ظل هاتفي يهتز داخل حقيبتي طوال الطريق إلى شقة سينثيا هولواي، لكني خشيتُ النظر إليه، فقد تركتُ سام عالقًا في الزحام ومضيتُ دون أن أخبره بالسبب، ولا بد أنه الآن في حالة من الهلع. بعد خروجي من شقة سينثيا، تجرأتُ أخيرًا على إخراج الهاتف، وكما توقعتُ، وجدتُ ست مكالمات فائتة من زوجي، بالإضافة إلى رسائل نصية ملأت الشاشة:

«أين أنتِ؟»

«آبي، أين أنتِ؟!»

«هل يمكنكِ إخباري بمكانكِ؟»

«لقد قفزتِ من السيارة وهي تسير، طمئنيني أنكِ بخير على الأقل!»

بحق السماء! لم تكن السيارة تسير، بل كنا متوقفين عند الإشارة.

فتحتُ رقم سام على الشاشة، وكنتُ أتوق للضغط على زر الاتصال، لكن شيئًا ما أوقفني. فلو أخبرتُه بما أنوي فعله لظن أنني فقدتُ صوابي، تمامًا كما فعل حين اتهمتُ مونيكا بدس

المخدر في قهوتي. سيقول لي: «وماذا لو كان لمونيكا رفيقتي سكن لا تحبانها؟» ولن يكون مخطئ تمامًا في قوله.

لهذا السبب، عليّ أن جمع المزيد من المعلومات. قد تكون عدم رغبة مونيكا في حديثي مع والديها إشارة جيدة على أن لديهما تفاصيل مثيرة قد تكشف لي الحقيقة. أشعر أن الزوجين جونسون هما مفتاح كل شيء.

يعيش آل جونسون في أقصى الشمال من المدينة، مما يعني حاجتي لاستقلال سيارة أجرة أخرى. لم أستطع الاتصال بهما وابلاغهما بقدومي، ولعل ذلك أفضل، فأنا أشك أنهما سيرحبان بظهوري فجأة لأخبرهما أني أظن أن ابنتهما قاتلة، خصوصًا وقد بدا من حديث سينثيا وإيلي أن هذا الطبع يسري في العائلة.

كانت بناية آل جونسون متواضعة، يزين مدخلها مظلة خضراء، ويقف حارس عند الباب. ردهة البناية مرصعة بطاولات رخامية وأرائك حمراء فاقعة تفتقر للذوق. عدّلتُ قميصي الذي ارتديتُه صباحًا لزيارة فريش، ورسمتُ على وجهي أفضل ابتساماتي المهنية.

قلتُ للحارس بصوت واثق كأني أخاطب أحد عملائنا: «عذرًا، أبحث عن آل جونسون.»

يبدو أن مظهري يوحي بالأهمية، لأن الحارس لم يرتب في أمري قط، وقال: «إنهم يسكنون في الشقة 6 ب، هل لي أن أعرف اسمكِ؟»

أجبتُ: «أبيغيل أدلر، من فضلك أخبرهم أنني مديرة ابنتهم في العمل.»

بينما كنت في سيارة الاجرة، أخذت أفكر عما يجب قوله، واستقر رأيي في النهاية على التمسك بشيء يقارب الحقيقة. لا أعلم مقدار ما تُخبر والديها به، لكن إن صدق قول رفيقاتها السابقات، فهي مقربة جدًا من أمها. وأعتقد أن معظم الناس سيسمحون لمديرة ابنتهم بالصعود، خاصة إن كانت تبدو وقورة. حبستُ أنفاسي بينما يتصل الحارس بالشقة. حتى لو كانت قصتي محكمة، فنحن في منتصف الظهيرة، وليس بالضرورة أن يكون والدا مونيكا في المنزل، وقد يكون كل هذا بلا جدوى.

لكن لحسن الحظ، أجاب أحدهم، وكرر الحارس ما أخبرتُه به، ثم أنصت لحظة وابتسم مشيرًا لي بالصعود.

هذه المرة يوجد مِصعد على الأقل، لكن معدتي كانت تتقلب طوال الطريق. لا أدري ما الذي ينتظرني، قد يكون والدا مونيكا شخصين طبيعيين تمامًا، وقد يكونان مختليّن. بل ربما أجد

السيدة جونسون تفتح الباب ملوحة بسكين في وجهي! هذا مستبعد، ولكن مَن يدري؟

لذا لم أكن أشعر بالارتياح حين طرقتُ باب الشقة 6 ب، شعرت بالغثيان وكانت ركبتاي ترتجفان.

فتحت السيدة جونسون الباب. كانت أطول مني بقليل، شعرها البني مشدود للخلف في شكل ذيل حصان بسيط، وترتدي نظارة طبية بلا إطار. تبدو في الخمسينيات من عمرها بالنظر إلى خطوط وجهها.

وكانت تبدو... طبيعية جدًا.

حين رأتني، علت وجهها مسحة من الإعياء، ونظرت إليّ من فوق نظارتها قائلة: «معذرة، لم ألتقط اسمكِ؟»

أجبتُ: «أبيغيل أدلر، تعمل مونيكا معي في وكالة إعلانات.»

مدت يدها وصافحتني بقوة قائلة: «لويز جونسون.»

تمامًا كما توقعت، جين جونسون لم تكن إلا وهماً آخر.

تنهدت السيدة جونسون وسألت: إذن، ماذا فعلت مونيكا هذه المرة؟»

فاجأني قولها، فقد ظننتُ أنها ستكون أكثر دفاعًا عن ابنتها.

سألتُها: «هل يمكنني الدخول؟»

تنهدت ثانية وأشارت لي بالدخول. كانت الشقة صغيرة متواضعة؛ فغرفة المعيشة أصغر من غرفتنا، والأثاث بدا متهالكًا. جلستُ على أريكة بالية، وجلست السيدة جونسون على بعد متر مني، ولم تعرض عليّ شرابًا.

نزعت نظارتها وفركت عينيها قالت: «كانت الأمور تسير على خير ما يرام. لم أسمع عن مونيكا منذ أكثر من عام، وظننتُ.. لعل تلك المرحلة السيئة قد انتهت. لكني أعلم في قرارة نفسي أنها مسألة وقت ليس إلا. فالناس لا يتغيرون.»

المرحلة السيئة؟

لم أجد ما أرد به على ذلك.

قالت السيدة جونسون: «أخبريني إذًا، ماذا فعلتْ؟ وماذا تحتاجين؟»

ترددتُ في قدر ما يجب كشفه، فمن الواضح أنها لا تملك أدنى فكرة عن الاتفاق المبرم بيننا. سألتُها: «متى كانت آخر مرة تحدثتِ معها؟»

هزت رأسها قائلة: «كما أخبرتُكِ، منذ أكثر من عام. نحن الآن لا نتدخل إلا عند الضرورة، ليس كما كان الحال حين كانت أصغر سنًا.»

قلتُ محاوِلة جس النبض: «وقعت بعض السرقات في العمل، ونحاول الوصول للحقيقة.»

آثرتُ عدم ذكر القتل كي لا أثير ذعرها.

تنهدت وقالت: «دائمًا ما تكون مونيكا هي السبب. عذرًا، لم يكن عليّ قول ذلك، ولكن يصل المرء لمرحلة ينفد فيها صبره من كل شيء. منذ كانت مراهقة و...»

توقفت السيدة جونسون فجأة، مدركةً على الأرجح أن من مصلحة ابنتها ألا تفيض في الحديث.

قلتُ بنبرتي المهنية الرصينة: «سيدة جونسون، أنا أحب مونيكا، وهي موظفة ممتازة، أريد مساعدتها. وسيساعدني أن أعرف ما تمر به، لأن.. الحقيقة ستظهر قريبًا على أي حال.»

حبستُ أنفاسي لأرى إن كانت ستصدق أكاذيبي.

ضيقت عينيها وشخرت ساخرة: «موظفة ممتازة؟ يصعب تصديق ذلك.»

«هذا صحيح، فهي ماهرة ومنظمة و...»

قاطعتني بصوت مرتفع وعيناها البنيتان متسعتان: «نعم، ولكنها مختلة!» وبدت هي الأخرى في تلك اللحظة وكأن بها مسًا من الجنون. «أعتذر إن كان هذا يؤذي مونيكا، ولكن من مصلحتكِ أن تصرفيها من العمل قبل أن تلحق مزيدًا من الضرر. خذيها

نصيحة من شخص خبير بالأمر.»
سألتُها بحذر: «ماذا تقصدين؟»
تهدلت كتفا السيدة جونسون وقالت: «الأمر ليس خطأها بالكامل، عليكِ أن تتفهمي ذلك. أعتقد أنها تحاول فعل الصواب.. أحيانًا على الأقل. ولكنها.. حسنًا، لقد اختلف الأطباء النفسيون حول تشخيصها قليلاً..»
أطباء نفسيون؟
تابعت: «أجمع أغلبهم على أنها تعاني من اضطراب الشخصية الحدية الحاد.»
فعر فاهي بذهول. لقد فحصنا سجلات مونيكا الطبية بدقة متناهية، فكيف فاتنا وجود اضطراب نفسي بهذا الحجم؟
سألتُها: «اضطراب الشخصية الحدية؟»
أومأت برأسها وقالت: «مثل شخصية غلين كلوز في فيلم جاذبية قاتلة؟ ذلك الفيلم الذي قتلت فيه الأرنب؟»
رائع!
اخترتُ مريضة نفسية قاتلة أرانب لتكون أم طفلي.
تابعت الأم: «جرب الأطباء أنواع هائلة من الأدوية لمحاولة مساعدتها.»

أدوية؟ بصيغة الجمع؟

«لكن لم يفلح أي منها. أحيانًا كانت تتحسن قليلًا، لكن ليس بالقدر الذي يُحدث فرقًا.»

تذكرتُ حين كنا في العيادة، وسألتها الدكتورة وونغ إن كانت تتناول أي أدوية، فأجابت بالنفي. كان هذا منطقي فهي حامل.

قالت السيدة جونسون: «لكن ما يجعلها خطيرة هو ذكاؤها، فمعدل ذكائها في الاختبارات يضاهي مستوى العباقرة. هل كنتِ تعلمين ذلك؟»

«أنا.. لستُ متفاجئة.»

ولأول مرة ألمح في صوتها مسحة من الفخر، قالت : «عبقرية في الرياضيات. أراهن أنها لو استطاعت التركيز، لربما نالت جائزة نوبل. ولكن.. هذا أمر مستبعد الآن.»

لا توجد جائزة نوبل في الرياضيات. وهي حقيقة عرفتها بفضل سام. لكن بدلاً منها توجد ميدالية فيلدز التي تُمنح كل أربع سنوات، ونادرًا ما ينالها رياضي تجاوز الأربعين.

كان سام واقعي بشأن فرصه في نيلها، خاصة وقد بلغ الثامنة والثلاثين، وإن كان يعترف بأنه لم يكن منافس حقيقي قط. كان يمازحني أحيانًا بقوله أن ميدالية فيلدز قد صارت حلمًا مستحيلًا.

تسارعت دقات قلبي في صدري وقلتُ: «ذكرتِ أنها خطيرة.. خطيرة بأي معنى؟ فهي تبدو طبيعية تمامًا.»

أطلقت ضحكة مريرة وقالت: «أوه، هي بارعة في تمثيل هذا الدور. لكن لا تنخدعي؛ فقد بدأتُ أنا وزوجي نغلق أبواب غرفنا بالمفتاح ليلًا، إن كنتِ تفهمين قصدي.»

حدقتُ فيها وسألتُ: «أحقًا فعلتما ذلك؟»

«أوه، نعم.» شردت بنظراتها بعيدًا وتابعت: «كنتُ أعلم أن لديها مشكلات، لكني لم أظن قط أنها خطرة حتى سنتها الثانية في المدرسة الثانوية. كانت هي وصديقتها المقربة ساندي تتشاجران على الفتى نفسه. تفاهات، كما تعلمين؟ لكن الفتيات في ذلك العمر ينسقن وراء مشاعرهن، فوقعت مشاجرة بينهما، ثم...»

خالجني شعور بالانقباض في صدري. لم أدري إن كنتُ أريد سماع نهاية القصة، ولكن كيف لي ألا أسمعها؟

«ثم ماذا؟»

أغمضت عينيها لحظة وقالت: «اختفت ساندي.»

ضغطتُ على ركبتي بشدة حتى آلمتني أصابعي. لا أصدق أني دعوتُ هذه المجنونة إلى حياتي. كيف كنتُ غبية إلى هذا الحد؟

«ربما هربت فحسب؟ الفتيات يفعلن ذلك.»

غامت نظرات السيدة جونسون وهي تحدق في الفراغ وقالت: «لا، لم تهرب. وجدوها طافية في نهر تشارلز بعد أسبوع.»

وضعتُ يدي على فمي، وشعرت أنني على وشك التقيؤ. «سيدة جونسون، هل يمكنكِ.. هل يمكنكِ إخباري أين الحمام؟»

أشارت بإصبع طويلة نحيلة نحو الرواق، فأمسكتُ حقيبتي وركضت. وصلتُ إلى المرحاض في الوقت المناسب، لكني لم أتقيأ سوى زفرات جافة، فقد فوّت الغداء من شدة القلق قبل موعدي مع فريش، كانت معدتي خاوية بالفعل.

دار رأسي وأنا أعتدل لأنظر في المرآة. كان وجهي شاحب كالموت، وشعري الأسود مبعثر. خللتُ شعري بأصابعي ورششتُ الماء على وجهي، لكن بلا جدوى. فكرتُ في إصلاح مكياجي ثم استبعدتُ الفكرة، فما الجدوى؟

حين خرجتُ من الحمام، كانت السيدة جونسون تعبث بهاتفها. رفعت رأسها حين رأتني، كان تعبير وجهها جامدًا، قالت: «لقد فتحتُ مقالًا عن ساندي إن أردتِ رؤيته.»

رفعتُ يدي وقلتُ: «لا، لا داعي.»

رفعت حاجبيها وقالت: «هل أنتِ بخير يا سيدة أدلر؟»

أومأت برأسي محاولةً رسم ابتسامة باهتة وأنا أجلس ثانية على الأريكة: «نعم، بالطبع.»

هزت كتفيها ووضعت الهاتف على الطاولة وقالت: «كانت الجريمة حدثًا كبيرًا بالطبع. واعتقد الجميع أن لمونيكا صلة بالأمر، وإن لم يستطيعوا إثبات ذلك قط. لهذا السبب غادرنا بوسطن وانتقلنا إلى هنا.»

سرت قشعريرة في جسدي. لقد قتلت مونيكا شخص وهي مراهقة وأفلتت من العقاب. مما يعني أنها ليست قاتلة فحسب، بل بارعة كذلك. فإن كانت بارعة وهي مراهقة، فلا بد أنها أصبحت محترفة الآن.

اتكأت السيدة جونسون على الأريكة وقالت: «أنا آسفة، لم يكن يجدر بي إخباركِ بكل هذا. أعلم أن من المفترض أن أدافع عن ابنتي. لكني كنتُ أذهب لمعالجة نفسية أنا أيضًا، ولم يكن حديثنا يدور إلا عن مونيكا. مونيكا، مونيكا، مونيكا...»

هذا ما كنت سأتحدث عنه أيضًا لو كان لدي معالجة نفسية.

قلتُ: «سيدة جونسون، هل لي بسؤال؟»

أومأت وقالت: «بالطبع.»

«كيف انقطعت صلتك بمونيكا؟»

هزت رأسها وقالت: «تشاجارنا بسبب تلك العلاقة الغرامية. كان ذلك منذ ثلاث سنوات، وتدهورت الأمور منذ ذلك الحين.»

«هل كان لديها علاقة غرامية؟»

قلبت عينيها وقالت: «دخلت في علاقة طائشة مع أستاذ الرياضيات في جامعتها. أخبرتُها برأيي، لكنها لم ترد السماع.»
تسمرت مكاني عند سماع كلماتها: «أستاذ رياضيات؟»
أومأت وقالت: «أوه، نعم. كان عليكِ رؤية ذلك الرجل، كان جذابًا للغاية، لدرجة أني كدتُ لا ألومها. ولكنه كان أكبر منها بكثير، كما كان متزوج.»
«متزوج...؟» ابتلعتُ غصة في حلقي وسألتُ: «في أي جامعة درست مونيكا؟»
حين ذكرت السيدة جونسون اسم الجامعة التي يدرّس فيها زوجي، شعرتُ كأنني تلقيتُ طعنة في أحشائي. لا.. لا.. لا يمكن أن يكون هو. مستحيل.
تابعت السيدة جونسون: «كان من الواضح أن الأستاذ يستغل فتاة صغيرة السن، لكن مونيكا لم تر الأمر كذلك. كانت واقعة في حبه تمامًا، وكانت تعتبر أي انتقاد له هجوم شخصي عليها.»
قبضتُ على تنورتي بيديّ المبللتين بالعرق وسألتُ: «ألا.. هل تذكرين اسمه؟»
قالت: «ستيف،» ثم قطبت جبينها تتذكر وقالت: «لا، ليس ستيف. سايمون؟ لا...»
قلتُ بصوت مرتجف: «سام؟»

فرقعت أصابعها وقالت: «صحيح! سام. هذا هو الاسم. لم أرها مفتونة برجل بهذا القدر من قبل. كانت تقول أنهما غارقين في الحب، هل تتخيلين؟»

لا يمكنني التظاهر بأنها تتحدث عن شخص غير زوجي. أستاذ رياضيات يدعى سام؟ لا يمكن أن تكون هذه مصادفة أبدًا.

سألتُ بصعوبة: «وهل.. هل تعرفين ما حدث بينهما؟»

هزت رأسها وقالت: «كما أخبرتك، ساءت علاقتنا بعد ذلك، ولا أملك أدنى فكرة عما حدث لاحقًا. ربما تكون قد تجاوزته حين لم تستطع إقناعه بترك زوجته. أو ربما تسببت في فصله، وهذا ما يستحقه.»

أو ربما...

ربما وجد الاثنان طريقة ليكونا معًا أخيرًا.

الفصل الخامس والثلاثون

سام ومونيكا على علاقة غرامية.
بحسب الحقائق التي كشفتها والدة مونيكا، هذه العلاقة مستمرة منذ ثلاث سنوات على الأقل. ثلاث سنوات وهو يتسلل من خلف ظهري، وهو أمر سهل مع جدول عمله المرن وساعات عملي الطويلة. وعلى الأرجح، كانت تلك الأريكة البالية في مكتبه بالجامعة، مكانًا مثاليًا للقاءاتهما السرية.
من ناحية، يبدو الأمر مستحيلًا، فسام كان سندي طوال الأعوام العشرة الماضية. لكن من ناحية أخرى، ثمة أجزاء من القصة أصبحت منطقية للغاية. فكثيرًا ما كانت طالبات جذابات يلقين بأنفسهن عليه. وهو ليس حجر، فمن الممكن أن يضعف في لحظة ما. حسنًا، الأمر غير مقبول بالطبع، لكنه ممكن. وبالتأكيد لم تكن نزوته مع مونيكا هي الأولى.
كانت أمي على حق. فهو وسيم أكثر مما ينبغي، ويا له من خطأ ارتكبتُه.

كنت أظن دائمًا أن سام يحبني لذاتي، بل كان يبدو مستاءً من ثرائي الفاحش، فلم يكن يسمح لي بدفع تكاليف أشياء يمكننا تحملها، مثل رسوم موقف السيارات. ومع ذلك، فقد أحب شقتنا الفاخرة التي لم يكن ليحلم بها لولا مالي. وخلاصة القول، لم يكن يحبني لشخصي فحسب.

وإن كان يتوق لطفل حقًا، فلا بد أنه كان يشعر بالإحباط الشديد حين يرى الفتيات الشابات في قاعات دراسته، لعلمه أن أيًا منهن قادرة على منحه الطفل الذي عجزتُ أنا عن إعطائه إياه. أراهن أن مونيكا لفتت نظره لهذه النقطة حين التقيا أول مرة، وحينها شرعا في حياكة هذه المؤامرة الشيطانية.

جانيل، تلك الفتاة التي وعدتنا بطفلها، لم تبدُ قط من النوع الذي يتراجع. كانت متحمسة جدًا للفكرة. لكن حين أمعن النظر الآن، أكتشف أني لم أتحدث إليها أبدًا. فسام هو من أخبرني بتراجعها، وأنا صدقته، لأني وثقتُ به.

وبالطبع، كان سام من أجرى التحري عن مونيكا، أو هكذا ادعى. وهو من أعطاني أرقام تشيلسي ووالدة مونيكا، وزعم أنه فحص كل شيء. نعم، ياللسخرية!

أجزم أن سام ومونيكا استمتعا كثيرًا وهما يخططان لإبعادي عن مـواعـيد طـبيبة الـنساء. فـقد كـان بـمقدور أي مـنهم الـتلاعـب بالمواعيد في تقويمي بسهولة. أما دس المخدرات في طعامي، فربما كان جهد مشترك. وبالنسبة لبلورات الميث التي وجدها سام في درجي... فقد حُلّ لغزها الآن.

وفتاحة الرسائل التي قُتلت بها دينيس... كانت هدية من سام فـي ذكـرى زواجـنا. ظـننتُها حـينها هـديـة رقـيقة ومـدروسـة، لـكن تبين أنه كان يمدني بسلاح الجريمة.

والآن يلح عليّ لقبول صفقة الإقرار بالذنب. مَن يدري ماذا قال لفريش ليجعله ينصحني بهذا المسلك؟ كل ما يريده هو إزاحتي من طريقه بأقل التكاليف، ليخلو له الجو أخيرًا مع مونيكا.

لكن هناك مشكلة واحدة.

لـو كـان سـام فـعل كـل هـذا، فـهو لـيس مجـرد وغـد، ولـيس مجـرد زوج خـائـن، بـل هـو مـريـض نفسـي بـامـتياز. أعـني، كـان بـإمـكانـه طلاقي إن أراد. صحيح أنه كان سيفقد مالي، لكنه ليس عـاطلًا بلا عمل، بل يمكنه إعالة نفسه بعد الطلاق. وحـتى لـو لم يـقتل ديـنيس بـنفسه، فـإن تـدبـير تـهمة قـتل لـي هـو فـعل شـخص مضطرب للغاية.

أعرف سام منذ أكثر من عشر سنوات. حتى الأمس كنت سأقول إنني أعرفه أكثر من أي إنسان آخر. لم أتخيل يومًا أنه قادر على فعل شيء كهذا.

ولكن مرة أخرى، لا يمكن الاستهانة بتأثير امرأة شريرة، وحساب بنكي ضخم.

والجنس أيضًا، فله تأثير كبير لا يُنكر.

عدتُ من شقة آل جونسون إلى منزلي سيرًا على الأقدام، لأصفي ذهني. وحين وصلتُ، كان أول ما فعلتُه هو تفتيش أدراج سام وخزانة ملابسه. لا أدري عما أبحث بالتحديد. آثار أحمر شفاه لا يخصني؟ رسائل حب من مونيكا؟ عطرها برائحة اللافندر عالق في ملابسه الداخلية؟ لا أعلم. ومهما يكن ما بحثتُ عنه، لم أجده. فكل ما وجدته قمصان وسراويل تفوح منها رائحة منظف الغسيل وشيء من عطر ما بعد الحلاقة الخاص به.

بعد انتهاء تفتيش الغرفة، ارتميتُ على الأريكة وانفجرتُ في البكاء. نعم، أبكي من جديد. لا أصدق أن زوجي يفعل بي هذا. أنا أحبه، وظننتُ أنه يحبني. حين أمسك بيدي أمام القاضي، ونظر في عينيّ وقال إنه سيحبني حتى يفرقنا الموت، هل كان ذلك كله كذبًا؟ أتذكر كيف قالها. بجدية كاملة. كان دائم الجدية

في علاقتنا. كأن الكلمات، ما إن تخرج منه، تصبح عهدًا من أعماق روحه.

سحقاً!

أمسكتُ بهاتفي، وفتحتُ قائمة المفضلات لأجد اسم سام في مقدمتها. وضعتُه هناك بعد موعدنا الثالث. لكني لا أستطيع الاتصال به الآن. لستُ مستعدة لمواجهته بعد. بدلًا من ذلك، ضغطتُ على اسم شيلي.

رن الهاتف ثلاث مرات وكنتُ شبه متأكدة أنها لن تجيب، فهي تتجنبني منذ مقتل دينيس، ولا تفسير لذلك سوى أنها تظنني القاتلة. لكن فجأة سمعتُ صوتها. كان هادئًا متحفظًا، لكنها أجابت على الأقل.

قالت شيلي بنبرة حذرة: «أهلاً آبي، كيف حالكِ؟»

رغماً عني، امتلأت عيناي بالدموع ثانية: «شيلي، أرجوكِ كفي عن معاملتي كأني قاتلة.»

ساد الصمت. شعرتُ بانقباض في معدتي وأنا أنتظر ردها. فلا أظنني أحتمل نبذًا آخر من شخص أهتم لأمره.

تنهدت أخيرًا وقالت: «أنا آسفة يا آبي، ولكن.. عليكِ الاعتراف بأن الموقف يبدو سيئًا.»

«أتظنين أني لا أعرف ذلك؟»

«كنتِ تكرهين دينيس أكثر من أي شخص آخر...»

قلتُ بصدق: «لم أكن أكرهها، كل ما في الأمر أننا اختلفنا، لكني لم أكرهها.» توقفتُ قليلًا ثم تابعتُ: «وعلى أي حال، هناك فرق شاسع بين كره شخص وطعنه بفتاحة رسائل.»

أطلقت شيلي ضحكة مكتومة وقالت: «أجل، أحسب أن هذا صحيح.»

قلتُ لها: «اسمعي، هل يمكننا اللقاء لنحتسي القهوة؟ أحتاج بشدة للحديث معكِ.»

«بالتأكيد يا آبي، أخبريني متى وأين.»

استغرق الأمر نصف ساعة لأقص على شيلي القصة كاملة، وحين انتهيتُ بزيارتي لشقة سينثيا، كان فمها مفتوحًا من الدهشة. لا أعلم إن كانت مصدومة أم تظنني مجنونة، وآمل أن يكون الخيار الأول.

لهثت قائلة: «يا للهول! هذا...»

أطرقتُ برأسي أحدق في كوب القهوة: «أعلم. كنتِ دائمًا تقولين إن سام مثالي أكثر مما ينبغي. يبدو أنكِ كنتِ على حق.»

قالت بتفكير: «حسنًا، لم يكن مثالي تمامًا. كان لطيف، ولكن...»

قطبتُ جبيني: «ولكن ماذا؟»

قالت وهي ترشف من كوبها: «كان مملًا أحيانًا، أليس كذلك؟ أحيانًا تسألينه سؤال بسيط فيحوّله إلى مسألة رياضية. مثل يوم المثلجات حين قلت له ألا يملأ القمع أكثر من اللازم كي لا يسقط، فبدأ يحسب الارتفاع الذي يجعله ينقلب.

ابتسمتُ رغمًا عني، فقد استشاطت شيلي من الغضب يومها، عندما أخرج قلمه وبدأ في إجراء الحسابات على منديل ورقي.

قلتُ لها: «ربما تحب مونيكا ذلك.»

«ونكات الرياضيات الثقيلة؟ يا للقرف!»

«تحب تلك أيضًا» ضغطتُ على كوب القهوة بشدة حتى أحرقت يدي. مونيكا مثالية لسام في جوانب كثيرة، لدرجة أني لا ألومه على الوقوع في حبها.

لا، هذا ليس صحيحًا، بل ألومه. الخائن اللعين!

حركتُ القهوة بملعقتي بفتور وسألتُ: «إذًا هل تظنين أن الأمر حقيقي؟ بشأن سام ومونيكا؟»

ترددت شيلي: «أتريدين الصدق؟»

«بالطبع الصدق!»

«نعم، أظن ذلك.»

هبط قلبي. إن كانت شيلي، التي تعرف سام جيدًا، ترى ذلك ممكنًا... فهذه علامة سيئة.

سألتُها: «حقًا؟»

تنهدت وقالت: «لا أدري، كان هناك شيء فيه لم أستطع تحديده تمامًا...»

«لم تقولي هذا من قبل!»

«لا أدري، ظننتُ أن الأمر مجرد أوهام في رأسي.»

اهتز هاتفي داخل حقيبتي، فأخرجتُه لأجد رسالة نصية من سام:

«أين أنتِ؟ أعتقد أن علينا التحدث.»

رفعتُ نظري لأجد شيلي قد رفعت حاجبيها متسائلة: «أهو سام؟»

أومأت برأسي: «يريد أن نتحدث.»

رشفت من قهوتها وهي ترمقني من فوق حافة الكوب قائلة: «هل أنتِ واثقة من أن البقاء معه في الشقة آمن؟»

«ماذا تقصدين؟»

قالت: «أقصد أنه إن كان قد تآمر مع مونيكا لقتل دينيس، فهو قادر على فعل أي شيء. ماذا لو كان هو ومونيكا في الشقة الآن، ومعهما سكين وشريط لاصق؟»

«يا إلهي، لن يفعل ذلك!»

«ألن يفعل؟»

نظرتُ إلى الرسالة النصية من زوجي، ولم أعد أعرف بمَ أفكر. ترددتُ قبل أن أكتب له الرد:

«سأتأخر الليلة، لنتحدث غدًا.»

الفصل السادس والثلاثون

انتهى بنا المطاف أنا وشيلي، إلى السهر حتى وقت متأخر جدًا. فبعد القهوة ذهبنا إلى مطعم لتناول العشاء، ثم إلى حانة لنشرب بعض الكؤوس. وفي الواقع، كانت أكثر من مجرد كؤوس قليلة إن أردتُ الصدق. كنتُ أحدث نفسي بضرورة التوقف، وبأن صفاء الذهن الآن أهم من أي وقت مضى، ولكن الكحول كان الملاذ الوحيد لتخدير ألم خيانة سام. وحين وصلت المنزل متعثرة في خطواتي، كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وأضواء الشقة كلها مطفأة.

تسللتُ إلى غرفة النوم المظلمة، وأنا أتمتم بسباب خافت حين تعثرتُ بأحد حذاءي سام الذي تركه وسط الغرفة. كان دائمًا يترك أحذيته في أماكن يسهل التعثر بها، وكان ذلك يدفعني للجنون. بربك، ما مدى صعوبة قذف حذائك في الخزانة؟

تذكرتُ حين كانت تلك أتفه مشكلاتنا.

كان سام غارقًا في النوم، يرتدي قميص داخلي وسروال قصير، وقد أزاح الغطاء بعيدًا عنه. كعادته، فهو يبدأ ليلته دائمًا بغطاءين، ثم لا تمر ساعة حتى ينتهي به المطاف بركلهم والبقاء بلا غطاء.

كانت نظارته موضوعة على المنضدة بجانب السرير، ويتنفس بعمق مع شخير خفيف. على ذقنه ظل لحية خفيفة، وحين أتأمل ملامحه، يصعب عليّ أن ألوم مونيكا إن كانت قد وقعت في حبه. لم أستطع مقاومته أنا أيضًا حين التقينا أول مرة. وما زلت لا أستطيع. حتى الآن، بعد أن عرفت الحقيقة.

وقعت عيناي على هاتفه المحمول المتصل بالشاحن. كان قد أخبرني بكلمة المرور ولا أظنه غيرها، لذا يفترض أن أتمكن من الدخول إلى هاتفه، وحينها سيمكنني معرفة ما كان يدور بينه وبين مونيكا طوال هذا الوقت. أعلم أني قلتُ سابقًا إني لا أريد انتهاك خصوصيته، ولكن كان ذلك قبل أن يصبح الأمر متعلقًا بتهم جريمة قتل.

لا بد لي من معرفة الحقيقة.

خطفتُ الهاتف من الطاولة قبل أن أغير رأيي، وأدخلتُ الأرقام الستة التي تشكل رمز قفل هاتف سام، ولدهشتي، فُتح الهاتف. ضغطتُ سريعًا على أيقونة الرسائل النصية، فظهر اسم مونيكا في الصدارة. لم يكبد نفسه عناء إخفائه. ضغطتُ على سلسلة رسائلهما، وقرأتُ الأسطر الأخيرة من حديثهما المتبادل:

سام: «لا أعرف ما العمل مع آبي. الوضع سيء.»

مونيكا: «أعرف.»

سام: «لن تعود للمنزل الليلة، لذا ألغينا تلك الخطة.»
خطة؟ أي خطة؟ ماذا كان يخطط لو أني عدتُ الليلة كما يفترض؟ هل للأمر صلة بالشريط اللاصق؟
«ماذا تفعلين؟»
كدتُ أسقط الهاتف من يدي. استيقظ سام وكان يرمقني عبر الظلام، وفي ضوء شاشة هاتفه، استطعتُ تمييز عينيه البنيتين. بدأت دقات قلبي تتسارع في صدري.
قلتُ: «آه...»
قطب جبينه وسأل: «هل هذا هاتفي؟»
«نعم...»
اعتدل في جلسته وهو يرمش بضع مرات، ثم أعاد وضع نظارته قائلًا: «هل تتجسسين على هاتفي؟»
لا جدوى من الإنكار؛ فالأمر واضح. كان ينبغي على الأقل أن آخذ ذلك الهاتف اللعين إلى الغرفة الأخرى بدلًا من النظر فيه على بعد قدم واحدة منه. ما خطبي حقاً؟ سأكون أسوأ جاسوسة في التاريخ.
قلتُ: «أظن.. أظن ذلك.»
سأل بصوت بدت عليه حيرة حقيقية: «لماذا؟»

هو لا يدري ما أعرفه، ويظن أني لا أزال غارقة في جهلي. ترددتُ، فلا أريد كشف أوراقي قبل الحصول على مزيد من المعلومات، لكني لم أتمالك نفسي في النهاية وقلتُ: «هل أنت على علاقة غرامية بمونيكا؟»

اتسعت عيناه بذهول، وظل فمه مفتوحًا للحظة، ثم نهض من الفراش وانتزع الهاتف من يدي. وقف هناك للحظة، وشعرتُ فجأة بمدى ضخامة جسده مقارنة بي، لم أكن لأصف سام بالرجل الضخم، ولكنه يقارب الستة أقدام طولاً وعضلات ذراعيه مشدودة من ساعات التمرين في الصالة الرياضية. وبينما كان يقف فوقي، أظلمت عيناه، فتراجعت خطوة للخلف.

لو أراد، لتمكن من قذفي عبر الغرفة كدمية من القماش، ولفعل بي ما يشاء.

لكنه بدلًا من ذلك، انتزع وسادته من فوق السرير واندفع مارًا بجانبي.

سألتُه: «ماذا تفعل؟»

قال: «سأنام على الأريكة، لا أريد مشاركتكِ الفراش الآن.»

تمتمتُ: «أوه.»

حين وصل إلى مدخل الغرفة، تردد والتفت لينظر إليّ قائلاً: «لم أعد أعرفكِ يا آبي.»

قلتُ له: «وكذلك أنا.»

ضيق عينيه وقال: «وفوق ذلك، تفوح منكِ رائحة الويسكي.»

حسنًا، كان محقًا.

قال وهو يصفق الباب خلفه بعنف: «طابت ليلتكِ.»

إن لم يكن على علاقة غرامية من قبل، فأظن أني قد دفعتُه إليها الآن.

لكن على الأقل لم يربطني بشريط لاصق إلى الكرسي.

الفصل السابع والثلاثون

ندمت أشد الندم على إسرافي في الشراب الليلة الماضية حين استيقظتُ في الصباح التالي بصداع نابض، وفم جاف خشن كأنه ورقة صنفرة. تقلبتُ في فراشي فأبصرتُ المكان الفارغ بجواري، إنها المرة الأولى منذ زواجنا التي يتركني فيها سام لينام على الأريكة. وينتابني شعور سيئ بأنها لن تكون الأخيرة.

بينما لا زلت مستلقية، رنّ جرس الباب في أرجاء الشقة. فركتُ عينيّ وأنا أتوجع من الضجيج؛ لا أتخيل مَن قد يزورنا في صباح يوم عمل، فأنا لا أنتظر أحد على الإطلاق.

يا إلهي، هل هي الشرطة جاءت لاعتقالي؟

خفق قلبي بعنف في صدري وأنا أندفع نحو الباب حافية القدمين. انحنيتُ لأنظر عبر العين السحرية، وكدتُ أفقد الوعي من فرط الارتياح، حين رأيتُ مساعدتي القديمة جيرتي تقف هناك. كانت تمسك بيدها حقيبة تسوق، وبالأخرى عكازها، وتنظر إلى الباب بابتسامةٍ عريضة.

فتحتُ الباب على مصراعيه فتهلل وجهها بالسرور، حسنًا... إلى أن دققت النظر فيّ عن قرب. أزعجني اتساع عينيها وتراجعها خطوة إلى الوراء. ليتني نظرت في المرآة قبل أن أندفع إلى هنا.

شهقت قائلة: «آبي! تبدين وكأنكِ لم تنامي منذ أسابيع.»
لا، بل هو مجرد أثر الخمر، لكني لم أقل ذلك، بل اكتفيتُ بقول: «أجل، لقد كانت الأيام الأخيرة عصيبة.»
ردت وهي ترفع حقيبة التسوق: «لهذا جئت! بدوتِ حزينة جدًا حين رأيتُكِ المرة الماضية، فأردتُ أن أصنع لكِ الفطور.»
«هذا لطف كبير منكِ، ولكن...»
يبدو أن جيرتي لا تقبل الرفض. فقد تجاوزتني ودخلت المطبخ كأنها في بيتها، وما هي إلا ثوانٍ حتى سمعتُ صوت جريان الماء وقرقعة الأواني.
سألتُها: «هل أساعدكِ في شيء؟»
أشارت لي بيدها كأنها تطردني: «بالطبع لا! اذهبي أنتِ لـ... تحسين هيئتكِ.»
فهمتُ التلميح.
تعثرتُ في خطاي نحو غرفة النوم لأرى حجم الكارثة. كدتُ أشهق حين رأيتُ الهالات تحت عينيّ وشعري المشعث متحديًا الجاذبية. حين كنتُ في العشرينيات، كان بمقدوري أن أشرب الكثير، وأظل فاتنة في الصباح، أما الآن فلا. سرحتُ شعري الأسود بالفرشاة ووضعتُ القليل من مساحيق التجميل؛ هكذا أفضل.

حـين عـدتُ لـلمطبخ، اسـتقبلتني رائـحة قـلي الـبيض، فـقرقـت معدتي رغم الصداع. ذكرني الموقف بمحاولة سام الفاشلة لصنع أومـليت قـبل بـضعة أشهـر، حـينها وضـع بـيضًا كـثيرًا فـي الـمقلاة فظل قلبه نيئًا بينما احترق من الخارج. أطلقنا عليه اسم مفاجأة السالمونيلا. ضحكنا كثيرًا ذلك الصباح، واكتفينا بـرقائق الـذرة في الفطور.

لا أصدق أن سام يخونني مع مونيكا. كيف استطاع فعل ذلك؟

قالت جيرتي: «تفضلي بالجلوس يا عزيزتي آبي». كانت ترتدي مـريـلة سـام الـمكتوب عـليها أكـلت الـفطيرة وتـحـرك الـبيض فـي الـمقلاة. رفـعت الـمقلاة وأفـرغـت الـبيض فـي طـبقين. وضـعت طـبقي عـلى طـاولـة الـطعام، ثـم عـادت وهـي تـعرج قـليلًا لتجلـب كأس عصير برتقال.

«الفطور جاهز!»

لا أعـلم إن كـنتُ جـائـعة، لـكني لـم أرِد أن أبـدو جـاحـدة فـجـلستُ. كنتُ على الأقل ظمأى جدًا، فجرعتُ العصير في ثلاث رشفات كبيرة، مما خفف وطأة الصداع قليلًا. بدأتُ آكل البيض بتردد في البداية، ثم رحتُ ألتهمه بنهم؛ فقد كان لذيذًا بحق، وأفضل بكثير من مفاجأة السالمونيلا.

سألتني جيرتي والابتسامة تملأ وجهها: «ما رأيكِ؟»

قلتُ لها: «عليكِ تعليم زوجي كيف يصنع هذا.» رغم شكي في أن سام سيصنع لي بيضًا بعد الآن؛ فتلك الأيام قد ولت.

غمزت لي قائلة: «سأفعل ذلك بكل سرور.» ولم يسعني إلا أن ألاحظ عن قرب أن التجاعيد حول عينيها أقل مما كنتُ أتوقع، كنت ظننتُها شارفت على السبعين، لكني أراها الآن أقرب إلى الستين. من المؤسف أنها أصيبت في وركها إصابة بالغة في سنّ كهذه؛ ولا أزال أتساءل إن كانت مونيكا هي المسؤولة، ولعلي لن أعرف الحقيقة أبدًا.

كدتُ أنتهي من طبقي حين رنّ جرس الباب ثانيةً.

رفعت جيرتي رأسها وسألت: «هل تنتظرين أحد يا آبي؟»

هززتُ رأسي. لعلهم الشرطة تلك المرة فعلًا. مسحتُ فمي بالمنديل ثم نهضتُ لأتفحص الطارق، وحين رأيتُ مونيكا تقف خلف الباب، تمنيتُ لو تظاهرتُ بعدم الوجود.

لا أريد البقاء وحدي مع مونيكا؛ فقصص السيدة جونسون المرعبة لا تزال ترن في أذنيّ. لا أثق في تلك المرأة لحظة واحدة، فمن المؤكد أنها قتلت دينيس بدمٍ بارد.

ولكن من ناحية أخرى، جيرتي هنا، ولن تجرؤ مونيكا على فعل شيء أمام شاهدة. أليس كذلك؟

فتحتُ الأقفال وواربتُ الباب مع إبقاء السلسلة الحديدية في مكانها. كانت مونيكا تبدو فاتنة بفستانها الأحمر الصارخ، وشعرها الأسود المنسدل بنعومة على كتفيها، لكن عينيّ وقعتا فورًا على بطنها. يا إلهي، لقد تصخم كثيرًا، لا بد أنها على وشك الولادة في أي يوم.

قلتُ لها بحدة: «ماذا تفعلين هنا؟»

أمسكت بطنها بكلتا يديها وقالت: «أرجوكِ، هلا سمحتِ لي بالدخول؟ نحتاج للحديث.»

«أحقًا؟»

ترددت ثم قالت: «سام هو مَن طلب مني المجيء للحديث معكِ.»

نادت جيرتي من المائدة: «مَن الطارق؟»

حدقتُ في مونيكا عبر شق الباب، كانت تبدو وكأنها تصارع للبقاء واقفة. قد تكون مونيكا خطيرة في أسوأ حالاتها، لكني لا أظنها كذلك الآن. وبمقدوري مواجهتها حتى لو كانت تحمل سكين أو فتاحة رسائل. وعلى أي حال على، جيرتي موجودة، وسنكون اثنتين ضد واحدة.

قلتُ لها: «حسنًا.» ثم أغلقتُ الباب لأفك السلسلة وفتحته على مصراعيه: «تفضلي بالداخل.»

دخلت مونيكا وهي تتهادى في مشيتها -أو هكذا خُيل إليّ- فرغم حملها المتقدم، لم تخلُ مشيتها من الرشاقة. تساءلتُ عما يراه سام فيها. أنا واثقة أنه يراها في غاية الإثارة، فهو يضاجعها بلا شك، ونحن لم نفعل ذلك منذ شهر.

تنبهت مونيكا لوجود جيرتي على المائدة فتوقفت فجأة وقالت: «لم أدرك أن لديكِ ضيفة.»

«آه!» تعثرت جيرتي في وقوفها وقالت: «يمكنني الانصراف إن أردتِ يا آبي.»

قلتُ مسرعة: «لا،» فشعوري بوجودها يمنحني الأمان، رغم أنها عجوز تتوكأ على عكاز. «أرجوكِ ابقي.»

نظرت جيرتي إلى مونيكا مترددة. لعل في طلبي هذا أنانية، خاصة إن كانت مونيكا هي مَن دفعها من قبل على السلالم؛ فأنا لا أريد تعريض حياتها للخطر. ولكن لا، سيكون كل شيء على ما يرام، فمونيكا لن تجرؤ على فعل شيء وكلتانا هنا.

قررت جيرتي أخيرًا: «سأنظف المطبخ إذًا.»

جلست مونيكا على أحد الكراسي بينما توجهت جيرتي إلى المطبخ لاهثة، بعيدًا عن مسمعنا. أزاحت مونيكا شعرها الأسود وراء كتفها، فلمحتُ ثانيةً منبت شعرها الباهت. التقت عيناها السوداوان بعينيّ فارتجف بدني رغمًا عني.

قالت بابتسامة لم تصل إلى عينيها: «كان لدى سام محاضرة مبكرة هذا الصباح، لكني وعدتُه بأن نتحدث معًا بوضوح وصراحة.. ألا تظنين أن الأمور خرجت عن السيطرة قليلاً؟»

حدقتُ في طبق البيض وأجبتُ: «لا أفهم ما تقصدين.»

اصدرت صوت نقر بلسانها في سقف حلقها قائلة: «لا أحتاج لإخباركِ أن تصرفكِ ليلة البارحة أزعج سام كثيرًا يا آبي. تفتيش هاتفه؟ حركة تفتقر إلى الرقي.»

رفعتُ ذقني وقلتُ: «كان لديّ سبب وجيه.»

سكتت للحظة ثم قالت أخيرًا: «أجل، أظن أنكِ محقة.»

لم تمنحني إجابتها أي راحة، فسألتُ: «وماذا تعنين بذلك؟»

قالت بهدوء: «أعتقد أنكِ تعرفين الإجابة جيدًا.»

رفعتُ نظري إليها وسألتُ: «ماذا؟»

قالت مونيكا: «آبي، لقد انتهى الأمر.»

حدقتُ فيها بذهول: «عفوًا؟»

«أنتِ وسام. لقد انتهى زواجكما.»

شعرتُ بعصير البرتقال والبيض في معدتي يهمان بالخروج.

«عما تتحدثين؟»

رمقتني بنظرة شفقة وقالت: «فكري في الأمر يا آبي، أنتِ حطام إنسان. انظري إلى نفسكِ، مدمنة مخدرات، وعلى وشك الاعتقال

بتهمة القتل.» هزت رأسها وتابعت: «نرى أنا وسام أن الأفضل لكِ هو البحث عن مكان آخر للعيش، لنتمكن نحن من البقاء هنا ورعاية الطفل.»

ثم وضعت يدها بحميمية على بطنها. كان ذلك هو الطفل الذي يُفترض أن أربيه مع سام، والآن سيربيه هو، ولكن مع إزاحتي من الصورة تمامًا.

نظرتُ إلى طبقي الفارغ، وانتابني شعور بالغثيان: «أود سماع هذا منه شخصيًا.»

«سام لا يملك القلب لإخباركِ، فالأمر عسير عليه جدًا.»

«أحقًا؟»

شخرت ساخرة وقالت: «بصراحة، ما كان يجب أن تكوني معه من الأساس. أنتِ بالكاد جذابة، وأما من الناحية الفكرية.. فلا مجال للمقارنة. أنتِ لا تفرقين بين الأرقام الحقيقية وبرنامج ربات البيوت الحقيقيات في أورانج كاونتي.»

بلى، أنا أفرق. أعلم أن الأرقام الحقيقية هي تلك التي تكون.. حقيقية أي ليست تخيلية. لكني آثرتُ الصمت لئلا أكون مخطئة.

قالت: «ببساطة ووضوح، لقد تزوجكِ سام من أجل المال، ومن أجل صندوقكِ الائتماني. والآن، انتهت فائدتكِ.»

هل هي محقة؟ أحقًا تزوجني سام لمجرد مالي؟ لم أكن لأصدق هذا لو قيل لي قبل عام، أما الآن...

شعرتُ بطنين في مؤخرة رأسي. هززتُ رأسي لأطرده، لكنه لم يذهب. نظرتُ إلى مونيكا، ولثانية رأيتُها اثنتين، ثم عادت واحدة حين رمشتُ بعينيّ. فركتُ وجهي بيدي.

قطبت مونيكا جبينها وسألت: «أأنتِ بخير؟»

قلتُ وأنا أغمض عينيّ بقوة ثم أفتحهما: «أشعر ببعض.. الدوار.»

نظرت مونيكا إلى طبق البيض أمامي، ثم مالت في مقعدها لتلقي نظرة على المطبخ، ونادت: «هل كان في البيض؟»

خرجت جيرتي من المطبخ وهي تجفف يديها بمنشفة، والغريب أنها لم تكن تمسك عكازها، رغم أنها كانت لا تكاد تقوى على الخطو دونه حين وصلت.

قالت جيرتي: «لا، كان في عصير البرتقال. لقد شربته قبل عشر دقائق.»

سقط فكي بذهول: «جيرتي؟»

سألت مونيكا: «وهل وضعتِ العلبة كاملة؟»

أجابتها: «حتى آخر حبة.»

ابتسمت مونيكا لجيرتي ابتسامة حقيقية هذه المرة، وقالت: «شكرًا يا أمي.»

الفصل الثامن والثلاثون

يدور رأسي بعنف، ولا أدري إذا كان من أثر ما دُسَّ لي في عصير البرتقال، أم من حقيقة أن جيرتي ومونيكا شريكتان في المؤامرة، بل وربما هما أم وابنتها حقًا. أهذا حلم؟ أم تراها هلاوس؟ لا يمكن أن يكون هذا واقعًا بأي حال!

«أنتِ..» حاولتُ جاهدة تركيز بصري على جيرتي، وهو أمر يزداد صعوبة لحظة بعد أخرى. «أأنتِ والدة مونيكا؟»

ضحكت جيرتي وقالت: «أوه، فطنتِ للأمر سريعًا. لعل ذكاءكِ يؤهلكِ فعلاً لتكوني مع سام.»

قلتُ بلسانٍ ثقيل: «ولكن.. لقد قابلتُ والدة مونيكا، كنتُ في شقتها قبل أيام.. تلك المرأة.. لستِ أنتِ.»

ازدرتني مونيكا قائلة: «تلك كانت زوجة أبي، لويز. كيف خطر لكِ أنها والدتي؟ إنها لا تشبهني في شيء!»

نظرتُ بين مونيكا وجيرتي، والآن فقط رأيتُ الشبه؛ في العينين والذقن. وبدأتُ أشعر أن التشابه يتجاوز الملامح السطحية؛ تذكرتُ ما قالته سينثيا عن والدة مونيكا المجنونة التي كانت تقيم معها أحيانا.

قالت جيرتي وعيناها تبرقان: «عليّ شكركِ يا آبي. حين جاء سام إلى العمل أول مرة لرؤيتكِ وأخبرني أنه أستاذ رياضيات في الجامعة ذاتها التي تدرس فيها ابنتي، أخبرتُها فورًا أن هذا هو الرجل الذي تحتاج للتعرف إليه. أليس كذلك يا مونيكا؟»

أومأت مونيكا: «سجلتُ في محاضرته في الفصل الدراسي التالي مباشرة. وكالعادة، كانت أمي على حق؛ فقد وقعتُ وسام في الحب فورًا.»

قالت جيرتي بفخر: «بعد أن دبرتُ تقاعدي المبكر، أخبرتُ مونيكا بما يجب أن تقوله لتُوظف عندكِ؛ أمرتُها بذكر إعلانات زبادي الألياف، وكنتُ أعلم أنكِ ستندفعين لتعيينها.»

لقد تلاعبتا بي كما يُعزف على أوتار الكمان. اجتاحتني موجة دوار عاتية، فتمسكت بالطاولة لئلا أسقط عن مقعدي.

تابعت جيرتي: «كنتُ أعلم كم كنتِ يائسة للحصول على طفل. حين رتبتِ أمر التبني ذلك، خشيتُ أن يربطكِ الطفل بسام للأبد، ولكن.. وجدنا طريقة لإنهاء الأمر. وبعد فشل التبني، كنتِ مستعدة لفعل.. أي شيء. وإن ساوركِ أي شك، كنتُ أعلم أني سأبدده حين نتحدث عبر الهاتف.»

تغشت رؤيتي غشاوة للحظة، فرمشتُ بعينيّ حتى استعادتا تركيزهما. «عبر الهاتف؟»

انفرجت شفتا مونيكا عن ابتسامة: «لقد طلبتِ التحدث مع والدتي،» ثم أشارت برأسها نحو جيرتي وتابعت: «وهذا ما حدث.»

تلك المرأة التي حدثتني من رقم خارج الولاية كانت جيرتي! كيف فاتني تمييز صوتها؟

قلتُ لها: «لكن دينيس كشفت أمركما، فكان عليكما التخلص منها.»

شخرت مونيكا ساخرة: «أرجوكِ، دينيس لم تكشفني. أنا أذكى منها بكثير، وأذكى منكما معًا. أردتُها أن تضبطني وأنا أنبش في مكتبها، ثم أطلتُ غدائي لأمنحها فرصة تفتيش مكاني لتجد تلك الحبوب.»

«ولكن.. لماذا؟»

«لأني كنتُ أعلم أنها ستهاتفكِ.» قلبت عينيها وتابعت: «قد لا تعرفين هذا، لكن دينيس كانت تراكِ مثلًا أعلى في العمل. عندما غبتِ، كانت تقول: أبيغيل كانت تفعل ذلك هكذا، فلِمَ لا تفعلون مثلها؟ أو أبيغيل لم تغادر مبكرًا، لِمَ تذهبين أنتِ لعائلتكِ؟ كان جليًا أنها نادمة على ما حدث بينكما.»

كان لسماع تلك الكلمات عن دينيس وقع الطعنة في صدري. دينيس لم تكرهني قط، حتى وهي محبطة من خيارات حياتي، ظلت تراني من أفضل موظفيها.

ومونيكا قتلتها لأجل ذلك!

أضافت مونيكا: «بالمناسبة، تلك الحبوب كانت قانونية تمامًا وأي شرطي يمكنه تأكيد ذلك. وهي ليست السبب في فشلكِ في اختبار البول، بل كان الميث الخالص.»

لقد فكرت مونيكا في كل شيء؛ كانت زوجة أبيها على حق، إنها عبقرية حقًا.

سألتُ بصعوبة: «لماذا تفعلين هذا؟»

رأسي يدور، لكني لا أزال واعية، وهذا عزائي الوحيد؛ فأثر الحبوب لم يكتمل بعد. لعل بمقدوري إجبار نفسي على التقيؤ. آمل على الأقل أن تخبرني بما دست لي في العصير.

قالت مونيكا: «أليس الأمر بديهي؟»

قلتُ: «لا، لقد رتبتِ الأمور لأسجن خمسة عشر عامًا. لِمَ القتل؟»

أطْبقت مونيكا كفيها وابتسمت كأنها معجبة بنفسها: «هذا الحل أكثر نظافة. أنتِ مكتئبة بسبب كل ما اقترفتِ ولا ترين أي مخرج، فقررتِ إنهاء حياتكِ بجرعة زائدة من حبوبكِ المنومة.»

حبوبي المنومة! سحقاً! لا عجب أن سام كان يصرُّ على إعادة ملء الوصفة الطبية.

حركتُ كاحليّ، فوجدتُ أن ساقيّ لا تزالان تستجيبان. هل يمكنني الهرب؟ مونيكا حامل، تالله! وجيرتي.. حسنًا، إنها في حال أفضل مما ظننت، ولكن ربما أستطيع فعلها.

ضيقت جيرتي عينيها وهي ترقبني وقالت: «علينا تقييدها. لا أريد منحها فرصة لمحاولة الهرب.»

جززتُ على أسناني وقلتُ: «لا.. لن تقيداني، لن أسمح لكما.»

ضحكت مونيكا: «أوه، بل ستفعلين.»

نَبشت مونيكا في حقيبتها المعلقة على طرف الكرسي، وسقط قلبي في قدمي حين أخرجت مسدسًا. مسدس! لم توجهه نحوي، لكن مجرد وجوده جعلني أتسمر مكاني. بدا نذير شؤم.

قالت باستخفاف: «كان لدينا ميدان رماية بجوار منزلنا في صغري. أنا في الواقع رامية بارعة، لا سيما من هذه المسافة القريبة.»

حدقتُ بين مونيكا وجيرتي، وقلبي يقرع طبول الذعر؛ فلو أطلقت النار عليّ، انتهى كل شيء، ولن تتبقى لي ذرة أمل.

نبشت مونيكا في حقيبتها مجددًا وأخرجت ورقة بيضاء مصقولة، ثم دحرجتها فوق مائدة الطعام لتستقر أمام عينيّ.

رحتُ أحدق في الكلمات المكتوبة؛ لقد كانت محاكاة تامة لخطي، صنعها شخصٌ عكف عامًا كاملًا على دراسة ملاحظاتي المكتوبة بخط اليد والتدرب عليها. أما التوقيع فكان متقنًا لدرجةٍ لن يفرق بينه وبين توقيعي الحقيقي إلا خبير خطوط، وأشك كثيرًا أن يُستدعى خبيرٌ للخطوط.

كانت الورقة اعترافًا كاملًا بكل شيء: إدماني للمخدرات الذي خرج عن السيطرة، قتلي لمديرتي السابقة حين رفضت الرضوخ لمخطط ابتزازي، وختامًا باعتذارٍ لسام، أمنحه فيه مباركتي ليمضي قدمًا في حياته.

ابتسمت لي وقالت: «كلماتكِ الأخيرة،» فسرى في بدني قشعريرة باردة. «أليس أمراً شاعرياً؟ ألا يسركِ أن تكون هذه هي الصورة التي سيتذكركِ بها الناس؟»

أشرتُ برأسي نحو المسدس في يدها وقلت: «إن أطلقتِ النار عليّ، فسيفسد ذلك خطة الانتحار، أليس كذلك؟ كيف ستفسرين قتلي بالرصاص في منزلي؟»

قالت وهي تضع يدها اليمنى بحرص فوق المسدس: «أوه، لقد أعددتُ العدة؛ فلا يزال بمقدوري الدخول إلى بريدكِ الإلكتروني الخاص بالعمل. لقد أرسلتِ لي هذا الصباح رسالةً تدعونني فيها للمجيء لنتحدث. وحين وصلتُ، أشهرتِ المسدس في وجهي

لأن الغيرة قد تملكتكِ، فوقع اشتباك بيننا، و.. لسوء حظكِ، تمكنتُ منكِ. وجيرتي المسكينة شاهدة على كل ما جرى.»
«أجل، ولكن من أين لي بالمسدس؟»
لم يطرف لها جفن وهي تجيب: «لا أدري؛ لعل احتياجكِ له كان بسبب تجار المخدرات الذين يترددون على شقتكِ. مَن يدري؟ المسدس غير مرخص، وربما كان مسروقًا أو اشتريتِه من السوق السوداء.»
عجز لساني عن النطق؛ فقد فكرت في كل تفصيل.
تابعت: «لكني أرى أن الانتحار ميتةٌ أكثر وقارًا، ألا تظنين ذلك؟»
وجهت المسدس نحوي، فتملكني رعبٌ لا يوصف؛ فلم يسبق أن وُجه سلاحٌ نحوي قط. «وبمناسبة الحديث، لننقل هذا المشهد إلى غرفة النوم.»
وحين لم أتحرك، ضيقت عينيها وقالت: «إلا إن كنتِ تفضلين الخيار الثاني.»
حاولت الوقوف فشعرتُ بساقيّ رخوتين كأنهما من عجين . لا أدري أهو مفعول المنوم أم أنه الرعب المحض. تعثرتُ في طريقي حتى كدتُ أسقط، فارتميتُ فوق الفراش مستسلمة.
أمرتني مونيكا وهي تهز المسدس أمام وجهي: «ابقِ مكانكِ.»

بينما كنتُ مستلقية، رأيتُها تمسك بطنها وتتوجع؛ وتمنيتُ لو واتتني الفرصة لانتزاع المسدس منها؛ فهي ضخمة وتوازنها يختل بسهولة، ولربما كانت في حالة مخاض.. مَن يدري؟ لم يكن جنونًا مني أن أفكر في المقاومة؛ ففي كلتا الحالتين سأموت، وربما استحق الأمر المخاطرة والقتال حتى الرمق الأخير.

لكن مرةً أخرى، لقد وجدتُ صعوبةً في مجرد المشي إلى الفراش، فكيف لي أن أقاتل؟ وحتى لو تغلبتُ على مونيكا، فكيف سأتجاوز جيرتي؟ لم يكن النجاح ممكنًا بحالتي تلك.

أخرجت مونيكا لفةً من الشريط اللاصق من حقيبتها، وشرعت في تقييد كاحليّ. تبًا، لقد علمتُ أن الشريط اللاصق ينتظرني في قدري. ميزتُه فورًا؛ إنه النوع الرخيص الذي نضعه في خزانة الأدوات بالعمل، ويبدو أنها سرقته من هناك. يا للسخرية! فحتى إبقائي خاضعة لم يستحق في نظرهما ثمن لفة شريط أصلية.

حين قيدت معصميّ، أدركتُ أن كل فرصة للهرب قد طارت مع الريح. لم أحاول حتى المقاومة. لطالما قرأتُ قصصًا عن أشخاص استجمعوا قواهم في لحظات الخطر، وقصصًا أخرى عن أشخاص استسلموا لمصيرهم. كنتُ أظن دائمًا أني من الصنف الأول، وبأني سأكون بطلة في ساعة المحنة.

ربما الأمر يتعلق بالإرادة؛ فلو نجوتُ، فماذا بقي لي؟ مهنتي دُمرت، وتهم القتل تطاردني، وأنا متزوجة من رجل دفع عشيقته لتجعل موتي يبدو انتحارًا.

ربما الأفضل أن أستسلم فحسب.

قالت جيرتي بينما كانت مونيكا توثق أطرافي: «هذا هو القرار الصائب؛ فقد كنتِ عائقًا في طريق سعادة سام. هذا ما أراده طوال الوقت؛ طفل، وامرأة تشاركه شغفه. لقد حرمتِه من كل ذلك، ولطالما شعرتُ بالأسى من أجله حين كنتُ أعمل لديكِ.»

لكني أحببتُه.

وظننتُه أحبني.

قالت مونيكا وهي تكاد تبصق الكلمات في وجهي: «كم أنتِ أنانية؛ أي امرأة محترمة كانت لتنسحب من تلقاء نفسها.»

تمتمتُ بصوت خافت: «وكأنكِ أفضل مني.»

اتسعت عيناها وسألت: «عفوًا؟»

قلتُ: «أقول فقط.. هناك الكثير من الفتيات الأصغر سنًا والأكثر جمالاً في فصوله الدراسية. ما الذي تملكين ولا يملكنه؟»

اقتربت بوجهها من وجهي وفحيحها يملأ أذني: «سأكون أمًا لطفله.» كان منظرها مخيف، لا سيما وأني عاجزةٌ تمامًا عن تحريك يديّ أو قدميّ.

قلتُ مستسلمةً: «صحيح، هذا واقع. ولكنكِ ستكونين مشغولة ومنهكة من رعاية الطفل لدرجة لن تمنحيه الاهتمام الذي يستحقه. وسمعتُ أن فقدان وزن ما بعد الولادة أمرٌ عسيرٌ جداً...»

بدا وكأن مونيكا تريد صفعي، وتمنيتُ لو فعلت؛ فلو تركت صفعاتها أثر، لكان دليلًا على أن موتي لم يكن انتحارًا بسيطًا. هذا ما أستحقه؛ خلاصًا بعد الموت.

لكن قبل أن أنطق بكلمة أخرى لاستفزازها، سمعتُ صوت مفتاحٍ يدور في قفل الباب الأمامي.

الفصل التاسع والثلاثون

تمتمت مونيكا بصوت خافت: «سحقاً!»

سألت جيرتي: «مَن الطارق؟»

ردت مونيكا بحدة: «ومِن أين لي أن أعرف؟»

كنتُ أجهل هوية القادم تمامًا مثلهما. مَن عساه يكون؟ أهو حارس البناية؟ أم الشرطة جاؤوا لاعتقالي؟ أيٌّ منهما سيكون منقذًا لي. لكني افترضت أن أيًا من هؤلاء سيطرق الباب قبل أن يقتحم الشقة هكذا.

وقبل أن أنبس ببنت شفة، انتزعت مونيكا قطعة أخرى من الشريط اللاصق وصفعتها فوق شفتيّ، ثم دفعتني بقوة جعلتني أتدحرج عن الفراش، لأسقط في تلك الفجوة الضيقة بين السرير والحائط. ارتطم كتفي بالأرض بقوة فشهقتُ خلف الشريط اللاصق. كانت حواف المدفأة الناتئة من الحائط حادة، وشعرتُ بالمعدن البارد يغرس في ساعدي.

«آبي؟ هل أنتِ هنا يا آبي؟»

إنه سام. صوت سام.

ماذا يحدث بحق السماء؟

انحنت مونيكا فوق السرير حيث كنتُ محشورة بين المرتبة والجدار، وكان وجهها قد اصطبغ باللون الوردي الصارخ. قالت بوعيد: «لا تحركي عضلة واحدة، وإلا...»

وزيادة في التأمين، قذفت مونيكا ببطانية فوقي، مما أخمد الأصوات وجعل التنفس عسيرًا، لكني كنتُ لا أزال أسمع عبرها.

سمعتُ مونيكا تقول لجيرتي: «أمي، اختبئي في الخزانة، هيا!»

سمعتُ باب الخزانة الملاصق للسرير يفتح ثم يُغلق بإحكام.

تملكني الارتباك؛ لِمَ تختبئ جيرتي في الخزانة؟ ليس الأمر وكأن سام يجهل وجودها.. أليس كذلك؟

«أهلاً سامي،» انطلق صوت مونيكا مخترقًا جدران شقتنا الرقيقة.

قال سام مذهولًا: «مونيكا؟ ماذا تفعلين هنا؟»

قالت: «لقد اتصلت بي آبي لأحضر ونتحدث، لكنها بدأت.. تهذي وتصرخ، ثم ركضت خارجًا في النهاية.»

«ركضت خارجًا؟»

«وماذا تفعل أنت هنا على أي حال؟ ظننتُ أن لديك محاضرة؟»

«لقد ألغيتُها.» سمعتُ زفرة تنهيدة منه وهو يتابع: «لقد وقع شجار بيني وبين آبي ليلة البارحة، ولم أستطع التوقف عن

الشعور بالذنب حيال الطريقة التي انتهى بها الأمر. أحتاج حقًا للحديث معها، علينا أن نجد حلًا لكل هذا.»

خفق قلبي بعنف. فسام لم يكن يتآمر ضدي مع مونيكا، إنه في صفي. وحتى بعد كل ما يظن أني اقترفتُه، لا يزال يريد إصلاح الأمر معي. صحيح أنه كان من الأجمل لو صدقني منذ البداية، لكني أعترف أن الأدلة كانت دامغة ضدي.

سأل سام: «هل تدرين أين ذهبت؟»

«ليس لدي أدنى فكرة. بصراحة، كان كلامها غير مفهوم، لعلها غائبة عن الوعي من أثر المخدرات.»

ساد الصمت. لا تصدقها يا سام.. أرجوك لا تصدقها.

عاد صوت مونيكا: «أعتقد قالت شيئًا عن مغادرة المدينة، كانت تتصل بالمطار.»

«المطار؟»

هدأتُ من أنفاسي الثقيلة لأستطيع سماعهم بشكل أفضل. بدأت المدفأة تؤلم ذراعي حقًا، ولن أتفاجأ إن كانت تنزف.

«أجل، لقد طلبت سيارة أوبر إلى مطار لاغوارديا، لذا...»

«يا إلهي! حسنًا.. سأرى إن كان بإمكاني اللحاق بها هناك. أليس لديكِ أدنى فكرة عن الوجهة التي كانت تحجز تذاكر إليها؟»

«أنا آسفة، لا أعرف.»

«حسناً.»
يا للهول، لقد صدقها! إنه سيرحل! لا ترحل يا سام! لا تصدقها!
قال سام: «دعيني فقط أتصل بهاتفها بسرعة، لعلني أستطيع إقناعها بالعدول عن ذلك.»
قالت مونيكا بنبرة ملحة: «لا يا سام، لن تستطيع إقناعها، صدقني.»
وفي تلك اللحظة، انطلق الرنين. نغمة هاتفي.
«مونيكا؟» بدا صوته مرتبك لدرجة أني أردت الركض لاحتضانه.
«لماذا لا تزال حقيبة آبي وهاتفها هنا؟»
حبستُ أنفاسي في انتظار كذبتها القادمة. «لقد كانت في حالة يرثى لها يا سام.. تركت كل شيء خلفها ورحلت.»
«حتى هاتفها؟»
«يبدو ذلك...»
قال سام: «أنا آسف، لكني أعرف آبي جيدًا، هي مستحيل أن تغادر المنزل دون هاتفها. أين هي يا مونيكا؟»
«لقد أخبرتُك، لا أعرف!»
صرخ سام الآن: «آبي! آبي! هل أنتِ هنا؟»
أنا هنا! أنا هنا!
ارتفع صوته أكثر، وهو يقترب من غرفة النوم: «آبي! أين أنتِ؟»

«سامي، ليست هنا...»

«آبي!» فُتح باب غرفة النوم الآن، وصار صوته مدويًا: «آبي!» بكل ما أوتيتُ من قوة، ركلت جانب السرير. سكت سام فور سماع الضجيج، وسمعتُ صرير نوابض الفراش. وبعد ثانية واحدة، رُفع ثقل البطانيات عن جسدي، ليحدق سام فيّ بوجهٍ يعلوه رعبٌ متزايد.

انحنى نحوي وهو يلهث: «آبي! ماذا.. ماذا يحدث هنا؟»

«اتصل بالشرطة!»

لكن الأوان قد فات.. فات تمامًا.

الفصل الأربعون

«انهض يا سام».

لا أرى مـونـيكا، لـكني أتـخيل هـيئتها الآن؛ بـطنها الـبارز تـحت فستانها الأحـمر الصارخ، شعرها الأسـود المنسدل حـول وجـهها، وعـيناهـا الـلتان تـلمعان بـالـجنون، والمسـدس مـوجـه إلـى وجـه زوجي.

قال سام بصوت متحشرج: «مونيكا.. ماذا تفعلين؟»

«قلتُ لك انهض».

غـاب وجـهه عـن نـاظـري. رفـعتُ رأسـي قـليلًا لأراه واقـفًا هـناك، ويداه مرفوعتان في الهواء. بمقدوري التحرك قليلًا عبر التلوي، لكن ليس كثيرًا. انتقلتُ إلى الجانب حتى لا تعود حافة المدفأة تغرس في ساعدي. تبًا لهذه المدفأة؛ حوافها حادة جدًا، لدرجة أنها قد تقطع...

يا إلهي، هل يمكنها قطع الشريط اللاصق؟

قالت مونيكا بنبرة مسمومة: «أنت غير معقول يا سام. ها أنا أعرض عليك كل شيء، وأنت لا تريد سوى هذه المرأة».

قال سام ببساطة، وكأنها حقيقة مطلقة لا تقبل الجدل: أنها زوجتي». نطقها وكأن الزواج رباط أبدي لا انفصام له. حين قال تلك الكلمات، لم أعد أفهم كيف ساورني الشك في إخلاصه يومًا؛ فهذا هو سام، مخلص حتى النخاع.

صرخت مونيكا: «لكنها لا تملك شيئًا مما تريد! إنها لا تلبي أيًا من احتياجاتك!»

«صدقيني يا مونيكا، إنها تلبي كل احتياجاتي».

تلوّيتُ مجددًا، محركةً جسدي للأعلى حتى لامست الحافة الحادة للمدفأة معصمي. كان الأمر عسيرًا وأطرافي مقيدة، فضلًا عن أن مفعول المنوم بدأ يسري في جسدي؛ فكان إبقاء عينيّ مفتوحتين يتطلب مجهودًا جبارًا، وأحسستُ بجسدي ثقيلًا جدًا.. ثقلًا مؤلمًا.

قالت مونيكا: «بمقدوري أن أمنحك المزيد، وأنا مستعدة لذلك الآن».

خفض سام صوته نغمة واحدة: «لقد تحدثنا في هذا في شقتكِ ليلة البارحة يا مونيكا، وأخبرتُكِ أن ردي هو الرفض».

لم يعد بمقدوري التركيز في حديثهما لأن معصميّ صارا في تماس مع المدفأة. إن كنتُ أعلم شيئًا عن ذلك الشريط اللاصق

من العمل، فهو أنه من النوع الرديء. لو استطعتُ فقط الحصول على الزاوية الصحيحة...

قالت مونيكا بنبرة هادئة الآن: «أنا لا أتحدث عن ليلة البارحة يا سام، بل أتحدث عما حدث قبل ثلاث سنوات.. في الجامعة».

«الجامعة؟»

«كنتُ في محاضرتك عن الجبر الخطي، وكنتُ أحضر كل ساعة مكتبية تخصصها للطلاب».

«آه».

إنه لا يتذكرها. لا أحتاج لرؤية وجهه لأعرف ذلك، فنبرة صوته كانت كافية.

قالت: «كان شعري أشقر حينها، وقد صبغتُه بالأسود حين رأيتُ صورة آبي في مكتبك. لكني كنتُ هناك كل أسبوع، وأنت قلتَ إنك تراني طالبة واعدة جدًا».

«أنا.. أنا متأكد أني عنيتُ ذلك، ولكن...»

قاطعَته بصوت عال: «وقد احتسينا القهوة معًا بعد المحاضرة في ستارباكس، وأنت من اشترى لي الـ كابتشينو».

سعل سام بقوة وقال: «أنا وأنتِ.. احتسينا القهوة معًا؟ وحدنا؟»

ترددت قليلاً ثم قالت: «ليس وحدنا تمامًا، كان هناك طالبان آخران.. وأنت دعوتنا جميعًا. لكنك لم تستطع إزاحة عينيك عني طوال الوقت».

«أنا.. لستُ متأكدًا إن كان...»

استطردت دون انتظار رد: «وفي أحد الأيام، حين كنا وحدنا في مكتبك، حاولتُ تقبيلك، وأنت...» تحشرج صوتها من الانفعال وتابعت: «قفزتَ مبتعدًا، وكأنك تتفاداني».

سكت سام.

وحين تكلمت مونيكا مجددًا، بدت حانقة: «أحقًا لا تتذكر شيئًا من ذلك؟»

«حسنًا.. أمم.. أشياء كهذه.. تحدث.. كثيرًا».

«ولم تشعر أبدًا بالإغراء؟»

شخر ساخرًا: «بالطبع لا، أنا رجل متزوج».

زوجي يستحق ميدالية. أردتُ القفز لاحتضانه، لولا أني مشلولة الحركة.

ولكن فجأة، شعرتُ بالشريط يتمزق تحت حافة المدفأة الحادة. وبعد ثانية، صار معصماي طليقين! أستطيع تحريك ذراعيّ مجددًا! لا تزال ساقاي مقيدتين، لكني قطعتُ نصف الطريق،

ما دامت مونيكا تركز نظرها على سام لا عليّ، وما دمتُ لم أغطَّ في النوم، وهو أمر صار احتمالًا وشيكًا.

لانت نبرة مونيكا وقالت: «سام، لم يفت الأوان بعد. انظر إليّ.. أنا أحمل طفلك، وأستطيع أن أرى أنك منجذب إليّ».

«مونيكا، كفّي عن هذا...»

جززتُ على أسناني. ماذا يُضيره لو تظاهر بالاهتمام بها لبضع دقائق فقط، حتى نتمكن من انتزاع المسدس؟ يفعلون ذلك في الأفلام دومًا ويبدو أنه ينجح. أحتاج لدقيقة أخرى فقط، دقيقة واحدة لأحرر كاحليّ.

قالت مونيكا: «لن تضطر لفعل أي شيء، فآبي قد ابتلعت زجاجة كاملة من المنوم، وهي الآن غائبة عن الوعي».

لا، لستُ كذلك؛ أنا بصدد تحرير كاحليّ اللعينين. وإن كنتُ صريحة، فلولا كمية الأدرينالين التي تضخ في عروقي الآن، لكنتُ غائبة عن الوعي بالفعل.

شهق سام: «زجاجة منوم؟ أنتِ.. هل سممتِها؟ آبي...»

قالت: «أليس هذا هو الحل الأفضل؟ إنها لا تصلح لك أبدًا، ولهذا من السهل تركها تمضي...»

«يا إلهي...»

«أنت تعلم أن هذا هو الصواب يا سام. لا داعي للشعور بالذنب بعد الآن، فقد أديتُ أنا الجزء الأصعب».

والآن، تحرر كاحلاي. ولكن هذا لم يساعدني بقدر ما تتوقعون؛ فأنا محشورة في مساحة ضيقة جدًا، ونصف نائمة من أثر الحبوب، فلا أدري كيف يُفترض بي القفز والسيطرة على أي شخص. لا أظنني قادرة على ذلك.

«مونيكا». كان صوت سام هادئًا، لكني أعرفه جيدًا بما يكفي لأتبين الذعر الكامن خلف نبرته. «علينا نقل آبي إلى المشفى فورًا. أقسم لكِ، سنجد وسيلة لمساعدتكِ في.. في كل شيء. لكن أرجوكِ يا مونيكا.. لا...» وهنا تهجّد صوته: «أرجوكِ، دعيني أنقلها إلى المشفى».

«يا للهول». نضح صوت مونيكا بالاشمئزاز. «أنت مثير للشفقة حقًا. حتى حين يأتيك شيء أفضل بمليون مرة مما لديك، لا تريده. لقد أخطأت أمي تمامًا في تقديرك». ثم شخرت ساخرة: «حسنًا، لا يهم على أي حال، فقد فات الأوان بالنسبة لها.. وبالنسبة لكما معًا».

طوال معرفتي بسام، لم أره يسدد لكمة لأحد قط. أو على الأصح، لم نوضع في موقف يكون فيه لتسديد اللكمات أدنى منطق. فهو ليس من السكارى الذين يخوضون مشاجرات

الحانات؛ صحيح أنه في حالة بدنية جيدة بفضل اشتراك الصالة الرياضية الذي يخفض قيمة التأمين، لكنه لا يجوب الأنحاء ليضرب الناس.

ومع ذلك، استطعتُ الاعتدال في جلستي في الوقت المناسب تمامًا لأراه يندفع نحو مونيكا.

بينما كان يفعل ذلك، دوت رصاصة ارتجت لها أرجاء الشقة. يا إلهي، كم كان صوتها مدويًا! لم أدرِ إن كانت قد أصابته أم لا، لكنه أطبق بيده اليسرى على معصمها الأيمن، وكانت هي تصرخ. استغرق الأمر بضع ثوانٍ، وبفعل قوته التي تفوقها وتضخم بطنها، سقطت على الأرض.

لكن ذلك المسدس اللعين لا يزال في يدها.

نجحتُ في الجلوس، لكن الأمر استنزف كل ذرة من قوتي؛ شعرتُ كأني أتحرك وسط مادة لزجة كثيفة. لا أدري كيف سأتمكن من فعل أي شيء لمساعدة سام، والأدهى من ذلك، أني حين استقمتُ، أبصرتُ الدماء على الأرض. كانت دماءً كثيرة في الواقع، ورأيتُ اللون القرمزي يصبغ قميص سام ويفيض منه.

وفي تلك اللحظة، رأيتُ باب خزانة الملابس ينفتح قليلًا.

جيرتي.

راقبتُ برعب خروجها وهي تنظر بذهول إلى الدماء التي تغطي الأرض، ولعلها لم تدرك أنها دماء سام وحده، فرأيتُ الذعر يرتسم على وجهها. كانت تنوي التدخل لإبعاد سام عن مونيكا؛ وإن فعلت، فستصبح المواجهة اثنتين ضد واحد، ولا تزال مونيكا ممسكة بالمسدس بقبضة الموت.

لم يعد يمنعني وهني؛ فلا يهمني لو بقيت في جسدي ذرة قوة واحدة، لن أسمح لجيرتي ومونيكا بالفوز.

عليّ إيقاف هذا العبث.

تحركي يا آبي.. تحركي!

انصاع جسدي للأمر؛ بتردد في البداية، ثم اندفعتُ عبر الغرفة نحو جيرتي. شعرتُ كأني فقدتُ السيطرة تمامًا على أطرافي، لكن، وخلافًا لكل التوقعات، انقضضتُ على جيرتي دافعة إياها نحو الحائط، وقبل أن أفعل، التقت عيناي بعيني مونيكا لجزء من الثانية، فرأيتُها ترفع المسدس...

دوى صوت إطلاق النار في الغرفة للمرة الثانية. خفق قلبي بعنف حين انبثق اللون القرمزي ذاته -الذي رأيتُه على قميص سام- من ثقب في صدغ جيرتي الأيسر. تشكلت شفتاها على هيئة حرف O من الصدمة، وقبل أن تمضي ثانيتان، هوت كجثة هامدة على الأرض.

صرخت مونيكا: «أمي!»
بسبب مباغتة صوت الرصاص، تمكنت مونيكا بطريقة ما من التملص من تحت سام. وقفنا نراقب في صمت ذهول مونيكا وهي تهرع نحو أمها بأقصى سرعة تسمح بها حالتها، جثت بجانبها والدموع تترقرق في عينيها وهي تئن: «أمي..»
بدا سام في حالة صدمة ذهولية كان شاحبًا كما لم أره من قبل. رفع يده اليسرى ليمسح جبينه، وكان يرتجف بشدة، وكمّ قميصه غارق بالدماء. تمتم وهو يلهث: «يا إلهي..»
قلتُ بصعوبة: «سام..»
دار رأسي قبل ثوانٍ من سقوطي كدمية خرقة على الأرض. كنتُ غائبة عن الوعي لدرجة أني لم أدرك سقوطي إلا بعدما صرتُ ممددة. لم أعد أقوى على إبقاء عينيّ مفتوحتين لفترة أطول.
«آبي؟» زحف سام عبر الغرفة نحوي بنصف جسد حتى وصل إليّ، وأمسك بيدي الباردة المتعشرة: «أنتِ واعية».
أجبتُ بصعوبة: «نعم.. بالكاد».
قال وهو يزيح خصلات شعر متعرقة عن وجهي: «اصمدي، سننقلكِ إلى المشفى». كان وجهه شاحبًا كالكفن، وتساءلتُ كم خسر من الدماء. «أعدكِ بذلك، أحتاج فقط للذهاب إلى غرفة المعيشة لإحضار هاتفي، حسنًا؟»

همستُ: «لا تتركني وحدي».
«لن أغيب إلا لنصف دقيقة، سأعود فورًا».
قاطعنا صوت مونيكا: «لا، لن تفعل».
استجمعتُ آخر ما تبقى لي من رمق لأرفع عينيّ نحوها. كانت ترمقنا بنظرة حاقدة، وعيناها محمرتان ومبللتان بالدموع. المسدس! كانت لا تزال ممسكة به! لقد نسيتُ أمره تمامًا، لم أعد قادرة على التركيز في شيء؛ فأنا متعبة، متعبة جدًا...
قالت بصوت كالفحيح: «لقد ماتت.. أمي ماتت».
أشار سام إليها قائلًا: «أنتِ مَن أطلقتِ النار عليها».
برقت عينا مونيكا كأنها خناجر وهي ترفع المسدس في الهواء نحوي: «كنتُ أقصد إصابتها هي ، وهذه المرة لن أخطئ».
اتسعت عينا سام حين أدرك ما تنوي فعله. وصدقًا، لا أدري كيف شككتُ يومًا في ولائه لي؛ فأول ما فعله هو إلقاء نفسه أمامي، ليكون جسده حائطًا دون الرصاصة، فإذا ما أطلقت مونيكا النار، فعليها أن تخترق جسده أولًا. أردتُ إخباره ألا يضحي بنفسه من أجلي، لكني لم أستطع؛ فجفناي ينغلقان، والكلمات صارت جهدًا يفوق طاقتي.
قال لها: «عليكِ قتلي أولًا».
«لا تكن أحمقًا يا سام».

لم ينطق بكلمة، لكني شعرتُ بيده تعصر يدي.

قالت بغير تصديق: «أهذا هو اختيارك حقًا؟ هي؟»

أجابها: «نعم، لقد اخترتُ آبي».

بطلِي.

سأموت وأنا أعلم مدى حب زوجي لي؛ وهذا بحد ذاته يكفي.

ثقل جفناي لدرجة استحال معها فتحهما. سمعتُ صوت سحب زناد المسدس، ثم دويّ الانفجار للمرة الثالثة.

وصمت كل شيء.

الفصل الواحد والأربعون

أستيقظتُ في غرفة بيضاء.
للوهلة الأولى خطر لي أنني ربما متُّ، وأنني في الجنة. لكن لا... الجنة لا يمكن أن تبدو هكذا. لن تكون هناك كل هذه التشققات في السقف. ولن يكون هناك جهاز تكييف صاخب بجوار سريري. وعلى الأرجح لن تكون هناك إبرة وريدية مغروسة في ذراعي
أظنني في مشفى.
حاولت أن أبتلع ريقي، لكن حلقي جاف إلى حد يؤلمني. آخر ما أتذكره صوت الطلقة. كانت مونيكا تحمل المسدس وضغطت الزناد. أطلقت النار على سام
يا إلهي... لا بد أنه مات، فقد أطلقت عليه النار من مسافة صفر. ولكن، إن كانت مونيكا قد قتلت سام، فكيف وصلتُ إلى المشفى؟ من المؤكد أنها لم تستدعى سيارة الإسعاف.
سمعتُ أنينًا فالتفتُ يمنة، فأحدثت الحركة ألمًا نابضاً في صدغي. ثمة مقعد أزرق قابل للطي بجوار السرير، يتمدد عليه زوجي غارقًا في نومه ومتدثرًا ببطانية خفيفة. تمتم بشيء في نومه وتقلب باحثًا عن وضعية مريحة.
إنه حي!

يا إلهي، إنه حي! وليس موصولاً بأجهزة الإنعاش، بل إن حالته جيدة بما يكفي لينام في غرفتي بالمشفى.
همستُ: «سام.» تململ لكنه لم يفتح عينيه.
«سام!»
هذه المرة انفرجت عيناه البنيتان. اعتدل جالسًا في مقعده، وانسلت ابتسامة إلى وجهه وهو يقول: «لقد استيقظتِ.»
أومأتُ برأسي: «أجل، استيقظتُ.»
مد يده وأمسك بيدي؛ كانت يده دافئة ومريحة، مما جعلني أخجل من برودة يدي ورطوبتها.
قال: «الحمد لله على سلامتكِ. كنتُ قلقًا جدًا عليكِ...»
فركتُ عينيّ بذراعي الخالية من أنبوب المغذي وسألتُ: «ماذا حدث؟»
«ماذا تتذكرين؟»
نظرتُ إلى ذراعه اليسرى التي بدت سليمة إلى حد كبير، وقلتُ: «لقد أُصبتَ بالرصاص.»
سحب يده من يدي ليفرك ذراعه وتوجع قليلًا: «آه، هذا؟ كان جرحًا سطحيًا، وقد ضمدوه في قسم الطوارئ. أنا بخير.»
عضضتُ على شفتي وقلتُ: «ولكن مونيكا... كانت تصوب المسدس نحوك، وكانت على وشك إطلاق النار عليك مجددًا.»

أطلق سام تنهيدة طويلة وأطرق برأسه: «لم تطلق النار عليّ، بل...»
قطبتُ جبيني: «ماذا؟»
«أطلقت النار على نفسها.»
انفغر فمي: «أطلقت النار على نفسها؟»
أمعن النظر في يديه وقال: «ظننتُها ستطلق النار عليّ وتقتلني، وحسبتُ أنها النهاية. لكنها... وجهت المسدس نحو نفسها، ووضعته أسفل ذقنها، ثم ضغطت على الزناد. أظن أنها حين أدركت موت والدتها... لا أدري... فقدت صوابها فحسب.»
رغم كل ما فعلته جيرتي بي، شعرتُ بوخزة حزن على موتها. لقد كانت مساعدتي لسنوات، ولم أعرفها إلا امرأة عجوزًا لطيفة، وأود أن أصدق أن ذلك لم يكن كله تمثيلًا؛ سأفتقد ابتسامتها وكعكها.
لكني لستُ واثقة من أن موت جيرتي هو ما دفع مونيكا للانتحار. فقد رأيتُ نظرة عينيها حين حاول سام حمايتي. كانت مفجوعة بأمها بلا شك، لكن ليس هذا ما دفعها نحو الهاوية، بل قتلت نفسها لأنها أيقنت أني قد انتصرت.
قال بهدوء: «أريدكِ أن تعرفي فقط... لم يحدث شيء بيني وبين مونيكا قط، لا شيء. لم ألمسها يومًا، أقسم لكِ.»

«أنا أصدقك.»
ارتخى كتفاه وقال: «أحقًا تصدقينني؟»
«بالطبع أصدقك.»
خلل أصابعه في شعره وقال: «حسنًا، أنتِ الوحيدة إذن. رمقني رجال الشرطة وكأني حثالة، وهددتني أمكِ بأنها ستسلبني كل ما أملك -أيًا كان معنى ذلك لأني لا أملك شيئًا- أما زوجة أب مونيكا فقد صفعتني على وجهي حقيقة. يبدو أن أحدًا لا يرى من المنطقي ألا أكون قد ضاجعتها.» هز رأسه وتابع: «هل من الجنون حقًا ألا أرغب في خيانة زوجتي؟»
استطعتُ رسم ابتسامة وقلت: «يبدو أنه كذلك، نعم.»
«لقد نصبت لي فخًا محكمًا؛ أخبرت الجميع أني حبيبها أو زوجها. لم تكن لدي أدنى فكرة؛ أشعر وكأني أبله لسماحي بحدوث ذلك.»
قلتُ: «لقد كانت بارعةً في التلاعب بالبشر. وأنا مَن أقنعك بالمضي في هذا الأمر منذ البداية، رغم رفضك.»
«أعلم ذلك، ولكن...»
مددتُ يدي إليه، فأمسك بها مجددًا. «لقد سمعتُ كل ما قلته لمونيكا في غرفة نومنا، وأعلم أنك لم تكن تضاجعها. و...»

ابتلعتُ ريقي شاعرةً بألمٍ في حلقي الجاف، «وأعلم أنك ألقيت بنفسك أمامي لتمنعها من إطلاق النار عليّ.»

أطرق برأسه وهو يعصر أصابعي قائلًا: «أنتِ كل حياتي يا آبي، ولو أصابكِ مكروه...»

قلتُ: «أجل، أفهم ما تعنيه.» ففكرة فقدان سام هي ما دفعني للاندفاع وإلقاء نفسي على جيرتي في غرفة نومنا.

تحرك في مقعده وقال: «وأنا آسف لأني لم أصدقكِ بشأن المخدرات؛ كان يجب أن أعلم أنكِ لن تفعلي شيئًا كهذا أبدًا.»

أومأتُ برأسي، رغم أن مرارة الغصة لا تزال في حلقي؛ فكم تمنيتُ لو صدقني حينها.

قال: «لم أشك يومًا أنكِ قتلتِ دينيس. بصدق، لم أكن أدري ما الذي يحدث بحق السماء، لكني لم أصدق ذلك قط.» هز رأسه وتابع: «أتدرين؟ مونيكا هي مَن أشارت عليّ بشراء فتاحة الرسائل تلك لكِ؛ فقد صادفتُها حين جئتُ لاصطحابكِ من المكتب، وسألتُها عن أفكار لهدية ذكرى زواجنا. لا أصدق أنها كانت تخطط للأمر منذ ذلك الحين...»

«لقد دبرت هي وجيرتي للأمر لسنوات...»

كلما فكرتُ في الأمر شعرتُ بالغثيان. طوال تلك السنوات التي ظننتُ فيها جيرتي امرأة عجوز لطيفة تبذل قصارى جهدها، لم

تكن تفعل شيئًا سوى اصطياد زوجٍ لابنتها. لقد علمت منذ البداية بمشاكلنا في الإنجاب، وعرفت مدى توقي لطفل، فخططت لإزاحتي من الطريق، ثم الاستيلاء على زوجي ومالي لصالح ابنتها.

وهنا تذكرتُ شيئا هامًا؛ لقد كان عقلي مشوشًا جدًا حين استيقظت فلم يخطر لي. شعرتُ وكأني أختنق.

«سام.. الطفل... هل الطفل.. مات؟»

لاحت شبح ابتسامة على شفتيه وقال: «لا، لقد تمكنوا من توليده بسلام. إنه في وحدة العناية المركزة لحديثي الولادة، وحالته جيدة.»

«آه.» زفرتُ أنفاسي وأنا أفكر في طفلنا الصغير، الموصول بأجهزة المراقبة داخل الحاضنة. لطالما حلمتُ بهذا الطفل، وأنا أحبه قليلًا بالفعل، رغم أني لم أره قط. ولكن بعد ما فعلته مونيكا بنا...

قال سام فجأة: «لا بأس.»

«ما الذي لا بأس به؟»

اكتست عيناه البنيتان بمسحة حزن: «إن لم ترغبي فيه، فأنا أتفهم ذلك.»

«سام...»

قال: «لا، بصدق. بعد كل ما حدث، سأتفهم إن كنتِ... حسنًا، أنتِ تعرفين. على أي حال، سنجد حلاً ما.»

حاولتُ الاعتدال في فراشي، فنبض رأسي بالألم. تمددتُ مجددًا، موقنة أني سأظل حبيسة هذا السرير ليومٍ آخر على الأقل. سألتُه: «أتريده أنت؟»

«بالطبع أريده.»

بالطبع يريده.

صمت لبرهة، وحين تحدث مجددًا، شابت صوته مسحة من الحماس: «أتريدين رؤية صورة له؟»

أومأتُ برأسي إيجابًا.

أخرج سام هاتفه المحمول، ولم يستغرق سوى ثوانٍ ليعرض الصورة على الشاشة. رفع هاتفه أمامي، فضاقت عيناي وأنا أحدق في المولود الجديد.

كان ضئيلًا، ضئيلًا حد الوجع، وعاجزًا وفاتنًا، تمامًا كالمولود الذي طالما حلمتُ به. وُضعت أنابيب أكسجين في أنفه الصغير، وكان يرتدي قبعة بيضاء صغيرة وسترة متناهية الصغر، ورغم ذلك بدت واسعة جدًا عليه. واستطعتُ تمييز خمسة أصابع صغيرة مثالية في يده اليسرى.

قلتُ لسام: «إنه يشبهك.»

لطالما حسبتُ قول الناس إن الأطفال يشبهون البالغين أمرًا سخيفًا. فكل الأطفال يشبهون رجالاً عجائز صغارًا (غير أن العكس غير صحيح؛ فالرجال العجائز لا يشبهون الأطفال). ولكن في الواقع، هذا الطفل يشبه سام حقًا. ثمة شيء في أنفه وشفتيه.

ابتسم لي ابتسامة عريضة وقال: «لقد ظننتُ ذلك أيضًا. سمحوا لي بحمله هذا الصباح لدقيقة واحدة فقط، ولكن الأمر كان...»

أشاح بوجهه محاولًا كبح حماسه؛ فأم هذا الطفل حاولت قتلنا نحن الاثنين في النهاية. ولكن في الحقيقة، ليس هناك سوى صواب واحد لنفعله.

قلتُ: «أنا أيضًا أريده.»

أشرقت عينا سام: «أحقًا؟»

«بالطبع أريده. إنه فاتن، وجميل، ويشبهك.» ولم أنطق بآخر ما جال في خاطري: وليس لديه أم.

قال سام: «بمجرد أن تتحسن صحتكِ، عليكِ المجيء معي لرؤيته، حسنًا؟»

لم أستطع كتم ابتسامتي: «حسنًا.»

غمز لي وقال: «وأيضًا... علينا أن نختار له اسمًا.»

أجل، سنختار اسمًا لهذا الطفل الذي صار طفلنا الآن، وسنأخذه معنا إلى المنزل؛ أمرٌ بدا كحلم مستحيل قبل أيام فقط.

تنهدتُ قائلة: «أنا في غاية السعادة لأننا رزقنا بطفلنا أخيرًا.»

أومأ برأسه: «أفهم ما تعنين.»

«هذا ما تمنيناه طويلاً.»

«أجل...»

«لكن... من المؤلم أن نعلم أننا لم نحصل عليه إلا لأن أمه قد ماتت.»

لاذ سام بالصمت، وارتسم على وجهه تعبير غريب أثار قلقي.

قلتُ أخيرًا: «ما الأمر؟»

فرك مؤخرة عنقه وقال: «أنا لم أقل قط إن مونيكا قد ماتت.»

بعد مرور عام

يتعلم ديفيد المشي الآن.

أعلم.. لم أكن أرغب في تسميته ديفيد، لكن سام أصرَّ على هذا الاسم؛ فقد كان اسم والده في النهاية. لا يتحدث سام كثيرًا عن مدى افتقاده لوالده بعد أن غيبه الموت إثر نوبة قلبية، لكن تسمية ابنه تيمنًا به كانت تعني له الكثير. كما أن الاسم يحمل في طياته تكريمًا لذكرى دينيس، التي جعلت مني المرأة التي أنا عليها اليوم.

وها هو ديفيد قد أتم عامه الأول؛ يتشبث بطاولة القهوة، ويخطو خطواته الأولى الحذرة في فضاء غرفة المعيشة. إنه حذر وجاد تمامًا كأبيه، كما أنه لطيف مثله أيضًا. يبدو ديفيد نسخة طبق الأصل من سام في نواحٍ كثيرة.

أنا أعشقه؛ أحبه أكثر مما كنت أظن أن حب بشر لآخر ممكن. لقد أحببت والديّ وسام بالطبع، لكن هذا الشعور مختلف تمامًا. أقضي ساعات في تأمل يديه الصغيرتين المثاليتين. وحين أعانقه، أشعر وكأني لا أستطيع ضمه إليّ بالقوة الكافية. وعندما يغالبني الأرق ليلًا، كل ما عليّ فعله هو الذهاب إلى غرفته

والنظر إلى وجهه الملائكي النائم، والإصغاء إلى أنفاسه العميقة المنتظمة، لتتبدد كل ضغوطي وتغادر جسدي.

لقد غيَّر حياتي.

دخل سام إلى الغرفة حاملًا وعاءً بلاستيكيًا فيه طعام للأطفال. بعد كل تذمري من سوء طعم أطعمة الأطفال الجاهزة، قرر سام أن يطهو طعامه بنفسه. وصدقوا أو لا تصدقوا، فرغم أن سام لا يجيد طهو طعام الكبار، إلا أن الوجبات الصغيرة التي يعدها لديفيد شهية للغاية، حتى أني أجدها كذلك. يبدو أن لديه موهبة دفينة؛ أخبرتُه أنه بحاجة لإنشاء شركته الخاصة، لكنه يقول إنه سيلتزم بعلوم الرياضيات.

وديفيد يحب الطعام أيضاً؛ فبمجرد أن لمح الوعاء، انفرجت وجنتاه المكتنزتان عن ابتسامة تلامس قلبي في كل مرة.

داعب سام شعر ديفيد بمودة قبل أن يرفعه إلى كرسيه المرتفع. ثمة شيء في ديفيد لا يشبه أيًّا منا: شعره الأشقر. يدّعي سام أنه كان أشقر في طفولته، لكني رأيت الصور وأعلم أنه يكذب؛ فقد كان شعره بني فاتح، ولم يكن أشقر فاتح كشعر ديفيد. هذا الشعر من مونيكا.. لا شك في ذلك.

بفضل ابني، لا يمر يوم دون أن أفكر في تلك المرأة؛ لا يمر يوم دون أن أتفرس في وجهه بحثًا عن أثر لملامحها. لن أتوقف عن مراقبة سلوكه أبدًا، سأظل أتساءل عما إذا كان سينتهي به المطاف إلى الجنون كما انتهى بها.

لقد كنت محظوظة؛ فالبحث الذي أجرته الشرطة في شقة مونيكا بعد أن أطلقت النار على نفسها أسفر عن العثور على أدلة وفيرة تربطها وأمها بمقتل دينيس هولت. كما اكتشفوا أيضًا أنها كانت تسرق أموالًا من الشركة؛ وهو ما أعتقد أنه كان سيُنسب إليّ لو سارت الأمور بشكل مختلف في ذلك اليوم المشؤوم.

أنا على يقين أن هذا ما جعلهم يرغبون في إنهاء حياتي بطريقة تبدو انتحار؛ فقد كانت مونيكا تعلم أن الحقيقة ستنكشف لو خضعتُ للتحقيق يومًا ما.

اكتشفنا أيضًا أن مونيكا، قبل أن تعرض أن تكون أمًا بديلة لي، كانت على تواصل مع جانيل، وأقنعتها بأننا لا نصلح كأبوين. لقد كانت هي المسؤولة عن حرماني من الطفل الذي كان يفترض أن يكون لنا.

كما أنها لا تزال على قيد الحياة.

«ممم، لذيذ،» يقول سام وهو يقرب الملعقة البلاستيكية الصغيرة من فم ديفيد. «ديك رومي مهروس شهي.»

التقم ديفيد الطعام بنهم وكأنه يتناول جراد البحر المطهو. وبصراحة، كان طعمه جيد حقًا. أتذوق كل ما يصنعه سام، فلا يزال جزء مني لا يثق في مهاراته بعد حادثة "مفاجأة السلمونيلا" القديمة، لكن كل شيء يبدو رائعًا.

ناغى ديفيد قائلًا: «ممم ممم.»

ضحك سام. إنه رائع في تعامله مع ديفيد، ويعشقه أكثر مما كنت أتخيل، وديفيد يبادله العشق ذاته. يحزنني أحيانًا أننا انتظرنا طويلًا لنصل إلى هذه اللحظة، وما كنا لنصل إليها لولا مونيكا.

لذا، نعم.. مونيكا لا تزال حية.

حية، لكنها في حالة إنباتية. آخر مرة رأيتها فيها كانت مستلقية على فراش المشفى، تتنفس بمساعدة جهاز التنفس الاصطناعي، واللعاب يسيل من جانب ذقنها، وجلد رأسها مغطى بدبابيس الجراحة. قالوا إنها تعاني من إصابة شديدة في الدماغ، ومن غير المرجح أن تتعافى أبدًا.

سمعتُ مؤخرًا أنها فُصلت عن جهاز التنفس على الأقل، لكنها لا تزال لا تأكل ولا تتكلم ولا تمشي. لا تدرك ما يدور حولها، ولا تزال في حالة غيبوبة مستديمة. وبعد مرور عام، يُعتبر هذا الوضع نهائيًا.

أنهى سام إطعام ديفيد، وقد تلطخ الصغير تمامًا؛ الطعام على مريلته، وعلى ذراعيه المكتنزتين، وشعره، ووجنتيه، وهناك لطخة فوق جفنه.

قلتُ متأملة: «كيف يتسخ بهذا الشكل دائمًا؟»

«إنه يُقلدك.»

«أوه، حقًا؟»

أومأ سام بعينين متسعتين: «أجل، أنا دائمًا ما ألتقط بقايا الطعام من شعركِ بعد العشاء. بصراحة يا آبي، الأمر مجهد جدًا.»

ضربتُه على ذراعه فابتسم لي. يقول الجميع إن وجود طفل يقتل الحياة الحميمة، والحقيقة.. لا يمكنني القول إننا نعيش بحرية كما كنا من قبل؛ فكلانا منهك أكثر مما اعتدنا، وديفيد ليس من الأطفال الذين ينامون جيدًا. لكننا في الوقت ذاته نخصص وقتًا لبعضنا، ولدينا ليالٍ منتظمة للخروج معًا، ولا نزال نتبادل العناق على الأريكة بينما ينام ديفيد في مهده. ثمة أوقات يسبب وجود طفل مُتطلِّب ضغوطاً على علاقتنا، لكنه في المجمل جعل عائلتنا مكتملة.

سألتُ: «هل تريدني أن أحممه؟»

هز سام رأسه: «كلا، سأتولى الأمر.» ثم التفت إلى ديفيد: «هل أنت مستعد للحمام أيها البطل؟ ما رأيك؟»

رفع ديفيد ذراعيه بحماس وصاح: «با!»
هذا الطفل يحب الاستحمام بقدر حبه لطعام سام.
رفعه سام من كرسيه، محاولًا مسح بعض الطعام عنه، لكنها كانت محاولة يائسة. اختفى الاثنان في الرواق المتجه نحو الحمام، ولم أملك إلا أن أبتسم. ربما يحمل ديفيد جينات مونيكا تقنيًا، لكني لا أرى فيها أثر يذكر سوى لون شعره؛ فهو حتى الآن، يشبه سام تمامًا.
بينما كنت أنظف الفوضى التي تركها ديفيد خلفه، رن جرس الباب ليعلن عن وجود زائر بالأسفل. ذهبتُ إلى الحوض لغسل بقايا الديك الرومي المهروس عن أصابعي بسرعة قبل أن أضغط على الزر ليرى من القادم.
«سيدة أدلر؟» انطلق صوت الحارس المعدني عبر الجهاز. «لديكِ زائرة تريد رؤيتكِ؛ تدعى لويز جونسون.»
لويز جونسون.. زوجة أب مونيكا.
ما الذي تفعله هنا؟
وقبل أن أفكر ملياً، قلتُ: «اجعلها تصعد.»
تحدثتُ إلى لويز جونسون بضع مرات منذ أن أطلقت مونيكا النار على نفسها. لقد وافقت هي ووالد مونيكا على استعادتها إلى المنزل حين بات واضحاً أنها لن تتحسن أبداً.

أدهشني صنيعهما هذا، بعد كل ما أذاقتهما إياه في صباها. بدا أنهما شخصان طيبان، وخلافًا لما يمليه عليّ العقل، عرض سام عليهما زيارة ديفيد بين الحين والآخر، لكن السيدة جونسون أخبرتني بلطف وحزم أنهما غير مهتمين بذلك؛ ومما لا شك فيه أني شعرتُ بالارتياح.

تساءلتُ عما تريده، وعما إذا كانت مونيكا بخير.

ماذا كانت لو أفاقت؟ ماذا لو كانت فتحت عينيها، واعتدلت في فراشها، وطالبت برؤية ابنها؟

أعتقد أن هذا أمر مستبعد؛ فقد أخبرني الأطباء أنها لن تستيقظ أبدًا، ولا توجد ذرة أمل في ذلك.

ولكن.. من يدري؟

حين رنت لويز جونسون جرس بابنا، كنتُ قد بلغتُ حالة من الذعر المحض. فتحتُ الباب لأجد وجهها المألوف، وقد غزا الشيب شعرها أكثر من ذي قبل، وحُفرت خطوط عميقة بين حاجبيها؛ فلا بد أن رعاية مونيكا أمرٌ شاق.

قلتُ بأقصى ما أستطيع من هدوء: «أهلاً، سيدة جونسون.»

فأجابت: «أهلاً، سيدة أدلر.»

يبدو أننا لم نصل بعد إلى مرحلة المناداة بالأسماء المجردة.

سألتُها بجمود: «كيف حالكِ؟»
«بخير، شكرًا لكِ.» استطاعت رسم ابتسامة شاحبة وتابعت: «وأنتِ؟»
«أنا بخير.» ابتلعتُ غصة في حلقي وسألتُ: «وكيف حال.. أمم.. كيف حال مونيكا؟»
«على حالها.» أشاحت بنظرها وقالت: «لا تغيير.»
هل من القسوة أن يكون خاطري الأول هو: «الحمد لله»؟ وهل أنا إنسانة شريرة لأني لا أريد لتلك المرأة التي كادت تبيد عائلتي بأكملها أن تمشي على قدميها مجددًا؟ إنه لمن دواعي الارتياح أن مونيكا جونسون صارت شيئاً لم نعد مضطرين للقلق بشأنه.
لكنها أضافت: «إلا أن...»
خفق قلبي بعنف؛ "إلا أن" ماذا؟ مونيكا في حالة إنباتية، وأخبرونا أن وضعها نهائي، وأنها لن تستيقظ ثانيةً، بل هي «في حكم الميتة» كما قال الأطباء. فماذا تعني بـ "إلا أن"؟
تنحنحتُ وسألتُ: «إلا أن ماذا؟»
بدت مندهشة من سؤالي، وهزت رأسها قائلة: «لا شيء، انسَيْ الأمر.»

لا شيء؟ انسَيْ الأمر؟ أردتُ أن أهز تلك المرأة حتى تخبرني بما تعنيه بكلمة "إلا"، لكني تمكنتُ بطريقة ما من السيطرة على نفسي قبل أن أقترف حماقة ما.

قالت السيدة جونسون وهي تخفض عينيها وتنبش في حقيبتها: «اسمعي..» انقبض صدري متذكرةً الطريقة التي أخرجت بها مونيكا مسدس من حقيبتها في آخر مرة كانت فيها هنا. لكن السيدة جونسون ليست كذلك، ولا داعي للقلق؛ ومع ذلك، لم يهدأ روعي إلا حين أخرجت بطانية صفراء صغيرة مهترئة.

تابعت: «كنتُ أبحث في بعض الصناديق القديمة خلف الخزانة بالأمس ووجدتُ.. حسنًا، وجدتُ هذه. كانت.. كانت تخص مونيكا.»

حدقتُ في البطانية وكأنها أخبرتني أنها موبوءة؛ فتنهدت قائلة: «كانت بطانيتها المفضلة وهي طفلة، وحتى حين صارت مراهقة، كانت تبقيها في فراشها. لقد كانت.. تعني لها الكثير.»

قلتُ: «آه» فماذا عساي أن أقول غير ذلك؟

رفعت السيدة جونسون عينيها لتلتقي بعينيّ وقالت: «انظري يا آبي، أنا أعلم شعوركِ تجاه مونيكا، وأنا.. أنا مررتُ بالكثير من تلك المشاعر ذاتها. لكنها منحتكِ أعظم عطاء يمكن أن يمنحه إنسان لآخر.»

لم أختلف معها في ذلك.
تابعت وعيناها تلمحان القماش الأصفر البالي: «أعلم أن مونيكا كانت لترغب في أن يحصل ابنها على هذه البطانية. طبعًا القرار يعود إليكِ، لكني آمل أن تعطيها له، ليكون لديه ولو جزء ضئيل من أمه البيولوجية.»
إنه يحمل دماءها في عروقه بالفعل! ألا يكفي أني في كل مرة أنظر فيها إلى ابني، أبحث عن آثار تلك المرأة الشريرة؟ أنا أحب ديفيد حبًا جمًا، لكني لن أستطيع أبدًا محو حقيقة أن نصف جيناته تعود إليها.
لكن حين مدّت السيدة جونسون البطانية نحوي، أخذتُها منها؛ فلا طائل من الجدال. دعها تعتقد أني سأعطي ديفيد البطانية إن كان ذلك يريح بالها، رغم أن وجهة هذه البطانية الوحيدة هي سلة المهملات.
ما إن أغلقتُ الباب وأحكمتُ قفله، حتى خرج سام حاملًا ديفيد، الذي كان نظيفًا يلمع ومدثرًا بمنشفة خضراء. يحضره سام إليّ دائمًا بعد الاستحمام لأنه يعلم كم أجده لطيفًا وهو ملفوف هكذا. كان ديفيد يبتسم لي، مستعرضًا أسنانه الستة الصغيرة.
سأل سام: «مَن كان بالباب؟»
قلتُ مقشعرّة: «زوجة أب مونيكا.»

شحب وجه سام، وأجزم أن وجهي كان انعكاسًا لوجهه من قليل.
سأل: «كيف حال مونيكا؟»
قلتُ: «على حالها. إلا أن...»
تنهد سام قائلًا: «آه، هذا يبعث على الطمأنينة.»
أضفتُ: «وأيضًا، أحضرت لنا هذه البطانية التي كانت تخص مونيكا.»
قربتُ البطانية من أنفي ثم أبعدتُ رأسي فورًا من شدة الرائحة؛ فعطر اللافندر الذي كانت تضعه مونيكا لا يزال عالقًا بها، ممتزجًا برائحة خفيفة لمنظف الغسيل. وكأنني كنتُ بحاجة لسبب آخر لأكره هذه البطانية.
قال سام وهو يضم ديفيد بقوة إلى صدره: «يا إلهي، لِمَ تظن أننا قد نرغب في شيء كهذا؟ تخلصي منها فورًا.»
أشار ديفيد بيده الصغيرة المكتنزة نحو البطانية وقال: «باكا!» (بطانية).
قلتُ: «صحيح، إنها بطانية قذرة وسنتخلص منها.»
التفتُّ لألقي بها في المهملات، وما إن حامت يدي فوق السلة حتى انهارت أسارير ديفيد وصرخ باكيًا: «باكا!»
قال سام بصبر: «لا يا صغيري، هذه ليست لك.»

انهمرت الدموع على وجه ابني وصار يتلوى بجسده حتى كاد يفلت من يد سام، واستحال تهدئته: «باكا! باكا، ماما!»

كانت أصابعي لا تزال تقبض على البطانية. ابتعدتُ عن سلة المهملات، فغمر الارتياح وجه ديفيد وهو يتوسل: «باكا.»

قال سام: «لا تعطِها له، لا أريدها في منزلي.»

كانت يد ديفيد ممدودة، يحاول جهده الوصول إليها. لم يسبق أن تحمس هكذا حتى للعبة الشاحنة التي حصل عليها في عيد ميلاده الأول. لقد كان منزعجًا بحق؛ كل هذا من أجل بطانية؟

قلتُ أخيرًا: «سأتركها معه الآن فقط.»

«آبي، لا...»

«سيفقد اهتمامه بها خلال يوم واحد، أعدك بذلك.»

هز سام رأسه رافضًا، لكن من الصعب عليّ أن أرد لديفيد طلب حين يبلغ هذه الحالة؛ فهو طفلي الوحيد وأنا أدلله. وبدلًا من إلقائها، مددتُ البطانية الصفراء إليه، فتناولها بسعادة، وغمر وجهه في تلك الرائحة العالقة.. رائحة عطر مونيكا.

كلمة شكر وعرفان

بما أن الكتابة تبدو في ظاهرها عملية انعزالية، فإنه لمن المذهل حقاً حجم المساعدة التي أتلقاها من أشخاص كُثر قبل أن أتمّ روايتي!

أودُّ أن أشكر والدتي؛ لكونها أول من قرأ «الأم البديلة»، وأول من قال «واو» بعد قراءتها. أحياناً نحتاج جميعاً لسماع هذه الكلمة.

شكراً لـ كيت على نصائحها بشأن الحبكة، وعلى تحريرها الدقيق والبارع. وأنا ممتنة جداً لـ كاثرين على إعارتي خبرتها في مجال صناعة الإعلانات، وعلى مساعدتها لي في صياغة المشهد الأخير المعقد. شكراً لـ رونا على نصائحها الثاقبة بشأن الغلاف، ولـ زاك على نصائحه التسويقية. وشكراً لـ جينا على قراءتها التجريبية، وعلى لفت انتباهي إلى أن «كريستيان لوبوتان» بات الآن أكثر رواجاً من «جيمي تشو» (مَن كان ليعلم ذلك؟). شكراً لـ جيسيكا على آرائها الصادقة بمرارة دائماً على مر السنين. شكراً لقرّائي التجريبيين الجدد؛ كيت ولورا وسارة وليز، فقد كانت نصائحكم وأفكاركم مفيدة للغاية. وشكراً لمجموعة الكتابة الجديدة على تعليقاتهم الرائعة.

كذلك، يتعين على المرء أحياناً أن يشكر أشخاصاً لم يكن لهم أي صلة بعملية الكتابة من قريب أو بعيد. لذا، شكراً لزوجي؛ لكونه عالم رياضيات طيب القلب، استلهمتُ منه شخصية الزوج طيب القلب في روايتي. (وسنفترض جميعاً أنك أصبتَ بمرض "كثرة الوحيدات" تلك المرة بطرق بريئة تماماً، كركوب "المونوريل" مثلاً). وشكراً مقدماً لوالدي؛ لأنه لن يتذمر من عدم ذكري له في كلمات الشكر.

وشكراً لكل قرائي؛ فأنتم السبب وراء ما أفعله، لذا أرجوكم استمروا في القراءة!